القسم الثاني

تحقيق

شرح شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

لأبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري

المعروف بابن الأفليلي ت ٤٤١ هـ

النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب

أربع نسخ وهي:

١ ـ مصورة عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني بلندن*، ورقمها ٤٣٥٦، ومسطرتها (١٤×٢٠) سم، وتقع في ١٠٣ لوحة في كل لوحة واحد وعشرون سطراً، مكتوبة بخط نسخي جيد مشكول، وناسخها أحمد بن عطا الله بن يوسف بن حفاظ، قال في الصفحة الأخيرة: «وافق فراغه يوم الجمعة التاسع والعشرون من صفر سنة أربع وسبعين وستماية، كتبه العبد الفقير إلى عفو ربه ورحمته، أحمد بن عطا الله بن يوسف بن حفاظ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، والحمد لله وحده، وصلاة على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً».

وهي أقدم النسخ الموجودة لشرح الأفليلي، وتمتاز على باقي النسخ بأنها جمعت البيتين معاً أو الثلاثة، ومهد فيها للشرح بمعاني المفردات اللغوية في الأبيات، ولكنها ناقصة في أولها عن نسخة الرباط وفاس شرح خمسة عشر بيتاً، إذ تبدأ بقوله «وأبكي بالمشيب، فكيف توقيه! وإنما يهدم ما بناه، ويأخذ ما أعطاه، وأن العمر إنما تكملته بالصبا والكبر، والشباب والشيب...» وهو ما يقابل الورقة الرابعة من مخطوطة الرباط، والورقة الخامسة من مخطوطة فاس.

وتعداد قصائدها تسع وخمسون، إذ جاء في آخرها ما نصه: «انتهى السفر الثالث من شعر أبي الطيب المتنبي رحمه الله، وهو الأول من

* أهدى إلي هذه النسخة الأستاذ إبراهيم أبو رحمة الذي صورها بوساطة أخيه الدكتور خليل أبو رحمة جزاهما الله خيراً.

شرح ابن الأفليلي رحمه الله، والحمد لله على ذلك كثيراً، وصلى الله على محمد وعلى آل محمد أولاً وأخيراً ـ يتلوه في أول الرابع بمشيئة الله وعونه. وقال يصف دخول الرسول أيضاً:

دروع لملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل

وهي تقابل اللوحة ١٠٤ من مخطوطة الرباط.

وفيها سقط من اللوحة الخامسة مقابلاً باللوحة ٨ ـ ١١ من نسخة الرباط ويحوي على شرح ٤٤ بيتاً، وسقط آخر في اللوحة ٣٨ قوامه ٢٥ بيتاً، وفيها آثار أرضه، وطمس طولي وآخر عرضي في لوحات متعددة، أما الطمس الطولي ففي اللوحتين ٨٦، ٨٧، وأما الطمس العرضي ففي اللوحتين ١٢، ١٣، ٩٢، ٩٣. وفيها آثار أرضة في ورقة ١٢؛ ولذلك لم أتخذ هذه النسخة أصلاً على الرغم من قدمها، وخصائص كتابتها، وزيادة شرح المفردات فيها.

ورمزت لهذه النسخة بحرف (ل)

٢ ـ مصورة عن الأصل المحفوظ في الرباط رقم (٤٣٧ D) تقع في ١٣٦لوحة، وعدد الأسطر متباين بين يمين اللوحة ويسارها، إذ يتراوح في يمينها ما بين ١٣ ـ ١٥ سطراً وفي يسارها ما بين ١٧ ـ ١٨ سطراً، وتاريخ نسخها سنة ٩٧٥ هـ، وجاء في الصفحة الأخيرة منها «فرغ منه على يد كاتبه عبيدالله واقل عمر بن موسى بن عبدالله، وفي تاريخ أوائل ذي القعدة الحرام عام خمسة وسبعين وتسعمائة».

وهذه النسخة مكتوبة بخط مغربي مشكول، ولكنه غير واضح الشكل، وسقط منها الصفحة الأولى فاستدركها أحدهم ـ لعله مالكها ـ بخط مغربي أيضاً، إلا أنه مغاير لخط المخطوطة. وهي تبدأ بما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم ـ صلى الله على سيدنا ونبينا محمد ـ قال أبو الطيب يمدح الأمير سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان عند نزوله أنطاكية ومنصرفة عن

الظفر بحصن برزويه في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهي أول ما أنشده، رحم الله الجميع بمنه.

وفي هامش الصفحة الأولى ما يدل على أن هذه الصفحة المستدركة هي بداية شرح أبي القاسم الأفليلي إذ جاء فيها ما نصه: «أول القصيدة الذي شرح الأفليلي من كلام أبي الطيب رحمهم الله».

وعلى صفحة الغلاف ورد اسم الكتاب ومالكه: الحمد لله شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي شرح أبي القاسم بن الأفليلي ـ ملكه الله لعبده المختار بن عبدالله بن أحمد بالشراء الصحيح عام ١٢٨٨هـ.

ويشتمل السفر الأول في هذه النسخة على تسع وستين قصيدة من سيفيات المتنبي، وقد ختم هذا السفر بما يشير إلى السفر الثاني الذي يليه، تم القصيد بحمد الله يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

وقد كتبت بعض الجمل إعجاباً وتعليقاً على بعض الأبيات، وهي من شروح المالك كقوله في لوحة ٤ «تأمل هذه الأشعار يا أخي ما أوقعها» تقريظاً لقول المتنبي:

ومل القنا مما تدق صدوره ومل حديد الهند مما تلاطمه
سحاب من العقبان تزحف تحته سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه

وعلى الرغم من مزايا هذه النسخة في التمام بدءاً وختاماً، واشتمالها على تسع وستين قصيدة، فلم أتخذها أصلاً؛ لنقصها مما شملته نسخة ل من المفردات وشروحها.

ورمزت لهذه النسخة بحرف (ر).

٣ ـ مصورة عن الأصل المحفوظ في خزانة جامعة القرويين بفاس (٦٠٠/٤٠) مسطرتها (٢٠ × ٢٧) سم وتقع في ١٤٨ لوحة أو ٢٩٧ صفحة

وعدد الأسطر ما بين ١٦ ـ ١٨ سطراً، وخطها مغربي قديم نفيس واضح لكنه غير مشكول.

هذه المخطوطة ناقصة من أولها لوحتين، إذ تبدأ في أثناء شرح القصيدة الأولى من السيفيات وبالتحديد بشرح البيت الرابع «ثم دعا على نفسه مستبصراً في مذهبه، بأن يبلى بلى الأطلال الدارسة، ويتغير تغير الرسوم العافية...».

وتخلو هذه النسخة من تاريخ النسخ واسم الكاتب، وقد جاء في نهايتها. تم القصيد بحمد الله تعالى، يتلوه:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

وتتفق هذه النسخة مع نسخة الرباط باشتمالها على عدد القصائد نفسه، وفي بعض الأخطاء الإملائية وتجاوز بعض الألفاظ قصداً أو سهواً، بما يرجح نسخها عن مخطوطة الرباط، لكنها ذات عيوب كتابية إملائية، وقفز عن بعض الأسطر، وطمس في بعض آخر.

وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ف).

٤ ـ قطعة مصورة عن الأصل المحفوظ في الرباط رقم ١١٢٨ هـ وتقع في (٩) لوحات فقط، وعدد أسطرها ٢٦ سطراً، مكتوبة بخط مغربي واضح جميل مشكول، وتم نسخها في «يوم الخميس الموفي عشرين من نهاية ذي القعدة عام ١١٢٨ على يد عبدالله بن محمد السجتي».

وتبدأ هذه القطعة بالقصيدة التي مطلعها:

طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بحار

وهي تقابل القصيدة ٦٧ من مخطوطة الرباط رقم ٤٣٧، وتشتمل هذه القطعة المخطوطة على ثلاث قصائد كاملة.

وقد رمزت لها بحرف (ط).

٥ ـ التبيان في شرح ديوان المتنبي (مطبوع) المنسوب لأبي البقاء العكبري، وقد جعلته نسخة مُعيَّنَة، إذ وجدته ينقل شرحاً لقصائد بكاملها نقلاً حرفياً، أو ينقل نقلاً جزئياً للشرح، وقد سبقت الإشارة إلى مدى استعانة صاحب التبيان بشرح أبي القاسم، وأن هذه الاستعانة تجاوزت الخمسين وثلاثمائة موضع لتقترب من الأربعمائة موضع.

وقد رمزت لهذا المطبوع بحرف (ت).

منهج التحقيق

حققت شرح أبي القاسم بن الأفليلي معتمداً على النسخ الأربع التي سبق الحديث عنها، فضلاً عن كتاب التبيان، وبعض مخطوطات شرح ديوان المتنبي خاصة في تحقيق مقدمات القصائد الطويلة، وقد سلكت في ذلك منهجاً حدوده كما يلي:

أولاً : كان إخراج (النص المختار) هو الغاية التي هدفت إليها، خاصة أنني لم أستطع اعتماد أي من النسخ السابقة أصلاً، لأن كثيراً من أسباب النقص أو السقط نازع في ذلك. على أنني راعيت ما جاء في نسخة (ل) فاعتمدته غالباً؛ لقدمها أولاً، ولتفردها بالزيادة في شرح المفردات ثانياً، ولتشابه نسختي (ر) و(ف) ثالثاً. إلا أن تتفق هاتان النسختان المتشابهتان مع المطبوع (ت)، فيترجح ما جاء فيهما على ما جاء في (ل).

ثانياً : بما أن النص المختار هو غاية هذا التحقيق، فقد اعتمدت كل زيادة جاءت في النسخ الثلاثة ل، ر، ف ما دامت متصلة بالمعنى، متآلفة معه، وإذا لم تتسق مع سياق الشرح أثبتها في الهامش وأشرت إليها.

ثالثاً : عملت على تخريج ما ورد في الشرح من آيات قرآنية وأبيات شعرية ورجزية، فما كان منسوباً إلى صاحبه من الشعر، أشرت إلى ديوانه إن وجد، وأما من ليس له ديوان، فقد بحثت عن مظانه المختلفة من كتب اللغة والأدب.

رابعاً : ضبطت النص بالشكل التام، على الرغم من ضبط الناسخ له في نسخة (ل)، إذ وجدت كثيراً من الألفاظ غير صحيحة الضبط، خاصة فيما يتعلق بأسماء الأماكن، والقصائد العشر الأخيرة.

خامساً : شرحت بعض الألفاظ الغريبة في الهامش مما لم يشرحه الأفليلي في الأبيات، أو فيما وقع في شرحه لها، واعتنيت بالأماكن من حيث ضبطها وموقعها، واعتمدت في ذلك كله على لسان العرب والقاموس المحيط ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم.

سادساً : تقويم رواية أبي القاسم الأفليلي لشعر المتنبي، بمعارضتها برواية الثقات من رواة شعره، مثل ابن جنى، أبي العلاء المعري، الواحدي، ابن المستوفي الأربلي وصاحب التبيان الذي روايته هي رواية ابن جنى إذ يقول «ورواية ابن جنى بها قرأت الديوان»[1].

سابعاً : حاولت استدراك بعض الكلمات التي سقطت من خلال الشرح لعيب في النسخ، وكان السياق مقتضياً لها.

ثامناً : قمت بترقيم الأبيات الشعرية في القصيدة الواحدة ترقيماً يسهل تعدادها والرجوع إليها.

ثامناً : قوّمت في بعض الأحيان شرح الأفليلي بشرح آخر مختصر، للإبانة عن وضوح شرح الأفليلي وإصابته، أو غموضه وعدم الوفاء بمتطلبات الدقة والإصابة، واستعنت في هذا المجال بشرح ابن جنى والواحدي وابن المستوفى الأربلي.

---

(١) التبيان ١/٣ و٣/٣.

تاسعاً : حاولت الدلالة جمع أبيات مخطوطة لندن بوضع إشارة ⌐ في أول الأبيات و ⌙ في نهاية شرحها.

عاشراً : ألحقت في مقدمة شرح كل بيت ما ورد من شرح لمفرداته المجتمعة معاً في نسخة (ل) ولم يكن في ذلك صعوبة في توزيع هذه المفردات، لأن شرح المفردات كان مرتباً متسلسلاً تبعاً للأبيات غالباً، إلا في مواضع معدودة محدودة لم يتبع نظام تسلسل الألفاظ تبعاً لتسلسل أبياتها المجتمعة.

نموذج رقم (١) الورقة الثالثة من نسخة ل

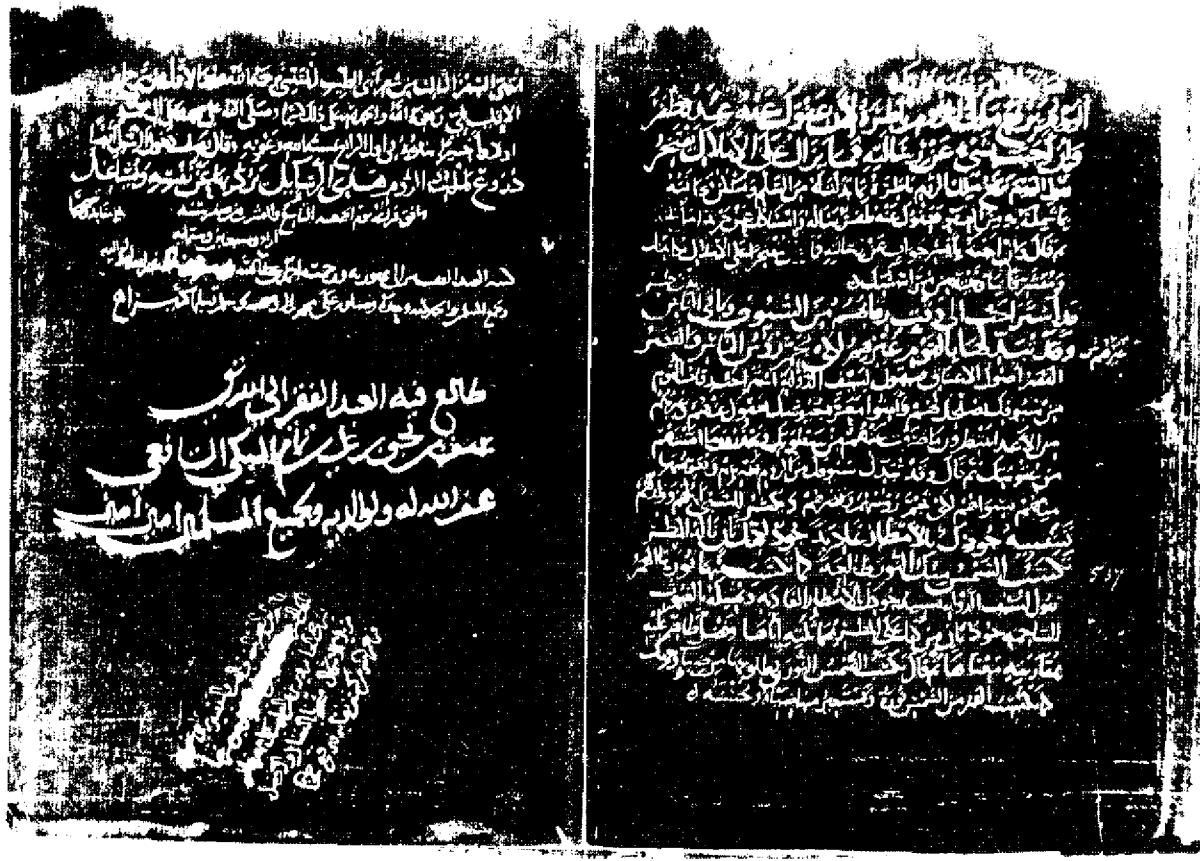

نموذج رقم (٢) الورقة الأخيرة من نسخة ل

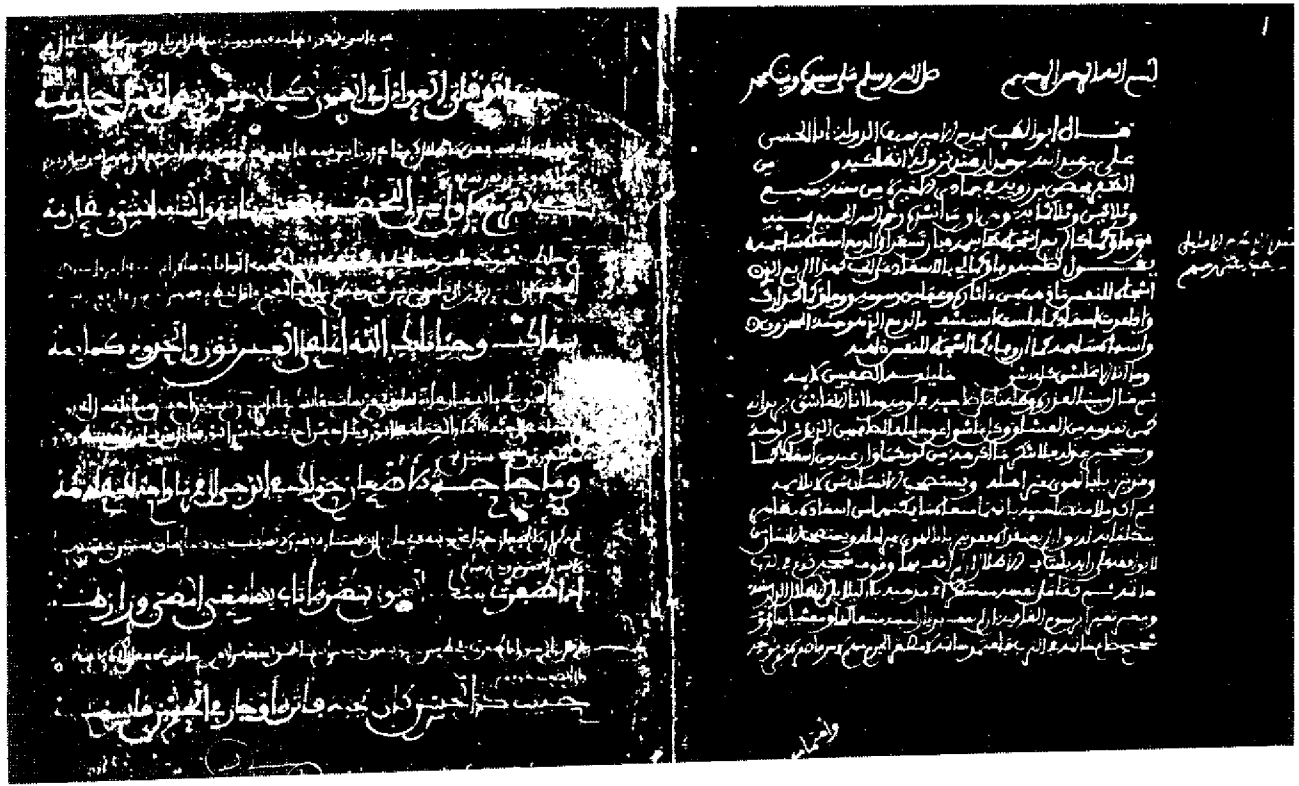

نموذج رقم (٣) الورقة الأولى من نسخة د

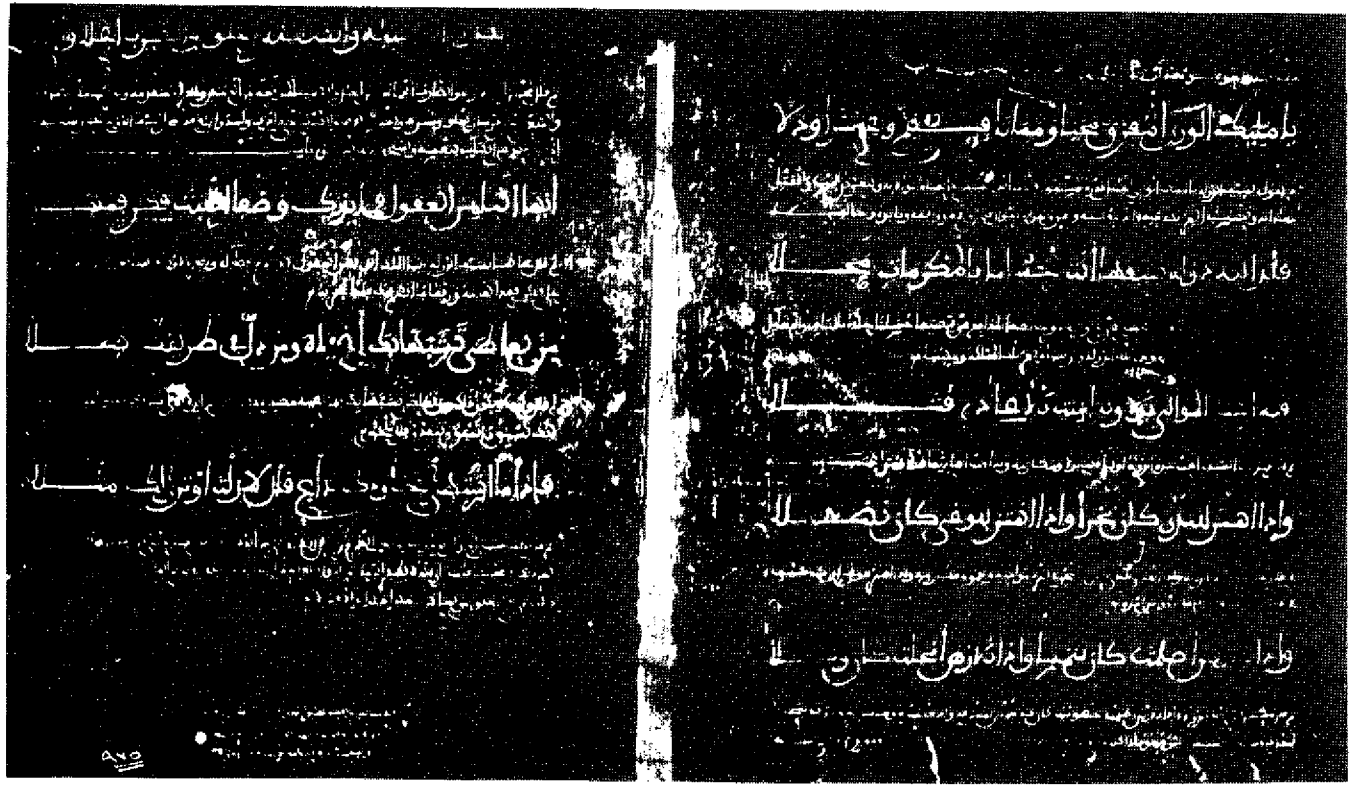

نموذج رقم (٤) الورقة الأخيرة من نسخة (ر)

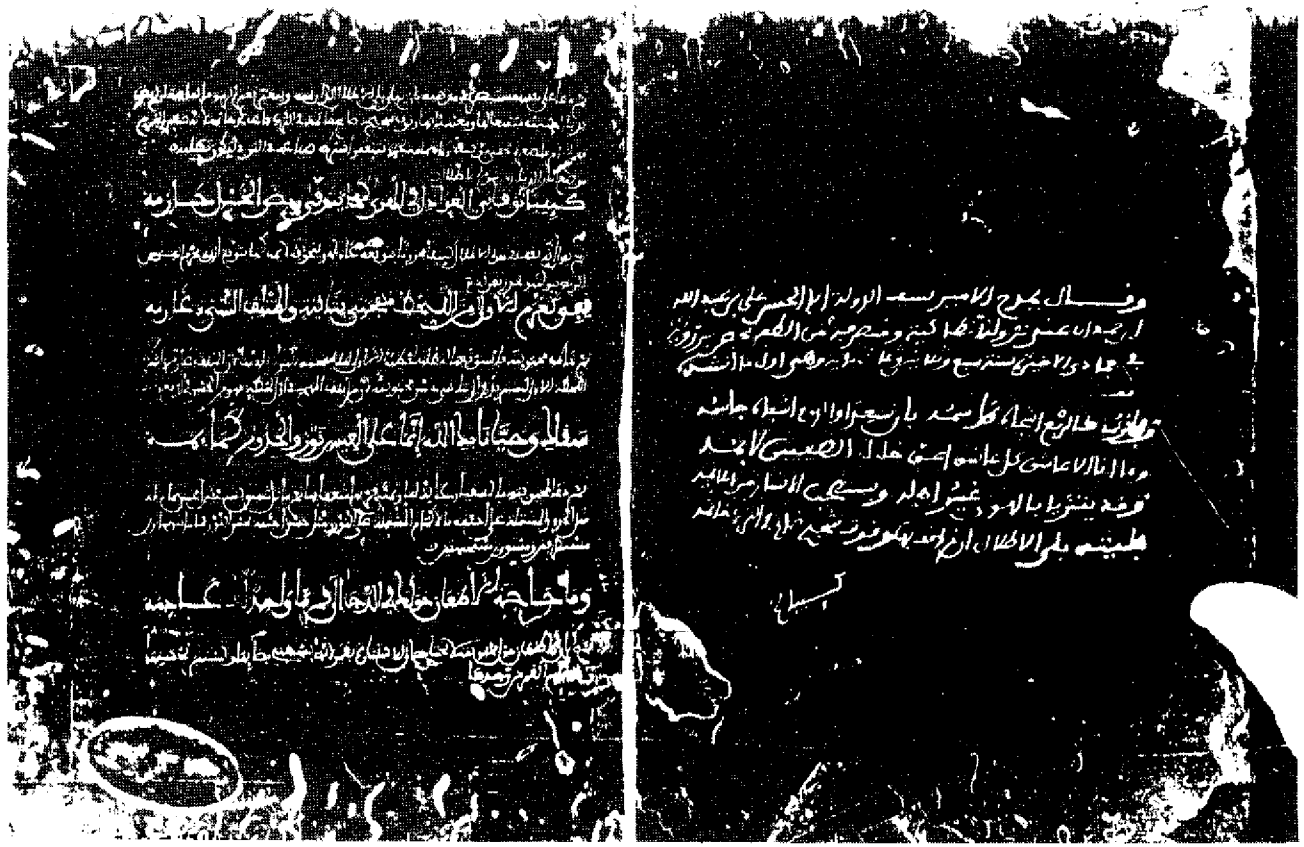

نموذج رقم (٥) الورقة الثالثة من نسخة ف

نموذج رقم (٦) الورقة الخامسة من نسخة ف

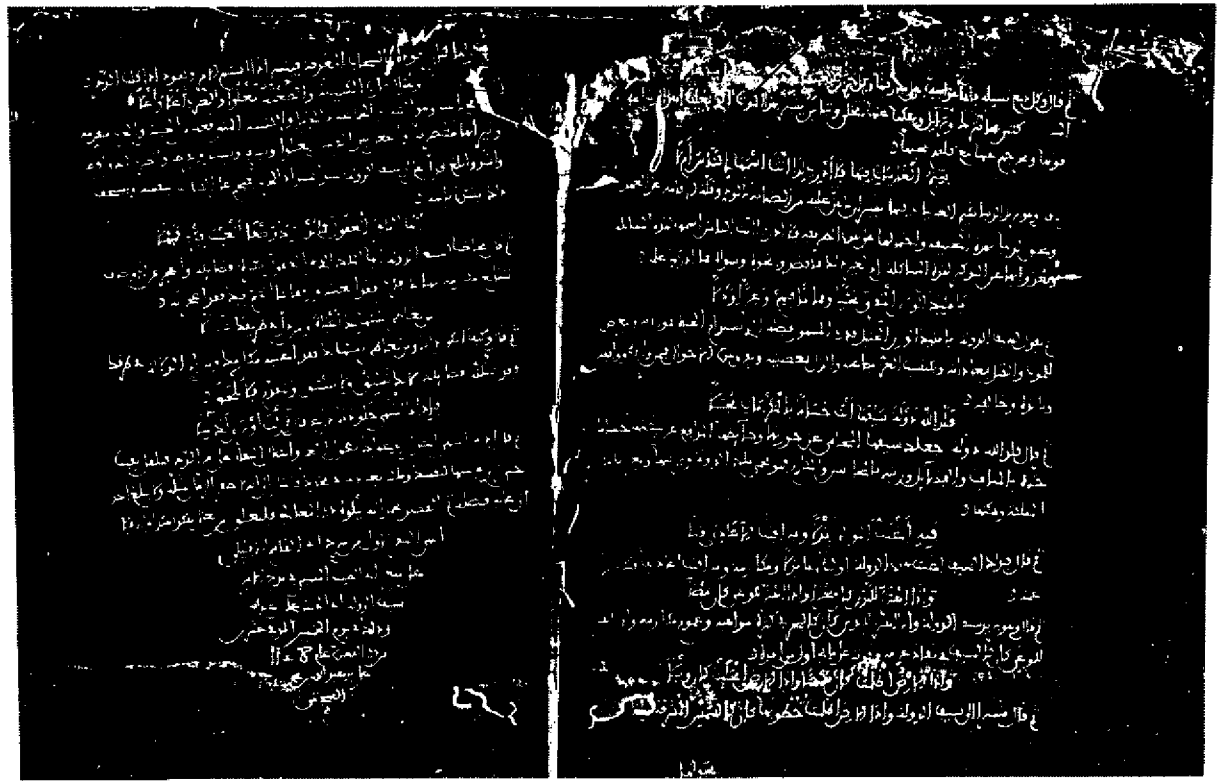

نموذج رقم (٧) الورقة الأخيرة من نسخة ط

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد

- ١ -

قَالَ أبو الطيِّب يَمْدَحُ الأميرَ سيفَ الدَّولةِ أبا الحَسَنِ عليَّ بنَ عَبْدِاللهِ بنَ حَمْدانَ عندَ نزولِهِ أَنْطاكِيَةَ، [ومُنْصَرَفِه][١] من الظَّفَرِ بِحِصْنِ بَرْزُوْيَه[٢]، في جُمَادَى الأَخِيْرَةِ من سَنَةِ سَبْعٍ وثلاثِينَ وثَلاثِمائةٍ، وهي أوَّلُ ما أَنْشَدَهُ. رَحِمَ اللَّهُ الجميعَ بِمَنِّهِ.

١[٣]ـ وفاؤُكما كالرَّبعِ أَشْجاهُ[٤] طاسِمُه[٥] بأن تُسْعِدا والدَّمعُ أَشْفَـاهُ[٦] ساجِمُـهْ

يقولُ: وفاؤُكما لي بالإسْعَـادِ عَلَى الحبِّ كهـذا الرَّبعِ، الَّذي أَشْجَـاهُ

---

(١) كذا في ت، ومطموسة في ر

(٢) حصن برزويه بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء، حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق، يضرب به المثل في بلاد الإفرنج بالحصانة، تحيط بها أودية من جميع جوانبها (معجم البلدان ١/ ٥٦٥).

(٣) جاء في هامش ر «أول القصيدة التي شرح الافليلي من كلام أبي الطيب المتنبي رحمهم الله» وقد وضع عليها علامة (صح).

(٤) أشجاه: أشده شجواً وحزناً، وقد توهمه ابن خالويه حين سمع القصيدة فعلاً ماضياً فقال: «يا أبا الطيب، إنما يقال شجاه، فقال أبو الطيب اسكت فما وصل الأمر إليك، قلت: إنما قصد أبو الطيب «أشجاه»: أكثره شجاً، لا الفعل الماضي». (نزهة الألباء ص ٢٩٩).

(٥) الطاسم: الدارس.

(٦) كذا في ف وفي رواية الواحدي والعكبري أيضاً، وفي ر «أسفاه».

لِلنَّفْسِ ما ذَهَبَ من آثارِهِ، وعَفَا من رُسُومِهِ، ووَفَاؤكما كذلك، وإذا عُدِمْتُ إسْعَادَكُما جَلَسْتُ أسْتَشْفِ بالدَّمعِ الذي هو جَنَّةُ المَحْزونِ. وأشفاهُ[1] سَاجِمه[2] كما أنَّ وفاءَكما أشجاه للنَّفْسِ ذاهِبُهُ[3].

٢ ـ وما أنا إلاَّ عاشقٌ كُلُّ عاشقٍ أعقُّ[4] خَلِيْلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لائِمُهْ

ثُمَّ قال، مُبَيِّناً لِعُذْرِه، وطاعِناً على صاحِبَيْهِ في لَوْمِهِ: وما أنا إلاَّ عاشِقٌ، يُريدُ: أنَّه كمن تَقَدَّمَهُ من العُشَّاقِ، وكلُّ عاشِقٍ أعَقُّ خَلِيْلَيْهِ المُصَافِيَيْنِ الذي يُؤْثِرُ لَوْمَهُ، وَيَسْتَجِيدُ عَذْلَه، فَالأَشكَرُ ما أكْرَهُهُ من لَوْمِكما، وأرْغَبُهُ من إسْعَادِكما.

٣ ـ وقد يَتَزَيا بالهَوَى غَيْرُ أهْلِهِ وَيَسْتَصْحِبُ الإنْسانُ من لا يُلائِمُهْ

ثُمَ أكَّدَ مَلامَةَ صاحِبَيْهِ، بأنَّهما مَنَعاهُ ما يُمكِنُهما من إسْعَادِهِ، بِظَاهرٍ يتكلَّفَانِهِ لَهُ وإن لم يَعْتَقِدَاهُ، فقد يَتَزَيَّا بالهوَى غَيْرُ أهلِهِ، ويَسْتَصْحِبُ الإنسانُ من لا يُوافِقُه على رَأْيِهِ.

٤ ـ بَلِيْتُ بِلَى الأَطْلالِ إنْ لَمْ أقِفْ بها وُقوفَ شَحِيْحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتِمُهْ

ثُمَّ دَعا[5] على نَفْسِهِ، مُسْتَبْصِراً في مَذْهَبِهِ، بأنْ يَبْلى بِلَى الأَطْلالِ

---

(١) في ر «أسفاه».

(٢) الساجم: السائل.

(٣) قال ابن حني في معنى هذا البيت: «كنت أبكي الربع وحده، فصرت أبكي وفاءكما معه، ولذلك قال «وفاؤكما كالربع» أي كما ازددت بالربع وبوفائكما وجداً زدت بكاء». (التبيان ج ٣/٣٢٦).

(٤) ساقطة من ر.

(٥) يقابل صفحة ٣ التي يبدأ بها مخطوط فاس.

الدَّارِسَةِ، وَيَتَغَيَّرَ تَغَيُّرَ الرُّسُومِ العَافِيَةِ[1]، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِدِيَارِ أَحِبَّتِهِ، مُتَتَبِّعاً[2] لها، ومُعْتَنِياً بها[3]، وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ خَاتَمُهُ فِي التُّرَبِ. واعتَمَدَ خَاتَمَهُ؛ لأَنَّه صَغِيرٌ[4] الجِرْمِ، مُهِمُّ الأَمْرِ، فَلِصِغَرِهِ[5] يَخْفَى مَوْضِعُهُ، ولاهْتِمَامِهِ يُحَبُّ[6] تَتَبُّعُهُ. واشْتَرَطَ ضَيَاعَهُ فِي التُّرَبِ[7] لِيَكُونَ تَطَلُّبُهُ فيه، وهو مَوْضِعُ آثَارِ الدِّيَارِ، وَرُسُومِ الأَطْلاَلِ.

٥ ـ كَثِيْباً تَوَقَّانِي العَوَادِلُ فِي الهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيِّضَ الخَيْلِ حَازِمُهْ

ثُمَّ يقولُ: إِنَّه يَقِفُ فِي هَذِهِ الأَطْلاَلِ كَثِيْباً مَحْزُوناً، يَتَوَقَّادُ[8] عَاذِلُهُ، وَيَتَخَوَّفُهُ لائِمُهُ، كما يَتَوَقَّى[9] الذي يَحْزِمُ الفَرَسَ الرَّيِّضَ[10] صَوْلَتَهُ، وَيَحْذَرُ نَفْرَتَهُ[11].

٦ ـ فَقِفي تَغْرَمِ الأُولَى مِنَ اللَّحْظِ مُهْجَتِي بِثَانِيَةٍ وَالْمُتْلِفُ الشَّيءَ غَارِمُهْ

ثُمَّ خَاطَبَ مَحْبُوبَتَه، فاستَوْقَفَها لِيَطْلُبَ لَحْظَتَه الأُولَى لها، بِمُهْجَتِهِ التي أَتْلَفَتْها؛ لأَنَّ المُتْلِفَ غارِمٌ. واشْتَرَطَ اللَّحظَةَ الأُولَى، يُشِيرُ بذلك إِلَى تَنَاهِي

(١) في ر «ويتغير تغيراً برسوم العافية».
(٢) في ر «متبعا» وفي ت «متوجعاً لها».
(٣) كذا في ف، ت وفي ر «معشياً بها».
(٤) كذا في ف، ت، وفي ر «مصغر».
(٥) كذا في ف، ت وفي ر «فاصغره».
(٦) كذا في ت وفي ف «يجب» ومطموسة في ر.
(٧) كذا في ر، ف وفي ت «التراب».
(٨) كذا في ت، وفي ر، ف «يتوقعه».
(٩) في ر، ف «يتوقع»
(١٠) الرَّيض: من الأضداد، المذلل من الخيل، والصعب منها الذي يشد حزامه لأنه لم تستحكم رياضته.
(١١) في ت «كما يتوقى الذي يحزم الريض من الخيل صولته، ويتخوف نفرته».

حُسْنِ مَحْبُوبَتِهِ؛ لأنَّ من أَتْلَفَ المُهَجَ في أَوَّلِ لَحْظَةٍ فهو من الحُسْنِ في أَرْفَعِ مَرْتَبةٍ.

٧ ـ سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ والخُدُودُ كَمَائِمُهْ

ثُمَّ دَعَا لِمَحْبوبَتِهِ بالسُّقْيَا، رِعايةً لها، وتَمَنَّى قُربَها، شَغَفاً بها، ثُمَّ مَاثَلَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ أحسنَ مُمَاثَلة؛ مَثَّلَ الخُدُورَ المُشْتَمِلَةَ على أَحِبَّتِهِ بالأَكْمَامِ[1] المُشْتَمِلَةِ على النَّوْرِ، ومَثَّلَ حُسْنَ أحِبَّتِهِ بِحُسْنِ النَّوْرِ، فماثَلَ بَيْنَ سَاتِرَيْنِ مُسْتَطْرَفَيْنِ، ومَسْتُورَيْنِ مُسْتَحْسَنَيْنِ.

٨ ـ وما حَاجَةُ الأَظْعَانِ حَوْلَكِ في الدُّجَى إلى قَمَرٍ ما واجِدٌ لكِ عَادِمُهْ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الأَظْعَانَ[2] حَوْلَ مَحْبُوبَتِهِ لا تَحْتَاجُ إلى الاسْتِنَارَةِ بِقَمَرٍ؛ لأنَّها تَسْتَغْنِي بِضِيَائِها، وَتَسْتَنِيرُ بِحُسْنِها، ولا يَعْدَمُ القَمَرَ مَنْ وَجَدَها.

٩ ـ إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكِ العُيُونُ بِنَظْرَةٍ أَثَابَ بها مُعْيِ المَطِيِّ وَرَازِمُهْ[3]

ثُمَّ قالَ: إنَّ العيُونَ إذا ظَفِرَتْ بِلَحْظَةٍ من مَحْبُوبَتِهِ أَوْجَبَتْ من النَّشَاطِ، وَبَعَثَتْ من الفَرَحِ، ما يَثُوبُ مَعَهُ إلى المُعْيِي[4] نَشْطَتُهُ، وإلى الضَّعيفِ قُوَّتُهُ.

١٠ ـ حَبِيبٌ كَأَنَّ الْحُسْنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَآثَرَهُ أَوْ جَارَ في الْحُسْنِ قَاسِمُهْ

ثُمَّ وَصَفَ حَبِيبَتَهُ بِوُفُورِ الحَظِّ من الحُسْنِ، حَتَّى كَأَنَّ الحُسْنَ أَحَبَّهُ، فَخَصَّهُ بِجُملَتِهِ وَآثَرَهُ في قِسْمَتِهِ[5].

(١) الأكمام: جمع كُمّ: وهو وعاء النَّوْر.

(٢) الأظعان: جمع ظَعِيْنة، وهي المرأة في الهودج.

(٣) الرازم من الإبل: من قام من الاعياء والهزال فلم يتحرك.

(٤) ساقطة من ف.

(٥) «فخصه ... قسمته» مطموس في ر.

١١ ـ تَحُولُ رِمَاحُ الخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ وَيُسْبَى[١] لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهْ

ثُمَّ قَالَ: إنَّ مَحْبُوبَتَهُ مِنْ قَوْمٍ أَعِزَّةٍ، لا يَطْرَحُ عَدوٌّ في أن يَسْبِيَ[٢] فيهم، ولا تَعْتَصِمُ كرائمُ غَيْرِهم مِنْهُم، وإنَّها تَأْمَنُ السَّبْيَ، ويُسْبَى[٣] لها كرائمُ الأَحْيَاءِ.

١٢ ـ وَيُضْحَى غُبَارُ الخَيْلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وآخِرُهَا نَشْرُ الكِبَاءِ[٤] المُلازِمُهْ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ أَدْنَى سُتورِها مِمَّن أَرَادَها غُبَارُ خُيولِ قَوْمِها، وأَقْرَبَها منها دُخَانُ بُخُورِها[٥]، فَوَصَفَها بأَشَدِّ المَنَعَةِ، وذكَرَ أَنَّها في غَايةِ النِّعْمَةِ.

١٣ ـ وَمَا اسْتَغْرَبَتْ عَيْنِي فِرَاقاً رَأَيْتُهُ ولا عَلَّمَتْنِي غَيْرَ ما القَلْبُ عَالِمُهْ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ لم يَسْتَغْرِبْ ما طَرَقَهُ به الدَّهْرُ من فِراقِ أَحَبَّتِهِ[٦]، لِما تَصَرَّفَ فيهِ مِنْ حَوادِثِ الأَيَّامِ وفَجَائِعِها، وإنَّما عُلِّمَ ما[٧] عَلِم، وطُرِقَ بما عَهِدَ.

١٤ ـ فَلا يَتَّهِمْنِي الكَاشِحُونَ فَإِنَّنِي رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَتْ بِي عَلاقِمُهْ

ثُمَّ قالَ: فلا يَتَّهِمِ الكاشِحُونَ[٨] قَوْلَه، ولا يَسْتَنكِروا أَمْرَهُ، فَقَدْ تَقَلَّبَ في صُروفِ الدَّهرِ وشَدَائِدِهِ حَتَّى استَحْلَى مُرَّهُ، واسْتَسْهَلَ صَعْبَهُ.

---

(١) في رواية التبيان «ويُسْبَى».

(٢) في ت «يغير».

(٣) كذا في ف، ت وفي ر «وتسبى».

(٤) الكباءُ: العودُ الذي يُتَبَخَّرُ به.

(٥) في ر، ف «بحورها» وهو تصحيف.

(٦) «من فراق أحبته» ساقطة من ف.

(٧) في ت «بما».

(٨) الكاشحون: جمع كاشح وهو مضمر العداوة لأنه يطوي كشحه عليها فيستِرها.

١٥ ـ مُشِبُ الذي يَبْكي الشَّبَابَ مُشِيْبُهُ فَكَيْفَ تَوَقِّيهِ وَبَانِيْهِ هَادِمُهْ

ثُمَّ ذكَرَ تَقلُّبَ الدَّهرِ بأَهْلِهِ، وَتَصْريفِهِ لهم بِطَبْعِهِ، وأَنَّهُ الذي سَرَّ بالشَّبابِ وأَبْكى(*) بالمَشِيبِ، فكيفَ تَوَقِّيهِ! وإنَّما يَهْدِمُ ما بَنَاهُ، ويأْخُذُ ما أَعْطَاهُ.

١٦ ـ وَتَكْمِلَةُ العَيْشِ الصِّبَا وَعَقِيْبُهُ وغَائِبُ لَوْنِ العَارِضَيْنِ وَقَادِمُهْ

ثمَّ قَالَ: إنَّ العُمُرَ إنَّما تَكْمِلَتُهُ بالصِّبَا والكِبَرِ، وَالشَّبَابِ والشَّيْبِ، وإنَّها تَتَعاقَبُ وتَتداولُ؛ فالصِّبَا أوَّلُ، والكِبَرُ آخرُ، وَسَوَادُ الشَّعَر غَائبٌ، والشَّيْبُ قَادِمٌ.

١٧ ـ وما خَضَبَ النَّاسُ البَيَاضَ لأَنَّهُ قَبِيْحٌ ولكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحِمُهْ

ثمَّ قالَ: إنَّ الشَّيْبَ(١) لم يُخْضَبْ لِقُبْحِهِ، ولا اسْتُحْسِنَ سَوادُ الشَّعَرِ لِنَفْسِهِ(٢)، ولكنَّ الشَّيْبَ دَلَّ على انقِضَاءِ العُمْرِ فاسْتُكْرِه، وأَطْمَعَ فَاحِمُ الشَّعْرِ في العَيْشِ فاسْتُحْسِنْ.

١٨ ـ وأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّبِيْبَةِ كُلِّهِ حَيَا بَارِقٍ في فَازَةٍ أَنَا شَائِمُهْ.

الحَيَا: الغَيْثُ الذي تَحْيَا به الأَرْضُ، والبَارِقُ: السَّحابُ المُلْمِعُ، والشائِمُ الذي يَرْقَبُ مَوْضِعَ الغَيْثِ، والفَازَةُ القُبَّةُ(٤).

(*) من هنا يبدأ مخطوط لندن.

(١) كذا في ل، ف وفي ر «المشيب»

(٢) كذا في ل، وفي ر، ف «لحسنه».

(٣) في ر، ف «بارق» بالرفع.

(٤) «الحيا... القبّة» زيادة في ل.

وكانَ[1] سَيْفُ الدَّولةِ قد اصطنَعَ فَازَةَ دِيْباجٍ فَوَصَفَها[2] أبو الطَّيِّبِ في هذا الشِّعرِ، وتَسَبَّبَ إلى المدح أَلْطَفَ تَسَبُّبٍ[3]، فقالَ: إنَّ أحسنَ من ماءِ الشَّبِيْبَةِ الذي اجتَمَعَ النَّاسُ على الكَلَفِ بِوَقْتِهِ، والأَسَفِ لِفَقْدِهِ[4]، جودٌ يُشْبِهُ الغيثَ بكَثْرَتِهِ، لَمِلِكٍ يَخْلُفُ السَّحَابَ بكَرَمِهِ، نَشِيمُه: أي: نَرْقُبُه[5] من قُبَّةٍ، ونَنْتَجِعُهُ[6] من فَازَةٍ. وأَشَارَ بذلكَ إلى كَرَمِ سَيفِ الدَّولةِ الممدوحِ، وجَعَلَهُ حَيّاً على الاسْتِعَارَةِ[7].

١٩ ـ عَلَيْها رِيَاضٌ لم تَحُكْهَا سَحَابَةٌ وأَغْصَانُ دَوْحٍ لم تَغَنَّ حَمَائِمُهْ

ثُمَّ وَصَفَ الفَازَةَ، فَشَبَّه أَثْوَابَها بِقِطَعِ الرِّياضِ، إلاّ أنَّ أَمْثِلَةَ زَهَرَاتِها[8] لم تَحُكْهُ[9] أيدي السَّحابِ، وأغصانُ شَجَرِها مُخَالِفَةٌ لأَغْصَانِ سَائِرِ الشَّجرِ[10]؛ لأَنَّها لا تَتَغَنَّى حَمَائِمُها[11]، ولا تَتَجاوَبُ طُيُورُها. فَأَوْمى[12] بهذا[13] الاشتِراطِ إلى أَنَّها صُوَرٌ مُمَثَّلَةٌ، وصِناعاتٌ مُؤَلَّفَةٌ، وهذا من البَدِيعِ يُعْرَفُ بالإيماءِ والإشارةِ[14]. ـا

(١) في ر، ف «قال: كان سيف الدولة».
(٢) في ل «وكان اصطنع سيف الدولة فازة ديباج وصفها».
(٣) في ت «وتشبب إلى المدح بأحسن تشبب» وهو تصحيف.
(٤) زاد في ل «وماؤها رونقها ونضرتها».
(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يرقبه».
(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وينتجعه».
(٧) «الممدوح... الاستعارة» زيادة في ر، ف.
(٨) في ر، ف «زهراها».
(٩) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تحكها».
(١٠) في ت «الأشجار».
(١١) في ر، ف «لا يتغنى حمامها».
(١٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فأشار».
(١٣) زاد في ر، ف «إلى».
(١٤) زيادة في ل، ت.

٢٠ ـ وَفَوْقَ حَواشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوَجَّهٍ مِن الدُّرِّ سِمْطٌ لم يُثَقِّبْهُ نَاظِمُهْ

السِّمْطُ: السِّلْكُ المُعَلَّقُ المنظومُ، والمُوَجَّهُ: المُسْتَقْبَلُ[١].

ثمَّ ذَكَرَ[٢]: أَنَّ كُلَّ ثَوْبٍ يُسْتَقْبَلُ من هذهِ الفَازَةِ فوقَ حَوَاشِيهِ سُمُوطُ لآلِئَ تَجْتَمِعُ غَيْرَ مَثْقُوبَةٍ، وتَتَأَلَّفُ[٣] غَيْرَ مَنْظومَةٍ، يومِئُ[٤] بهذا الاشْتِراط[٥] إلى أَنَّها لآلِئُ أَمْثِلَةٍ، لا لآلِئُ حَقِيْقَةٍ.

٢١ ـ تَرَى حَيوانَ البَرِّ مُصْطَلِحاً[٦] بها يُحَارِبُ ضِدٌّ ضِدَّهُ ويُسَالِمُهْ

ثُمَّ ذَكَرَ ما تَشْتَمِلُ عَليهِ أَثْوَابُ[٧] هذه الفَازَةِ مِنَ التَّصَاوِيرِ، وأَنَّ الأَضْدَادَ من حَيوانِ البَرِّ تَبْدو فيها[٨] إذا سَكَنَتْ مُصْطَحِبَةً[٩] مُتَسالِمَةً، وإذا اضطربَتْ مُخْتَلِفَةً مُتَوَاثِبَةً.

٢٢ ـ إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَاجَ كأَنَّه[١٠] تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدْأَى ضَراغِمُه

المَذَاكي: الخيلُ المُسِنَّة، وَتَدْأَى: تَتَهَيَّأُ للوثوبِ، والضَّراغِمُ: الأُسْدُ[١١].

---

(١) «السمط... المستقبل» زيادة في ل.

(٢) في ل «فيريد».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتأتلف».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «فيومىء».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بهذه الإشارة».

(٦) في ر، ف «مُصْطَجِباً» وهو تحريف.

(٧) في ل «أمثلة» وفي ر «أبواب» وهو تصحيف ولعل ما أثبته الصواب إذا ورد تعيينها في شرح البيت التالي.

(٨) في ر، ف «يبدو فيه».

(٩) في ر، ف: مضطجعة.

(١٠) في ر، ف «كأنما».

(١١) «المذاكي... الأسد» زيادة في ل.

ثُمَّ يقولُ [1]: إذا حَرَّكتِ الرِّيحُ شَيْئاً من هذه الأثْوابِ، أراكَ [2] المَذاكيَ من خَيْلِهِ في هَيْئَةِ المُتَجاوِلةِ، والضَّرَاغِمَ من أُسْدِهِ [3] في هَيْئةِ المُتَصاوِلةِ.

٢٣ ـ وفي صُورَةِ الرّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ لأَبْلَجَ [4] لا تِيجَانَ إلاَّ عَمَائِمُهْ

الأَبْلَجُ: النَّقِيُّ ما بينَ الحاجِبَيْنِ، وهو من صِفاتِ السَّادَةِ [5].

فَيَقولُ[6]: إنَّ في أَمْثِلَةِ ذلكَ الدِّيباجِ صورةَ سيفِ الدَّولةِ، وصورةَ مَلِكِ الرُّومِ وقد تَخاضَعَ له، وتَذَلَّلَ على عَادَتِهِ، وأَنَّ ملكَ الرُّومِ، وإن كانَ مُتَوَّجاً فإنَّ التِّيجَانَ في الحقيقَةِ العَمائِمُ التي هي زِيُّ سيفِ الدَّولةِ، وأن أَرْفَعَ الزِّيِّ زِيُّ[7] مَنْ تكونُ لَهُ الغَلَبَةُ، وَتُعْرَفُ فيه القُدْرَةُ[8].

٢٤ ـ تُقَبِّلُ أَفْوَاهُ المُلُوكِ بِسَاطَهُ ويَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ

البَراجِمُ: رؤوسُ السُّلاميات من ظاهِرِ الكَفِّ، إذا قَبَضَ القابِضُ يَدَهُ نَشَزَتْ وارتَفَعَتْ، واحِدَتُها بُرْجُمة[9].

ثُمَّ أَخَذَ في مَدْحِهِ، ووَصْفِ حَالِهِ، فقالَ: إنَّ الملوكَ يَتواضَعونَ عن تَقْبيلِ

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «أرتك».

(٣) «من أسده» زيادة في ل.

(٤) في رواية الواحدي «لأَبْلَخ» قال: «وعنى بالأبلخي سيف الدولة، ويروى بالجيم...».

(٥) «الأبلجُ... السادة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ت «وإن رفع الرأي رأي» وهو تحريف.

(٨) «وأن أرفع... القدرة» زيادة في ل.

(٩) البراجم.... برجمة» زيادة في ل.

يَدِهِ وكُمِّهِ، وَيَقتَصِرُون عَلى تَقْبِيلِ بِسَاطِهِ، إعظاماً لِقَدْرِهِ، واعتِرَافاً بِفَضْلِهِ[1].

٢٥ ـ قِيَاماً لِمن يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ وَمِنْ بَيْنِ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ[2] مَوَاسِمُهْ.

ثُمَّ ذَكَرَ[3] أنَّ الملوكَ يَقومُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ إعظاماً لَهُ، وأنَّ أَدَبَهُ[4] يُبَصِّرهم من جَهْلِهِم، ويَشْفِيهم من دائِهم، وأنَّ مِلْكَهُ لِقُرومِهم[5] وذَوي الأَقْدارِ مِنْهم، يَقُومُ[6] مَقَامَ السِّمَةِ بَيْنَ آذانِهم، والوَسْمُ في الأَعناقِ والأَيْدي غايَةُ اسْتِذْلالِ المالِكِ لِمَن مَلَكَهُ، وقد فَعَلَ ذلكَ الحجَّاجُ بِقَوْمٍ مِنْ عَجَمِ السَّوادِ؛ ولذلِكَ قالَ الفَرَزْدَقُ في بَعْضِ مَنْ طَعَنَ على نَسَبِهِ من العَرَبِ:

لو كانَ حَيّاً لَهُ الحَجَّاجُ ما وُجِدَتْ كَفَّاهُ سَائِلَةً من نَقْشِ حَجَّاجِ[7]

٢٦ ـ قَبَائِعُهَا تَحتَ المَرَافِقِ هَيْبَةً وأَنْفَذُ مِمَّا في الجُفُونِ عَزَائِمُهْ

القَبائِعُ: رؤوسُ السُّيوفِ، واحِدَتُها قَبِيْعَةٌ[8].

ثُمَّ ذَكَرَ[9] أنَّ الملوكَ لإعظامِها له[10]، تَعْتَمِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ على قَبائِعِ سُيُوفِها، وعَزَائِمُهُ أَنْفَذُ مما في جُفُونِها.

---

(١) في ت «لفضله».

(٢) في ر، ف: «أدنى كل قوم».

(٣) في ل «يريد».

(٤) في ل «أدبهم».

(٥) القروم: جمعُ قَرْم: وهو السَّيد.

(٦) في ر، ف «يقومون».

(٧) لم أجده في ديوانه ونسبه المبرد لشاعر آخر (الكامل ٢/٩٧).

(٨) «القبائع... قبيعة» زيادة في ل.

(٩) في ل «فيريد».

(١٠) «لإعظامها له» زيادة في ر، ف.

٢٧ ـ لَـهُ عَسْكَـرا خَيْـلٍ وَطَـيْرٍ إذا رَمَى بِهَـا عَسْكَـراً لم تَـبْقَ إلاَّ جَمَـاجِمُـهْ

ثُمَّ ذَكَرَ[١] أنَّ الطَّيرَ تَصْحَبُ خَيْلَهُ اعتياداً[٢] لِكثرةِ وقائِعِها، على نَحو قَوْلِ النَّابغةِ[٣]:

إذا مـا غـزَوا بـالجَيْشِ[٤] حَلَّق فَـوْقَهمْ عَصَـائبُ طَـيْرٍ تَهْتَـدى بِعَـصَـائِبِ

فَكأَنَّها لُمِلازَمَتِهـا عَسْكَرهُ[٥] من عَـدِيدِ جَيْشِـهِ[٦] وحَشَمِهِ، فـإذا رَمَى عَسْكَراً بِخَيْلِهِ وَطَيْرِهِ أَهْلَكَهُ، ولم يَبْقَ منه غَيْرُ[٧] جَماجِمِ أَهْلِهِ.

٢٨ ـ أَجِـلَّتُهـا مـن كُـلِّ طَـاغٍ ثِيَـابُـهُ وَمَـوْطِئُهَـا مِنْ كُـلِّ بَـاغٍ مَـلاَغِمُـهْ

ثُمَّ[٨] ذَكَرَ قُدْرَتَهُ على أَعاديهِ، واسْتِعْلاءَهُ على مُخَالِفيهِ، فقالَ: إنَّ جِلالَ خَيْلِهِ من ثِيابِ طُغاتِهم، ومواطِئَها مَلاَغِمُ أفواهِهم، مُشيراً بذلِكَ إلى قَتْلِهِم، والمَـلاغِمُ: ما حَـوْلَ الفَمِ[٩]، وليسَ تَتِمُّ هذه الصِّفَـةُ التي ذكرَ إلاَّ بَعْـدَ الإمعانِ في قَتْلِهم[١٠]، وإهلاكِـهِ لهم[١١]، وبلوغِ[١٢] الغايةِ في الظُّهورِ عليهم.

---

(١) في ل «يريد».

(٢) في ر، ف: «اعتياداً».

(٣) ديوان النابغة ص: ٤٢.

(٤) في ر، ف «غزى»، وفي الديوان «في الجيش».

(٥) «لملازمتها عسكره» زيادة في ر، ف.

(٦) «جيشه» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «إلاَّ».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) «والملاغم... الفم» زيادة في ل

(١٠) «الإمعان في قتلهم» زيادة في ل.

(١١) «إهلاكه لهم» زيادة في ر، ف.

(١٢) في ر، ف «وبلوغه».

٢٩ ـ فقد مَلَّ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِمَّا تُغِيرُه وَمَلَّ سَوَادُ الليلِ مِمَّا تُزَاحِمُهْ

ثمَّ ذكرَ[١]: أَنَّهُ لا يَزالُ يُغِيرُ في الصُّبحِ، ويَسْري في اللَّيلِ، ويُطَاعِنُ بالرِّماحِ حتَّى تَتَكَسَّرَ صُدُورُها، ويُلاطِمُ بالسُّيوفِ حَتَّى يُمِلَّها[٢].

٣٠ ـ ومَلَّ القَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورَه وَمَلَّ حَدِيدُ الهِنْدِ مِمَّا تُلاَطِمُهْ

٣١ ـ سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ تَزْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إذا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ

ثمَّ وَصَفَ جيوشَهُ وكَثْرَتَها، وَصُحْبَةَ الطَّيرِ[٣] لها[٤] وملازَمَتَها، فَشبَّه العِقْبَانَ لِكَثْرَتِها بِسَحائِبَ[٥] مُسْتَعْلِيةٍ، تَحْتَها سَحَابٌ من جُيوشِهِ، إذا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا سيوفُهُ من دِماءِ أَعْدَائِهِ[٦]، وأَلْحَمتْ طُيُورُهُ[٧] أَجْسَادَهم. وحَذَفَ من هذا في لَفْظِهِ ما دَلَّ عليه بإشارَتِهِ.

٣٢ ـ سَلَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزْمٍ مُؤْيَدَاتٍ قَوَائِمُهْ

المُؤْيَدَاتُ: المُثْقَلاَتُ[٨].

ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَهُ[٩]: أَنَّه سَلَكَ صُروفَ الدَّهْرِ بِتَقَلُّبه فيها، حَتَّى لَقِيَ سيفَ

---

(١) في ل: «يريد».

(٢) في ر، ف «ويكسر بالمطاعنة صدر الرماح؛ ويلاطم بالسيوف حتى يبلغ من ذلك المبلغ المِلَّ».

(٣) في ر، ف «وصحبه جمل الطير».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «سحاب».

(٦) في ر، ف «أعاديه».

(٧) في ل «طيورها».

(٨) «المؤيدات: المثقلات» زيادة في ل.

(٩) «ثم ذكر نفسه» زيادة في ر، ف، وفي ل «يريد».

الدّولةِ[1] مُمْتَطياً لِعَزمٍ قد أَثْقَلَ وفورُهُ قوائِمَهُ. وجَرَى هذا على سَبيلِ الاسْتِعارَةِ.

٣٣ ـ مَهَالِكَ لم تَصْحَبْ بِهَا الذِّئبَ نَفْسُهُ ولا حَمَلَتْ فِيهَا الغُرابَ قَوَادِمُهْ

ثُمَّ وَصَفَ ما تَقَلَّبَ فيهِ من خُطُوبِ الدَّهرِ، قَبْلَ لِقَائِهِ سَيْفَ الدَّولةِ[2]، فَشَبَّهَها بالمَهَالِكِ من القِفَارِ[3]، التي لا تَصْحَبُ الذِّئْبَ فيها نَفْسُهُ مَعَ جُرْأَتِهِ عَليها، ولا تَحْمِلُ الغُرابَ فيها قَوادِمُهُ مَعَ اعتيادِهِ لها.

والقَوادِمُ: صُدورُ ريشِ جَنَاحِ الطَّائرِ، أربعٌ في كلِّ جَناح[4].

٣٤ ـ فَأَبْصَرْتُ بَدْراً لا يَرَى البَدْرُ مِثْلَهُ وخَاطَبْتُ بَحْراً لا يَرَى العِبْرَ عَائِمُهْ

عِبْرُ النَّهرِ: شَطُّهُ[5].

ثُمَّ ذكرَ[6]: أنه أَبْصَرَ مِنْ سَيْفِ الدَّولةِ؛ مَمْدوحِهِ،[7] بَدْرَ كَرَمٍ، ومَوْلَى نِعَمٍ، يَسْتَعْظِمُ البَدْرُ أَمْرَه، وَيَقْصُرُ دُونَه، ولا يَعْهَدُ مِثْلَهُ، وخَاطَبَ بَحْراً لا يُبْصِرُ العائِمُ شَطَّه، ولا يُدْرِكُ النَّاظِرُ[8] سَاحِلَهُ.[9]

٣٥ ـ غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِفَاتِهِ بِلاَ وَاصِفٍ والشِّعْرُ تَهْذِي طَمَاطِمُهْ

---

(١) في ر، ف «الممدوح».
(٢) في ر، ف «الممدوح».
(٣) في ر، ف «الفلوات».
(٤) «والقوادم... جناح» زيادة في ل.
(٥) «عبر النهر: شطه» زيادة في ل.
(٦) في ل «فيريد».
(٧) زيادة في ر، ف.
(٨) ساقطة من ر، ف.
(٩) في ل «آخره».

الطَّماطِمُ: أصواتٌ لا يَسْتَبِينُ لَفْظُها[1].

ذَكَرَ[2]: أنَّه[3] غَضِبَ له من جَلالَةِ أوْصَافِهِ، وَتَقْصِيرِ وُصَّافِهِ، وَشَبَّهَ ما كانَ يُمْدَحُ بـه من الشِّعرِ قَبْلَهُ بالطَّماطِمِ، التي هي[4] أصْواتٌ لا تُفْهَمُ، واخْتِلاَطاتٌ لا تُعْلَمُ، فوجَّهَ إلى قَصْدِهِ عَزْمَهُ، وأعْمَلَ في امتداحِهِ نَفْسَهُ.

٣٦ ـ وكُنْتُ إذَا يَمَّمْتُ أرْضاً بَعِيدةً سَرَيْتُ فَكُنْتُ السَّرَّ واللَّيْلُ كَاتِمُهْ

يقولُ[5]: إنَّه لِنَفاذِ[6] عَزْمِهِ، وشِدَّةِ جَلَدِهِ، إذا قَصَدَ أرْضاً بَعيدَةً إدَّرَعَ اللَّيلَ، واسْتَتَرَ بِهِ، وواصَلَ السُّرى فيه، وكانَ مَوْضِعُهُ من اشتِمَالِ الليلِ عليه، والخَفَاءِ فيهِ[7]، مَوْضِعَ السِّرِّ من حامِلِه، والضَّميرِ المَصُونِ من كاتِمِهِ.

٣٧ ـ لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِماً فَلاَ المَجْدُ مُخْفِيهِ ولا الضَّرْبُ ثَالِمُهْ

ثُمَّ أخَذَ[8] في المَدْحِ، فَقالَ: إنَّ المجدَ قد أعْلَمَ سَيْفَ الدَّولَةِ، مُبَاهياً بِجَلالَتِهِ، وَوَاثِقاً بِصَرَامَتِهِ، فلا المجدُ يُخْفِيه لِتَزَيُّنِهِ[9] بِمَوْضِعِهِ، ولا الضَّربُ يَثْلِمُهُ لِحَسَبِهِ[10] وكَرَمِهِ.

٣٨ ـ عَلَى عَاتِقِ المُلْكِ الأَغَرِّ نِجَادُهُ وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمواتِ قَائِمُهْ

(١) «الطماطم... لفظها» زيادة في ل.
(٢) زيادة في ر، ف.
(٣) في ل «وإنَّه».
(٤) في ف «هو».
(٥) في ر، ف «قال».
(٦) في ف «نفاد».
(٧) «والخفاء فيه» زيادة في ر، ف.
(٧) في ر، ف «وأخذ».
(٨) في ف «لتزيينه».
(٩) في ر «لمحسبه».

ثُمَّ [1] أخذَ لهُ صِفاتٍ من اسْمِهِ، أَبانَ بها جَلالَةَ قَدْرِهِ، فَقالَ: إنَّهُ من المُلْكِ في أَرْفعِ مَوَاضِعِهِ، ومن تَأْيِيدِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ [2] في المحَلِّ [3] الذي تُمْضِيهِ [4] فيه يَدُهُ، وإذا كانَ كذلكَ، اكتنَفَهُ نَصْرُهُ، وساعَدَتْهُ أَقْدَارُه.

٣٩ ـ تُحَارِبُهُ الأَعْدَاءُ وَهْيَ عِبَادُهُ [5] وَتَدَّخِرُ الأَمْوَالَ وَهْيَ غَنَائِمُهْ

ثمَّ قَالَ: الأَعْداءُ [6] تُحارِبُهُ وهي عِبَادُه، والعِبَادُ: جَمْعُ عَبْدٍ على قياسِهِ [7]؛ لأَنَّ قُدْرَتَهُ عَلَيْهِمْ قُدْرَةُ المالِكِ على عَبْدِهِ، وَتَدَّخِرُ الأَمْوالَ وهي غَنَائمُ لَهُ؛ لأَنَّها غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ عَلَيْهِ.

٤٠ ـ وَيَسْتَكْبِرُون الدَّهْرَ والدَّهْرُ دُونَهُ وَيَسْتَعْظِمُونَ الموتَ والموتُ خَادِمُهْ

ثُمَّ قالَ [8]: فمالَهُم يَسْتَكْبِرونَ الدَّهرَ، والدَّهرُ [9] دونَهُ؛ لأنه مُسْتَعْمَلٌ بِحَسَبِ إرادَتِهِ، تُقَرِّبُ لهُ فيهِ السَّعادَةُ بُغْيَتَهُ، وَيُسَهِّلُ عليهِ الإقبالُ رَغْبَتَه، وكذلِكَ يَسْتَعظِمونَ الموتَ، والموتُ يَخْدُمُهُ؛ لأَنَّه يُفْنِي أَعْدَاءَهُ، ويَبْتُرُ [10] أَعْمَارَهُم، وَيُقَلِّلُ عَدَدَهم، وَيُيَسِّر اللهُ ذلكَ له، وَيَنْتقِمُ من أعدائِهِ به.

(١) ساقطة من ل.

(٢) «عز وجل» زيادة في ل.

(٣) في ت «ومن تأييد الله بالجد».

(٤) في ر، ف «يمضيه».

(٥) في رواية التبيان «عبيده».

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف وفي ل «فالاعداء».

(٧) «والعباد: جمع عبد على قياسه» زيادة في ل.

(٨) «قدرته عليهم» ساقطة من ف، وفي ر «عليها».

(٩) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(١٠) ساقطة من ف.

(١١) في ر، ف «ينشر» وفي ت «يدمر».

٤١ ـ وإن الـذي سَـمَّى عَـلِيّـاً لَـمُنْصِفٌ وإنَّ الـذي سَمَّـاهُ سَيْفَـاً لَـظَالِمُـهْ

و[1]لـمَّا ذَكَرَ أَنَّ الدَّهرَ طَوْعُهُ، والموتَ مُعِيْنُه، قَضَى بالظُّلم على مَنْ سَمَّاهُ سَيْفَاً؛ لِتَقْصِيرِ السَّيْفِ عَنْهُ، وبالإنْصَافِ عَلَى مَنْ سَمَّاه عَلِيّاً؛ لِمُشَاكَلَة العُلُوِّ لَهُ، وَجَعَلَ هذا الاسمَ، وإنْ كَانَ عَلِيّاً[2] عَلَماً مَخْصُوصاً، صِفَةً مُشْتَقةً لهُ، تُشَاكِلُ حَالَهُ، وتوافِقُ حَقِيْقَتَهُ.

٤٢ ـ ومـا كُـلُّ سَيْفٍ يَقْـطَعُ الهـامَ حَـدُّهُ وتَقْـطَعُ لَـزْبَـاتِ الـزَّمَـانِ مَكَـارِمُـهْ

ثمَّ أَكَّدَ ذلكَ بقولِهِ: أَنَّهُ لا يُوجَدُ سَيْفٌ غَيْرُهُ يَقْطَعُ الهامَ حَدُّهُ، ويُوْجِبُ الخِصْبَ فَضْلُهُ، وتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمانِ مَكارِمُه، وهي الشَّدَائِدُ [3]، فَبَيَّنَ أَنَّ فَضْلَهُ على السَّيْفِ فَضْلٌ ظَاهِرٌ، وشَرَفُهُ عليه شَرَفٌ بَيِّنٌ، وأَنَّهُ يُقَصِّرُ [4] عَنْهُ، ويَتَواضَعُ دُونَهُ.

ـا

(١) الواو زيادة في ر، ف.

(٢) «علياً» زيادة في ل.

(٣) «وهي الشدائد» زيادة في ل.

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يصغر».

وقَالَ يَمْدَحُهُ، وقد عَزَمَ الرَّحيلَ عن أَنْطَاكِيَةَ:

١ - أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيُّهذا الهُمَامُ نَحْنُ نَبْتُ الرُّبَا وأَنْتَ الْغَمَامُ

الْمُزْمِعُ: الْمُعْتَزِمُ، والرُّبا: جَمْعُ رَبْوَةٍ، وهي الأَكَمَةُ[١].

فَيَقولُ[٢]: أينَ أَزْمَعْتَ على[٣] الرَّحيلِ عَنَّا أَيُّها الَملِكُ، ونحنُ الذينَ أَظْهَرْتَهُم نِعَمُكَ، إِظْهَارَ الغَمامِ لِنَبْتِ الرُّبَا، وهو مِنْ آنقِ النَّبْتِ، ولذلكَ ضَرَبَ اللَّهُ تعالى الَمثَلَ بهِ، فقالَ تعالى:[٤] «وَمَثَلُ[٥] الذينَ يُنْفِقونَ أَمْوَالَهم ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وتَثْبِيْتاً من أَنْفُسِهم، كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابها وابلٌ»[٦].

وهُوَ مَعَ ذلكَ أَقْرَبُ النَّبْتِ مَوْضِعاً من الغَمَامِ، وأَشَدُّهُ افتِقَاراً إليه[٧]؛ لأَنَّهُ لا يُقِيمُ فيه، وَيُسْرِعُ الانسِكابَ عَنْهُ، ولهذا[٨] شَبَّهَ أبو الطَّيِّبِ حالَهُ بهِ[٩]

---

(١) «المزمع... الأكمة» زيادة في ل، والأكمة: التل

(٢) كذا في ل وفي ر، ف «يقول»

(٣) في ر، ف «عن».

(٤) «تعالى» زيادة في ل

(٥) في ل «مثل».

(٦) «مثل الذين... وابل» زيادة في ل، وفي ر، ف «ولذلك ضرب الله تعالى المثل به، فقال كمثل جنة بربوة الآية» وفي ت «ولهذا ضرب الله به المثل في قوله: كمثل جنة بربوة اصابها وابلٌ» والآية ٢٦٥ من سورة البقرة.

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ل، ور، ف.. «ولهذا ما».

(٩) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تشبُّه المتنبي به في حالته».

٢ ـ نَحْنُ مَنْ ضَـايَقَ الزَّمـانُ لـه فيـ ـكَ وَخَـانَـتْـهُ قُـرْبَـكَ الأَيَّـامُ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ الزَّمَانَ ضَايَقَهُ في الاقتِرَابِ من سيفِ الدَّولةِ، ولم يَسْمَحْ لَهُ بهِ، وخَانَتْهُ الأَيَّامُ فيهِ؛ لاتِّصَالِ حَرَكاتِهِ، وكَثْرَةِ غَزَواتِهِ.

٣ ـ فِي سَبِيـلِ الْعُـلاَ قِتَـالُـكَ والسِّلْـ ـمُ وَهَـذا الْمُـقَـامُ والإِجْـذَامُ

السَّلمُ: الصُّلحُ، وأَوَّلُه يُكْسَرُ ويُفْتَحُ، فَمَنْ كَسَرَهُ ذكَّره، ومن فَتَحَهُ أَنَّثَهُ، والإِجذامُ: الإسراعُ[1].

فيقولُ[2]: إنَّ قِتَالَ سَيْفِ الدَّولةِ[3] وَسِلْمَهُ، وإِقَامَتَهُ ورِحْلَتَهُ في طريقِ المَجْدِ وسَبيلِ الكَرَمِ، وإنَّه لا يَأْلَفُ مِنْ ذلكَ إلاَّ ما شَرَّفَ قَدْرَهُ، وأَظْهَرَ فَضْلَه.

٤ ـ لَيْتَ أَنَّـا إذا ارتَحَلْتَ لَـكَ الخَيْـلُ وَأَنَّـا إذَا نَـزَلْـتَ الخِـيَـامُ

ثُمَّ قالَ: لَيْتَ أَنِّي ومَن يَتَّصِلُ بي نتَحَمَّلُ[4] من مَؤُونَتِك[5] ما تَتَحَمَّلُهُ[6] الخَيْلُ عِنْدَ رِحْلَتِكَ، ونَنُوبُ[7] في صِيَانَتِك عن الخِيامِ عندَ إِقَامَتِكَ، رَغْبَةً في الشَّرَفِ بِقُرْبك[8]، والقَضَاءِ لِحُقُوقِ فَضْلِكَ.

٥ ـ كُـلَّ يَـوْمٍ لَـكَ احتِمَـالٌ جَدِيدٌ وَمَسِـيرٌ لِـلمَـجْـدِ فيـه مُـقَـامُ

---

(١) «السلم... الإسراع» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ر، ف «الممدوح».

(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «يتحمّل».

(٥) في ت «موقرتك» وهو تحريف.

(٦) في ف «تحمله».

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وينوب».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «التشرف بك».

ثُمَّ ذَكَرَ[1]: أنه لا يَنْفَكُّ مِنْ مرحلَةٍ وغَزْوَةٍ، يُرَفِّهُ المجدُ فيها بِتَعَبِهِ[2]، وَيُجِمُّهُ بَتَمَوُّنِهِ، فَيُوجِبُ ذلك[3] انفِرَادَهُ بِهِ، واجْتِيازَهُ لَهُ. ولقد[4] أبدَعَ بالمُطَابَقَةِ بَيْنَ المسيرِ والمُقَامِ

٦ ـ وَإِذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ في مُرَادِهَا الأَجْسَامُ

ثُمَّ قالَ: وإِذَا عَظُمَتِ النُّفوسُ، وارْتَفَعَتِ الهِمَمُ، سَهُلَ في مُرَادِها الشَّدِيدُ، وَقَرُبَ البَعِيدُ، وَتَعِبَتِ الأَجْسَامُ، واسْتُكْرِهَ المُقَامُ.

٧ ـ وَكَذا تَطْلُعُ البُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلَقُ البُحُورُ العِظَامُ

وكَذلِكَ[5] البُدورُ إنَّما تَطْلُعُ علينَا سَائِرَةً، وَتَبْدُو لأَعْيُنِنَا رَاحِلَةً، والبحرُ يَمُدُّ[6] وَيَحْسِرُ[7]، ويَهِيجُ ويَضْطَرِبُ، فَبَيَّنَ أَنَّ مَنْ عَظُمَ شَأْنُه، كَثُرَ تَمَوُّنُهُ، ولمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ مَوْضِعُهُ. والبدورُ جَمْعُ بَدْرٍ[8]، وكأَنَّه جَعَلَ بَدْرَ كلِّ شَهْرٍ بَدْراً على حِيَالِهِ.

٨ ـ ولَنَا عَادَةُ الجَمِيلِ من الصَّبْـ ـرِ لَوَ أَنَّا سِوَى نَوَاكَ نُسَامُ

ثُمَّ[9] يَقولُ: نحنُ أهلُ الصَّبرِ والحِفَاظِ[10]، والمُعْتَادُونَ لِذلكَ، لو أَنَّنَا

---

(١) في ل «يريد».

(٢) في ر «تبعنه» وساقطة من ف.

(٣) في ر، ف «بذلك».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «ثم قال وكذا».

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «والبحور تمدُّ».

(٧) في ت «ويجزر».

(٨) «والبدور جمع بدر» زيادة في ل وساقطة من ر، ف.

(٩) زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «الحفاظ والصبر».

نُطْرَقُ بِغَيْرِ نَوَاكَ، وَنُعَرَّضُ لِغَيرِ بُعْدِكَ، ولكنَّ ذلكَ مِمَّا يَخْذُلُ الصَّبْرُ فيه مُحَاوِلَهُ، ولا يُسْعِدُ عَلَيْهِ طالِبَهُ.

٩- كُلُّ عَيْشٍ ما لَمْ تُطِبْهُ حِمَامُ كُلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظَلاَمُ

ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، بأَنْ ذَكَرَ: أَنَّ الْعَيْشَ في غَيْرِ جَنَبَتِهِ مَوْتٌ، والحَيَاةَ إِذَا لم تَطِبْ بِقُرْبِهِ حِمَامٌ، والشَّمْسَ إذا لم تتأَيَّدْ بِضِيَائِه ظُلْمَةٌ، والنَّهَارَ إذا لم يَسْتَمِدَّ بِبَهْجَتِهِ[1] سُدْفَةٌ[2]، ومن كَانَتْ هذه حَالُه، فالصَّبْرُ مَعْدُومٌ عِنْدَ فَقْدِه.

١٠ - أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللُّهَامُ

الخَمِيْسُ: الجَيْشُ، واللُّهَامُ: الذي يَلْتَهِم الأَرْضَ بكَثْرتِه، والالتِهامُ: الابْتِلاعُ[3].

فيقولُ[4]: أَزِلْ بِقُدومِكَ عَلَيْنا الوَحْشَةَ التي أَوْجَبَها رَحِيلُكَ عَنَّا، يا مَنْ بِمَوْضِعِهِ يَأْنَسُ الجَيْشُ الكَثِيرُ، والذي يَعْتَدُّ الجَيْشُ بِشَجَاعَتِهِ[5] أَكْثَرَ من اعْتِدَادِهِ بجماعَتِهِ. وأَبْدَعَ بالْمُطَابَقَةِ بَيْنَ الأُنْسِ والوَحْشَةِ[6].

١١ - وَالَّذي يَشْهَدُ الوغى سَاكِنَ الْقَلْـ ـبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ

ثُمَّ قَالَ: والذي يَشْهَدُ الحَرْبَ، رابِطَ الجَأْشِ، ثَابِتَ النَّفْسِ، غَيْرَ

---

(١) في ر، ف «بهجته».

(٢) السُّدْفَةُ: طائفة من الليل.

(٣) «الخميس.... الابتلاع» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم يقول».

(٥) في ر، ف «شجاعته».

(٦) «وأبدع... والوحشة» زيادة في ر، ف.

حَافِلٍ[1] بِشِدَّتِها، ولا مُشْتَغِلٍ بِمَخُوفِ عَاقِبَتِها، حَتَّى كَأَنَّ قِتَالَهُ فيها ذمامٌ[2] يَقْضِيه، وَفَرْضٌ يُؤَدِّيه.

١٢ ـ والَّذي يَضْرِبُ الكَتَائِبَ حَتَّى تَتَلاَقَى الفِهَاقُ والأَقْدَامُ

الفِهاقُ: جَمْعُ فَهْقَةٍ، وهو العَظْمُ الذي يكونُ على اللَّهاةِ[3].

ثُمَّ ذَكَرَ: أنَّ سَيفَ الدَّولةِ يَضْرِب كَتَائِبَ أَعْدَائِهِ[4]، حَتَّى تَطَأَ الأَقدَامُ فِهَاقَ فُرْسَانِها[5]، فَتَتَلاَقَى حِيْنَئِذٍ. وأَشَارَ بذَلِكَ إلى قَتْلِهم، وسُقُوطِ رؤوسِهم عن أَجْسادِهم.

١٣ ـ وإذَا حَلَّ سَاعَةً بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ

يُريدُ[6]: أنَّ سَيْفَ الدَّولةِ إذا حَلَّ بِبَلَدٍ أَقَلَّ إحْلاَلٍ[7]، أَجَارَهُ عَلَى الدَّهرِ، وكَشَفَ[8] عنه صُروفَهُ، وحرَّم عليه أَذَاهُ، وأَمِنَ بِبَرَكَتِهِ، وجَانَبَهُ المَكْرُوهُ بِسَعَادَتِه.

١٤ ـ والَّذي تُنْبِتُ[9] البِلاَدُ سُرُورٌ والَّذي تُمْطِرُ السَّحَابُ مُدَامُ

---

(١) في ر، ف «قافل».

(٢) الذِّمام: الحق والحرمة.

(٣) «الفهاق... اللهاة» جاء في ر، ف في نهاية شرح البيت.

(٤) في ر، ف «ثم ذكر أن سيوفه تضرب رقاب أعدائه».

(٥) في ف «مريانها».

(٦) في ر، ف «ثم أراد».

(٧) في ر، ف «إن الممدوح إذا احتل بالبلد أقلَّ احتلال».

(٨) كذا في ل وفي ت «كفَّ» وهي تحريف وفي ر، ف «حجب».

(٩) في رواية التبيان «ينبت».

ثُمَّ قالَ[1]: فَكأَنَّ السُّرورَ نَباتُ ذلكَ البَلَدِ لِكَثْرَتِهِ فيه، وكأَنَّ الْمُدَامَ سَحابُهُ؛ لِظُهورِ فَرَحِ أَهْلِهِ بِهِ.

١٥ ـ كُلَّما قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا كَرَماً ما اهْتَدت[2] إليه الكِرامُ

يُرِيدُ[3]: أَنَّه يَبْلُغُ في الكَرَمِ ما لا تُرْتَقَبُ[4] الزِّيادةُ فيهِ، ويَفْعَلُ منه كُلَّ ما تَنْتَهِيَ المعرِفَةُ إليه، فإذا قِيلَ هذا غَايَةُ الكَرَمِ، أَبْدَعَ فيه ما لا عَهدَ لأَحَدٍ بِمِثْلِهِ، ولا يَبْلُغُه كَرِيمٌ بِجُهْدِهِ.

١٦ ـ وَكِفَاحاً تَكِعُّ[5] عَنْهُ الأَعَادِي وَارْتِيَاحاً يَحَارُ فيه الأَنَامُ

ثُمَّ قَالَ[6]: وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ في الْحَرْبِ جِلاَدَاً تَنْكُصُ الأَعداءُ مِنْهُ عَلَى أَعْقَابِها، وَتَفِرُّ مِنْهُ على وُجوهِها، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَرْتَاحُ للكَرَمِ ارتِياحاً، تَحَارُ العُقُولُ فيهِ، وتَعْجَزُ الأَنامُ عَنْهُ.

١٧ ـ إِنَّما هَيْبَةُ الْمؤَمَّلِ سَيْفِ الـ دَولَةِ الْمُلْكِ في القُلوبِ حُسَامُ
١٨ ـ فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَقِّي وَكَثِيرٌ من البَلِيغِ السَّلامُ

ثُمَّ ذَكَرَ: أَنَّ في القُلُوبِ من هَيْبَتِهِ[7]، ما يُشْبِهُ السَّيفَ في نَفَاذِهِ، ثُمَّ قَالَ: فالشُّجَاعُ مُقَصِّرٌ عن مُبَاطَشَتِهِ، وكَثيرٌ لَهُ تَوَقِّيه، والبَلِيغُ مُنْقَطِعٌ عن مُفَاتَحَتِهِ، ويُسْتَعْظَم لَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ.

(١) زيادة في ر، ف.
(٢) في رواية التبيان «اهتدى».
(٣) في ر، ف «ثم أراد».
(٤) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ترتغب».
(٥) تكع: تعجز.
(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٧) في ف «هيبلته».

وَقَالَ عِنْدَ مَسِيرِهِ عَنْها:

١ - رُوَيْدَكَ أَيُّها المَلِكُ الجَلِيلُ تَأَيَّ[١] وَعُدَّهُ مِمَّا تُنِيلُ

يَقولُ: تَمَهَّلْ أَيُّها المَلِكُ في رَحِيْلِكَ، وتَرَفَّقْ في سَيْرِكَ[٢]، واجْعَل ذلِكَ مما تَعْتَدُّ[٣] به في نَوَالِكَ، عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِكَ[٤]، وهِبَاتِك للمُشْتَمِلينَ بِنِعْمَتِكَ.

٢ - وَجُودُكَ[٥] بِالمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فِيهِ تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ

وقالَ: وجُودُكَ في أن يُقِيمَ، ولو قَليلاً، نَتَعَلَّلُ فيه بِقُرْبِكَ، وإن كانَ لا قَلِيْلَ فيما تُنِيلُهُ، ولا يَسيرَ فيما تَسْمَحُ به.

٣ - لأَكْبِتَ حَاسِداً وأَرَي[٦] عَدُوّاً كَأَنَّهما وَدَاعُكَ والرَّحِيلُ

يقولُ له: تَرَفَّقَ في رَحِيْلِكَ؛ لأَكْبِتَ بذَلِكَ حاسِداً يُشْبِهُ وَدَاعَكَ، وعَدُوّاً يُشْبِهُ رَحيلَكَ، فَشَبَّه الحاسِدَ بالوَدَاعِ، وكِلاهُما ذو ظاهِرٍ ولا حَقِيْقَةَ لهُ، والعَدوَّ بالرَّحيلِ، وكلاهُما مُعْلِنٌ بَمَكْرُوهِهِ، فَشَبَّهَ شَيْئَينِ بِشَيْئَينِ أَصحَّ تَشْبِيهٍ، وهذا أَرْفَعُ وجوهِ البَديعِ.

٤ - وَيَهْدَأُ ذا السَّحَابُ[٧] فَقَدْ شَكَكْنَا أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لكمْ قَبِيلُ[٨]

---

(١) تأيَّ: ترفَّق، وهي رواية ابن جني، وفي رواية الواحدي «تأنَّ».

(٢) في ت «مسيرك».

(٣) كذا في ر، ت، وفي ف «تغترد».

(٤) «عند أهل بلدك» ساقطة من ت.

(٥) في رواية التبيان بالفتح على تقدير فعل مضمر «أوْلِنا» (انظر ج ٣/٣)

(٦) أرى: أوجع رئته.

(٧) في ر، ف بالكسر وهو تحريف.

(٨) الحيا: المطر، والقبيل: العَشيرة.

ثُمَّ سَأَلَهُ انْتِظَارَ سُكونِ المَطَرِ وَهُدوئِهِ، إذ كَانَ قد اتَّصَلَ منه ما لا يُشْبِهُ إلا جُودَ الممدوحِ، حتى شَكَّكَهُ[1] في مَنْ يَسْتَحِقُّهُ من الفَريقَيْنِ؛ تَغْلِبُ قَوْمُهُ أَمْ حَيَا السَّحَابِ الذي هو يُشْبِهُهُ.

٥ - وَكُنْتُ أُعِيبُ عَذْلاً في سَمَاحٍ فهأنا في السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ

ذَكَرَ: أَنَّه كانَ يَعِيبُ العَذْلَ في[2] السَّمَاحِ، حَتَّى رأَى جُودَ المَمْدُوحِ، فَرَأَى من إفراطِهِ، ما أَوْجَبَ عَلَيْهِ أن يَأْتِيَ في عَذْلِه عَلَى جُودِهِ، ما كان يَنْهَى عَنْهُ.

٦ - وَمَا أَخْشَى نُبُوَّكَ عن طَرِيقٍ وَسَيْفُ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلُ

ثمَّ قالَ: إنَّه لم يَنْهَهُ عَنِ الرَّحيلِ في المَطَرِ إلاَّ رَغْبَةً في الاسْتِكْثَارِ منه[3]، لا[4] خَوْفاً لِنُبُوِّهِ[5] عن وَحْلِ الطَّريقِ وخُصُوبَتِهِ، فهو سَيفُ الدَّولةِ الماضي حَدُّهُ، الصَّقيلُ مَتْنُهُ.

٧ - وَكُلُّ شَوَاةِ غِطْرِيفٍ[6] تَمَنَّى لِسَيْرِكَ أَنَّ مَفْرِقَهَا السَّبِيلُ

يُريدُ: أَنَّ الطُّرَقَ تَتَشَرَّفُ به، وتَأْتي على جَميعِ الوجوهِ لَهُ، حَتَّى أَنَّ رُؤوسَ السَّادةِ تَوَدُّ أَنَّ مَفَارِقَها بَدَلٌ من طُرُقِهِ، لِتَزْدَادِ شَرَفاً بِسَيْرِهِ فيها، ورِفْعَةً باقترابِهِ منها.

---

(١) قصد أبو الطيب بهذا الشك المبالغة في جود سيف الدولة وقبيلته تغلب، بالتسوية بين كثرة المطر وكثرة الجود.

(٢) ساقطة من ف.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) زاد في ف «لأنه لا».

(٥) نَبَا السيف عن الضريبة نَبْواً ونُبُوّة: كَلَّ، والمقصود الرجوع عجزاً عن قطع الطريق.

(٦) الشَّوَاةُ: واحدة الشوى، وهي عظم الرأس فوق الدماغ، والغِطْريف: السيد الشريف، السَّخي السَّري، والمقصود رؤوس السادة.

٨ ـ وَمِثْـلُ العَـمْقِ[١] مَمْـلُوءٍ[٢] دِمَـاءً مَشَتْ[٣] بِـكَ فِي مَجَـارِيـهِ الخُيُـولُ

يَقُولُ: ما أَخْشَى نُبُوَّكَ عن هذه الوَادي[٤] المُعْتَرضِ لكَ، ولو أَنَّـهُ مُلِيءَ من دِمَاءِ وَقَائِعِكَ، فَمَشَتْ[٥] بكَ خيُولُكَ في مَجَارِيهِ، فَكَيْفَ أَخْشَى عليك سَيْلَهُ[٦].؟

٩ ـ إِذَا اعتَـادَ الفَـتَى خَـوْضَ المَنَـايَـا فَـأَهْـوَنُ مَـا يَمُـرُّ بِـهِ الـوُحُـولُ

ثمَّ قالَ: إِنَّ مَنْ اعتَادَ أَن يَخُوضَ غَمَراتِ المَنَايا، فأَهْوَنُ ما يُعَانِيهِ[٧] خَوْضُ الماءِ والطِّينِ؛ وهما الوَحَلُ.

١٠ ـ وَمَنْ أَمَـرَ الحُصُـونَ فَـمَا عَـصَتْـهُ أَطَـاعَـتْـهُ الحُـزُونَـةُ والسُّهُـولُ

قَالَ: مَنْ أَطَاعَتْهُ الحُصُونُ المُمْتَنِعَةُ فافْتَتَحَها، والقِلاعُ المُتَصَعِّبَةُ فَتَمَلَّكَها[٨]، أَطَاعَتْهُ لا مَحَالَةَ حُزونُ[٩] الطُّرُقِ وسُهُولُها، وتَمَكَّنَ له قَرِيبُها وَبَعِيدُها.

---

(١) العَمْق: عَمْق أنطاكية، وهو موضع تنصب إليه مياه كثيرة لا تجف إلا في الصيف، وامتداده بين حلب وانطاكية (انظر معجم ما استعجم ٩٦٨/٣، ومعجم البلدان والمشترك وضعاً ٣١٦).

(٢) في رواية الواحدي «ومثلَ العَمْقِ مملوءً» بالنصب وفي رواية التبيان وهي رواية ابن جنى «ومثلِ العَمْقِ مملوءٍ» بالخفض عطفاً على «وما أخشى نبوّك عن طريق». أما الرفع فعلى الابتداء. وفي شرح البيت ما يدل على أن الرواية المختارة «ومثلِ» بالخفض.

(٣) وكذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «جرت».

(٤) في ت «لا أخشى عليك من نبوك عن هذا الوادي».

(٥) في ت «لمشت».

(٦) ساقطة من ف.

(٧) كذا في ت وفي ر، ف «يعاينه».

(٨) في ت «المستصعبة فملكها».

(٩) الحُزون: جمع حَزْن وهو ما غلظ من الأرض وخشن وارتفع.

١١ ـ أَتَخْفُرُ كُلَّ مَنْ رَمَتِ اللَّيالي[١] وَتُنْشِرُ كُلَّ مَنْ دَفَنَ الخُمُولُ!

قالَ: أَتُجيرُ[٢] كلَّ مَنْ رَمَتْهُ اللَّيالي بِصُرُوفِها، وَقَصَدَتْهُ بِخُطُوبِها، وتُحْيي كُلَّ مَنْ سَقَطَ ذِكْرُهُ، ودَفَنَهُ خُمُولُهُ، فَتُجِيرُ ذلكَ بِحمَايَتِكَ لَهُ، وتُحْيي[٣] هذا بإكرامِك إيَّاه[٤]؟

١٢ ـ وَنَدْعُوكَ الحُسَامَ وهَلْ حُسَامٌ يَعِيْشُ بِهِ مِنَ الموتِ القَتِيلُ!

قالَ: وَنَدْعُوكَ سَيْفاً، والسَّيفُ يُعْدِمُ الحَيَاةَ، وأَنْتَ تُعِيدُها، وهو يُتْلِفُها[٥]، وأنت تَهَبُهَا، فَكَيْفَ نُسَمِّيكَ بما فِعْلُكَ[٦] ضِدُّ فِعْلِه، وَقَدْرُكَ فَوْقَ قَدْرِه؟.

١٣ ـ وَمَا لِلسَّيْفِ إلاَّ القَطْعَ فِعْلٌ وأَنْتَ القَاطِعُ البَرُّ الوَصُولُ

قالَ: وما للسَّيْفِ فِعْلٌ غَيْرَ قَطْعِهِ، وأَنْتَ تَقْطَعُ أَعَادِيكَ، وتَصِلُ مُؤَمِّليك[٧]، وتَسُرُّ[٨] قُصَّادَك، وتَحُوطُ رَعِيَّتَك، فَتَشْرَكُهُ[٩] في أَرْفَعِ أَحْوَالِهِ[١٠]، وَتَنْفَرِدُ دونَهُ بأَرْفَعِ أَحْوالِكَ، وأَجَلِّ[١١] أَوْصَافِك.

---

(١) في ر، ف «المنايا» وفي شرح البيت ما يدل على التحريف.
(٢) في ت «أنت تجير».
(٣) في ت «وتحييه بكرامتك».
(٤) زاد في ت «فتضمه إلى إحسانك، وتَعُمُّهُ بإنعامك».
(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «وأنت تعيدها وتتلفها».
(٦) في ت «فكيف نسميك سيفاً وفعلك».
(٧) في ف «موليك» وهوتصحيف، وفي ت «تصل مؤمليك، وتقطع أعاديك» بالتقديم والتأخير.
(٨) في ت «وتبر».
(٩) كذا في ت، وفي ر، ف «تشركه».
(١٠) زاد في ت «وهو القطع».
(١١) كذا في ت، وفي ر، ف «لأجل».

١٤ ـ وأَنْتَ الفِارِسُ القَوَّالُ صَبْراً وقد فَنِيَ التَّكَلُّمُ والصَّهِيلُ

يَقُولُ: أنتَ الفارِسُ الثَّابِتُ النَّفْسِ، الرَّابِطُ الجَأْشِ، الدَّاعِي إلى الصَّبْرِ، إذا طَاشَتِ العُقُولُ، وَخَرِسَتِ الأَلْسُنُ، فلم يَقْدِرِ[1] الأَبْطَالُ على الكَلامِ، ولا الخَيْلُ على الصَّهيلِ.

١٥ ـ يَحِيْدُ الرُّمْحُ عَنْكَ وفيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وفيهِ طُولُ

ثُمَّ قالَ: إنَّ في هذا المَقامِ تَنْهَبُكَ الأَبْطَالُ، فَتَحِيدُ رِمَاحُهُم عَنْكَ مَعَ استِقَامَتِها، وتَقْصُرُ عَنْ أن تَنَالَكَ مَعَ طُولِها[2]؛ يُرِيدُ: أَنَّه لا يَتَعَاطَى الفُرسَانُ مُطَاعَنَتَهُ، ولا تَمْتَثِلُ[3] مُقَاوَمَتَه.

١٦ ـ فلو قَدَرَ السِّنَانُ على لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ

يَقُولُ: فلو أَنَّ سِنَانَ الرُّمحِ يَنْطِقُ، لَصدَّقَ ما أَصِفُهُ من هَيْبَتِهِ لَكَ، ولَقَالَ بِمِثلِ ما أَقُولُ من ذلك، لِتَرْفِيعِهِ بكَ.

١٧ ـ وَلَوْ جَازَ الخُلودُ خَلَدْتَ فَرْداً ولَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلُ

يَقولُ: ولو[4] أنَّ الدُّنيا خَلَّدَت أَحَداً لِتَزَيُّنِها بِهِ، وما جَمَعَهُ اللَّهُ من الفَضَائِلِ لَهُ[5]، لَكُنْتَ أَنتَ[6] ذَلِكَ المُخَلَّدُ، لِعُلُوِّ قَدْرِكَ، وجَلالَةِ أَمْرِكَ، ولكنَّ الدُّنيا ليسَ لها خَليلٌ تُؤَاخِيه[7]، ولا أَحَدٌ تُبْقِيهِ[8] وَتُصَافِيهِ.

---

(١) في ت «تقدر».

(٢) في ر، ف «ويقصر أن ينالك».

(٣) في ت «ولا تَتَمَثَّلُ»

(٤) في ف «لو».

(٥) في ت «وما جمعه الله فيه من الفضائل».

(٦) ساقطة من ت.

(٧) في ت «توافيه».

(٨) في ت «تتقيه».

وَتوفِّيَتْ أُمُّ سَيْفِ الدَّولةِ بمَيَّافَارِقِين، ووَرَدَ خَبَرُها إلى حَلَبَ، وأبو الطَّيبِ بأَنطاكِيَة، فَقَالَ هذه القَصِيْدَةَ، وأَنْشَدَها سَيْفَ الدَّولةِ بِحَلَبَ في جُمَادَى الآخرةِ، سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ.

١ - نُعِدُّ المَشْرَفِيَّةَ والعَوَالِي[1] وَتَقْتُلُنا المَنُونُ بلا قِتَالِ

يقولُ: نُعِدُّ صَوارِمَ السُّيوفِ، وعَوَالِيَ الرِّماحِ، لِمُنَازَلَةِ الأَعْدَاءِ، ومُدَافَعَةِ الأَقْرانِ، وتَحْتَرِمُنَا المَنِيَّةُ[2] دُونَ قِتَالٍ أَوْ نِزَالٍ، لا يُمْكِنُنَا حِذَارَها، ولا يَتَهيَّأُ لنا دِفَاعُها.

٢ - وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقْرَبَاتٍ وَمَا يُنْجِينَ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي[3]

قالَ: وَنَرْتَبِطُ عِتَاقَ الخَيْلِ وسَوَابِقَهَا، وَنُكْرِمُها باسْتِقْرابِ مَرَابِطِها، وهي مَعَ ذلكَ لا تَعْصِمُنَا بِجُهْدِها واسْتِفْرَاغِها من عُقُوبَةِ الدَّهرِ لَنَا، وخَبَبِ لَيَالِيهِ في آثارِنا، بل ذلك العَفْو يَغْلِبُ جُهْدَهَا، ويُعْجِزُ أَبْعَدَ غاياتِ سَعْيِنَا.

٣ - وَمَنْ لم يَعْشَقِ الدُّنْيَا قَدِيماً وَلَكِنْ لا سَبِيْلَ إلى الوِصَالِ

يقولُ: إنَّ النُّفوسَ[4] مَجْبُولَةٌ على عِشْقِ[5] الدُّنيا، مَعَ التَّيَقُّنِ بِسُرْعَةِ

---

(١) المشرفية: السيوف المنسوبة إلى المشارف، وهي قرى من أرض اليمن. والعوالي: الرِّماح.

(٢) في ت «والموت يحترم نفوسنا».

(٣) المُقْرَبَاتُ من الخَيْلِ: التي تربط لكرامتها على أصحابها أو لفرط الحاجة إليها والخَبَبُ: ضرب من العدو يراوح فيه الفرس بين يديه ورجليه، على أنه لا يستفرغ الجهد.

(٤) كذا في ر، ت، وفي ف «النفس».

(٥) في ت «حب».

زَوالِها، والتَّحقُّقِ لامْتِناعِ[1] وِصَالِها، وإنَّ سُرورَها يَعْقُبُهُ[2] الحُزْنُ، وحَيَاتَها يَقْطَعُها[3] الموتُ.

٤ ـ نَصِيْبُكَ في حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيبُكَ في مَنَامِكَ من خَيَالِ

يقولُ: إنَّ نَصيبَ الإنْسَانِ من وِصَالِ حَبِيْبِهِ في[4] حَيَاتِهِ، كَنَصِيْبِهِ من وِصَالِ خَيَالِهِ في مَنَامِهِ؛ لاتِّفَاقِ[5] الأَمْرَينِ في سُرْعَةِ انْقِطاعِهما، واشْتِبَاهِهما في صِحَّةِ[6] زَوَالِهما، وإنَّ[7] الحالَينِ كِلاَهُما يُعْدَمُ[8]، ويُحَدَّثُ عنه ويُمْتَثَلُ[9]، فما ظَنُّكَ بِحَقٍّ يُشْبِهُ البَاطِلَ، ويَقْظَةٍ يُشَاكِلُها النَّوْمُ.!

٥ ـ رَمَاني الدَّهْرُ بالأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي في غِشَاءٍ من نِبَالِ[10]

ثُمَّ ذَكَرَ: أنَّ الدَّهْرَ قَصَدَهُ بِفَجَائِعِهِ، ورَمَاهُ بمَصَائِبِهِ، واعتَمَدَهُ بِسِهَامِهِ[11]، وأَثْبَتَ فيهِ نِصَالَهُ، حَتَّى صَارَ منها في غِشَاءٍ يَشْمُلُه، وَوِعاءٍ يَعُمُّهُ.

٦ ـ فَصِرْتُ إذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ على النِّصَالِ

قالَ: فهو إذا أَصَابَهُ الدَّهرُ بَخَطْبٍ من خُطُوبِهِ، وصَرْفٍ من صُرُوفِهِ،

---

(١) في ت «من امتناع».

(٢) في ف «يعقب».

(٣) في ت «يعقبها».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «حياته».

(٥) في ت «باتفاق».

(٦) في ت «عجلة».

(٧) في ت «فإن»

(٨) في ر، ف «كعدم».

(٩) «ويحدث عنه ويمتثل» ساقطة من ت.

(١٠) الأرزاء: جمع رُزْءٍ وهي المصائب، والغِشاء: ما يغطي الشيء ويشمله، والنِّبال: السِّهام.

(١١) في ت «واعتمد فؤاده بسهامه».

فإن ذلِكَ إنَّما يُوافِقُ مِثْلَهُ، ويَفْرَعُ[1] شَكْلَهُ، وكَنَّى بِنِصَالِ السِّهامِ[2] عن اجْتِدادِ[3] الخُطوبِ، وقالَ: إنَّ بَعْضَها يَكْسِرُ بَعْضاً في فُؤَادِهِ، لِتَزَاحُمِها فيهِ، وتَكَاثُرِها عَليهِ.

٧ ـ وَهَانَ فَمَا أُبَالي بِالرَّزَايَا لأَنِي مَا انتَفَعْتُ بِأن أُبَالي

قالَ: وهَانَ، يُرِيدُ: رَمْيَ الدَّهرِ لَهُ بِرَزَايَاهُ، فَحَذَفَ الرَّمْيَ لِدَلالةِ قَوْلِهِ «رَمَاني الدَّهْرُ» عَليهِ، وأَضْمَرَ ثِقَةً بِما قَدَّمَهُ مِنَ التَّفسِيرِ؛ لِأَنَّه لَمَّا قَدَّمَ وَصْفَ حَالِهِ، ورمْيَ الدَّهرِ لَهُ، قالَ «وَهَانَ»، يريدُ: وهَانَ ذلكَ، وإِضْمَارُ ما يُقَدَّمُ ذِكْرُهُ حَسَنٌ في الكَلامِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ لا يُبالي بما[4] طَرَقَهُ من الرَّزَايا لِتَتَابُعِها، فهوَ لا يَجْزَعُ لها، لِتَيَقُّنِهِ أَنَّ الجَزَعَ غَيرُ نَافِعٍ فيها.

٨ ـ وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِيَيْنَ طُرَّاً لأَوَّلِ مَيِّتَةٍ في ذَا الجَلالِ

٩ ـ كَأَنَّ الموتَ لم يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ[5] لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ

ثُمَّ قَالَ: إنَّ النَّاعِيَ[6] لِأُمِّ سيفِ الدَّوْلَةِ أَوَّلُ مَن نَعَى مَيِّتَةً في شَرَفِها، ومَفْقُودَةً في مِثْلِ مَنْزِلَتِها[7]، وإنَّ المُصيبَةَ بها أَنْسَتِ المَصائِبَ، وَبَعَثَتْ[8] مِن الحُزْنِ ما أَفْقَدَ جَميلَ الصَّبرِ، وأَوْجَبَ أَشَدَّ الجَزَعِ، حَتَّى كأَنَّ الموتَ قَبْلَها لم يَفْجَعْ بَنَفْسٍ، ولا خَطَرَ بِبالٍ.

---

(١) يَفْرَعُ: يُطاوِل.

(٢) نِصالُ السِّهام: النصال جمع نَصْل، وهي الحديدة التي في السهم.

(٣) في ت «اشتداد».
واجتداد الخطوب: اشتدادها.

(٤) في ف «لما».

(٥) في ف «يَخْطَر» بفتح الطاء وهو تحريف، خَطَرَ بباله يَخْطِرُ بالكسر ويَخْطُر بالضم إذا ذكره بعد نسيان.

(٦) الناعي: المخبر بالموت.

(٧) في ت «منزلها».

(٨) كذا في ت، وطمس أغلب الكلمة في ر، ف.

١٠ ـ صَلاةُ اللهِ خَالِقَنَا حَنُوطٌ عَلى الوَجْهِ المُكَفَّنِ بالجَمَالِ

ثمَّ قالَ: رَحْمَةُ اللهِ وَمَغْفِرَتُهُ[١] حَنوطُ[٢] هذهِ المَيِّتَةِ[٣] التي غَيَّبَها الجَمَالُ كما غَيَّبَها[٤] الكَفَنُ، وسَتَرها كما سَتَرها القَبْرُ[٥].

١١ ـ عَلَى المَدْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْناً وَقَبْلَ اللَّحْدِ في كَرَمِ الخِلالِ

ثُمَّ قالَ: عَلَى التي كَانَتْ قَبْلَ أن تُدْفَنَ في التُّرْبِ دَفِيْنَةً في سِتْرِ الصِّيانَةِ، وقَبْلَ أن تَشْتَمِلَ في اللَّحدِ مُشْتَمِلَةً بالكَرَمِ والدِّيانَةِ، وأنَّ شَخْصَهَا وإنْ أَبْلاهُ التُّربُ، وَغَيَّرَهُ الموتُ، فذِكْرُ كَرَمِهِ جَدِيدٌ، وَأَثَرُ فَضْلِهِ ظَاهِرٌ، وشَاهِدُ إحْسَانِه بَيِّنٌ.

١٢ ـ فإنَّ لَهُ بِبَطْنِ الأَرْضِ شَخْصاً جَدِيداً ذِكْرُنَاهُ وَهو بَالِي

وقال: «ذِكْرُنَاهُ»، فَوَضَعَ الضَّمِيرَ المُتَّصِلَ مَوْضِعَ الضَّمِيْرِ المُنْفَصِلِ، وقَدْ ذَكَرَ سِيبويهُ أنَّ ذلكَ جَائِزٌ في الشِّعْرِ، وأَنْشَدَ عَليه[٦]:

هُمُ القَائِلونَ الخَيرَ والآمِرُونَهُ إذا ما خَشُوا من مُحْدَثِ الأَمْرِ مُعْظَمَا

فَوَضَعَ الهاءَ في قَوْلِهِ «والآمِرُونَهُ» مَوْضِعَ المُنْفَصِلِ، كَمَا وَضَعَها المُتَنبي في قَوْلِهِ «ذِكْرُنَاهُ»[٧].

---

(١) في ت «ورضوانه».

(٢) حنوط: كل طيب يخلط للميت عند غسله.

(٣) في ت «المرأة».

(٤) كذا في ت، ف وفي ر «غيبتها».

(٥) زاد في ت «فكانت مستورة عن أعين الناس».

(٦) كتاب سيبوية ١/١٨٨. قال سيبويه: «وزعموا أنه مصنوع».

(٧) ومعنى البيت: «يقول شَخْصُهُ في القبر بال، وذكرنا له جديد، يريد: أنه يبلى في الأرض، ولا يبلى ذكره» (شرح الواحدي ٢/٣٩٠).

١٣ ـ أَطَـابَ النَّفْسَ أَنَّـكِ مُـتِّ مَـوْتَـاً تَمَـنَّتْـهُ الْـبَـوَاقِـي والخَـوَالِي[١]

يقولُ: عَزَّى عَنْ عَظيمِ مُصَابِكِ أَنَّ الموتَ طَرَقَكِ ولا بُدَّ مِنْهُ، على سَبيلٍ من الرِّفْعَةِ، وحَالٍ من السُّلْطَانِ والنِّعْمَةِ، يَتمنَّى الموتَ في مِثْلِها كُلُّ مَنْ كَانَ قَبْلَكِ، ومَنْ يَتْلُوكِ بَعْدَكِ.

١٤ ـ وَزُلْـتِ وَلَمْ تَـرَيْ يَـوْمـاً كَـرِيهـاً يُسَرُّ[٢] الـروحُ فـيـه بـالـزَّوَالِ

١٥ ـ رِوَاقُ العِـزِّ فَـوْقَـكِ مُسْـبَـطِرٌّ[٣] وَمُـلْكُ عـليٍّ ابْـنِـكِ في كَـمَـالِ

ثُمَّ إنَّك لم تَرَيْ في حَيَاتِك يَوْماً تَكْرَهِيْنَه[٤]، ولا شَيْئاً تُسَائِينَ بِهِ[٥]، وعُوفِيتِ من خُطُوبِ الدَّهْرِ التي يُتَمَنَّى لها المَوْتُ[٦]، فَزُلْتِ ورِوَاقُ العِزِّ مَمْدودٌ عَلَيْكِ، وابْنُكِ كامِلٌ مُلْكُهُ، جَليلٌ قَدْرُهُ.

١٦ ـ سَقَى مَثْـوَاكِ غَـادٍ في الـغَـوَادِي نَـظِيرُ[٧] نَـوَالِ كَفِّـكِ في النَّـوَالِ

ثمَّ قالَ: سَقَى قَبْرَكِ غَيْثٌ وابِلٌ، يَكُونُ مَوْقِعُهُ في السَّحَابِ، مَوْقِعَ نَوالِ كَفِّك في العَطَاءِ، وأشَارَ بذلكَ إلى أنَّ إعْطَاءَها[٨] غَايَةُ ما يَطْلُبُهُ المُتَمَنِّي في الكَثْرَةِ.

---

(١) لم يرو أبو القاسم بن الافليلي بيتاً قبل هذا البيت رواه الواحدي وصاحب التبيان وهو:

وما أحدٌ يُخَلَّدُ في البرايا بل الدنيا تئول إلى زوال

(٢) في رواية التبيان «تُسَرُّ» بالتاء.

(٣) المسبطر: الممتد واسبطَرَّ: اضطجع وامتد.

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «تكرهه».

(٥) «ولا شيئاً تسائين به» ساقطة من ت.

(٦) في ت «وعوفيت من خطوب الدهر فلم تَلْقَيْ ما يُنَغِّصُ عيشك».

(٧) في ر، ف «تطير».

(٨) في ت «عطاءها».

١٧ ـ لِسَاحِيهِ عَلى الأَجْدَاثِ حَفْشٌ[١] كَأَيْدِي الْخَيْلِ أَبْصَرَتِ الْمَخَالِي[٢]

ثُمَّ وَصَفَ ذلكَ الغَيْثَ الذي دَعَا لها به، فَقَالَ: لِسَاحِيه، وهو وابِلُهُ وغِزِيرُهُ، على الأَجْدَاثِ، وهي القُبورُ، وَقْعٌ يُشْبِهُ بِشِدَّتِهِ وَقْعَ أَيْدِي الخَيْلِ على الأَرْضِ، إذا بَحَثَتْ بها عِنْدَ نَظْرِها إلى العَلَفِ.

١٨ ـ أُسَائِلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ مَجْدٍ وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ مِنْكَ خَالِي

١٩ ـ يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي فَيَبْكِي وَيَشْغَلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ

ثُمَّ قال: إنَّ المَجْدَ كانَ مَقْصُوراً عليها في حَيَاتِها، فَصَارَ [مَعْدولاً][٣] عنها بَعْدَ مماتِها، وإنَّ العَافِي، وهو السَّائِلُ، إذا مَرَّ بِقَبْرِها، وتَذَكَّرَ ما كانَ يَشْمُلُهُ منها[٤]، وما يَنَالُهُ من فَضْلِها، أَذْهَلَهُ الحُزْنُ[٥] عن الطَّلَبِ، وشَغَلَهُ البُكَاءُ عن السُّؤَالِ.

٢٠ ـ وما أَهْدَاكِ للجَدْوَى[٦] عَلَيْهِ لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلى فِعَالِ

يقولُ: وما كانَ أَعْلَمَكِ بطَرِيقِ الإِفْضَالِ عليه، لو أَنَّ الموتَ أَمْهَلَكِ، والأَفْعَالُ تَتَمَكَّنُ لك.

٢١ ـ بِعَيْشِكِ هَلْ سَلَوتِ فَإِنَّ قَلْبِي وإن جَانَبْتُ رَبْعَكِ غَيْرُ سَالِي

---

(١) الحَفْشُ: شدَّةُ الوقعِ.

(٢) المخالي: جمع مِخْلاة، وهو وعاء يجعل فيه عَلَفُ الدابة من تبن أو شعير.

(٣) ساقطة من ر، ف واقتضاها السياق.

(٤) كذا في ت، وهي ساقطة من ر، ف.

(٥) زاد في ت «البكاء والحزن».

(٦) الجدوى: الإفضال والعطاء.

يقولُ: بِعَيْشِكِ هل سَلَوْتِ عن الحَيَاةِ، فإني غَيْرُ سَالٍ عن الحُزنِ عَلَيكِ، أذكُرُكِ وإنْ كُنتُ بَعِيداً عن مَوْضِعِكِ، وأَنْدُبُكِ وإن كنتُ مُنْتَزِحاً عن أَرْضِكِ[1].

٢٢ ـ نَـزَلْتِ عَـلَى الكَـرَاهَـةِ فِي مَكَـانٍ بَعُـدْتُ عَنِ النُّعـامَى[2] والشَّمَـالِ

ثُمَّ قَالَ: نَزَلْتِ مُكْرَهَةً فِي مَنْزِلٍ بَعُدتِ فيه عن الرِّياحِ مَعَ شِدَّةِ هُبوبِها، وقَصَّرَتْ أَنْ تُدْرِكَكِ مَعَ سُرْعَةِ سَيْرِها[3]، فَدَلَّ على أَنَّها في بَطْنِ الأَرضِ، وأَشَارَ أَبْدَعَ[4] إشارَة إلى اللَّحْدِ.

٢٣ ـ تُحَجَّبُ عَـنْـكِ رَائِحَـةُ الخُـزَامَـى وتُمْـنَـعُ مِـنْـكِ أَنْـدَاءُ الـطِّلَالِ

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ بأَنْ قَالَ: تُحْجَبُ عنكِ رياحُ الرِّيَاضِ العَبِقَةِ، وتُمْنَعُ منك أَنْداءُ طِلالِها[5] المونِقَةِ[6]، وأَشَارَ بالخُزَامَى والأَنْدَاءِ إلى الرِّياضِ أَحْسَنَ إشَارةٍ، وَدَلَّ عَلى القَبْرِ أَبْيَنَ دَلالةٍ، واعتَمَدَ الطِّلالَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَمْطَارِ؛ لأَنَّها أَسْمَحُها[7] في الرَّوضِ، وقَطْرُهَا بِرِقَّتِهِ يَثْبُتُ على طَاقاتِ النَّوْرِ، ويَرْسَخُ بِلِيْنِهِ في الأَرْضِ.

٢٤ ـ بِـدَارٍ كُـلُّ سَـاكِـنِهَـا غَـرِيْـبٌ طَـوِيـلُ الْهَجْـرِ مُنْبَتُّ الحِبَـالِ[8]

---

(١) في ت «بعيداً عن أرضك. . . . . منتزحاً عن موضعك».

(٢) النُّعامى: ريح الجنوب؛ لأنها أبلُّ الرياح وأرطبها.

(٣) في ت «مسيرها».

(٤) في ت «بأحسن».

(٥) الطِّلال: جمع طَلٍّ، وهو المطر الضعيف، أو أخف المطر.

(٦) في ت «الموافقة» والمونق: الحسن المعجب.

(٧) في ر، ف «اسحّها»، ولعل ما أثبته الصواب؛ لأن السحّ: الشديد الانصباب، والسماحة واللين أنسب للطل.

(٨) في ف «الجبال» وهو تصحيف.

ثُمَّ أَكَدَ[1] بَيَانَ ما أَبْهَمَهُ، فَقَالَ: بِدَارٍ من الْقَبْرِ سَاكِنُها غَرِيبٌ، وقَاطِنُها فَقِيرٌ، مَنْ حَلَّ فيها امتَنَعَ وِصالُهُ، ومَنْ صَارَ إليها انبَتَّتْ حِبَالُهُ[2].

٢٥ ـ حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الْمُزْنِ فِيهِ كَتُومُ السِّرِّ صَادِقَةُ الْمَقَالِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ أَمَّ سَيْفِ الدَّولةِ في شَرفِ نَسَبِها، وَعُلوِّ مَنْصِبِها، وطَهَارَةِ نَفْسِها، وصِيَانَتِها في قَوْمِها، كَمَاءِ الْمُزْنِ، قد تَنَاهَتْ صِيَانَتُها كَتَناهِي صيانَتِهَ فيه، وارتَفَعَ مَوْضِعُها كارتِفَاعِ مَوْضِعِهِ، وطَابَ عُنْصُرُها كَطِيْبِ عُنْصُرِهِ، وهي مَعَ ذلكَ كَاتِمَةٌ لِسِرِّها، صَادِقَةٌ في قَوْلِها.

٢٦ ـ يُعَلِّلُها نِطَاسِيُّ الشَّكَايا وواحِدُها نِطَاسِيُّ المَعَالِي[3]

٢٧ ـ إذا وَصَفُوا له دَاءً بِثَغْرٍ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوالِ[4]

أَخْبَرَ: أَنَّها تَعَلَّلَتْ بِطَبِيْبٍ عَالِجَها، وقَدْ وَلَدَتْ طَبِيبَ المَكَارِمِ، وَوَاحِدِيَّ الفَضَائِلِ، وأَنَّهُ إذا وُصِفَتْ له عِلَّةٌ[5] بِثَغْرٍ شَفَتْ مِنْ دَائِها أَسِنَّتُه، وأَمِنَتْ مَخَافَتها سُيُوفُهُ، وَلِكِنَّ المَنِيَّةَ لا تُدْفَعُ بِقُدْرَةٍ، ولا يُعْتَصَمُ منها بِمَنَعَةٍ[6].

٢٨ ـ وَلَيْسَتْ كَالإِنَاثِ ولا اللَّوَاتي تُعَدُّ لَهَا القُبُورُ من الحِجَالِ

٢٩ ـ ولا مَنْ في جَنَازَتِها تِجَارٌ يَكُونُ وَدَاعُها نَفْضَ النِّعَالِ

---

(١) زاد في ف «ما بيان» وهو تحريف.

(٢) في ف «حباله».

(٣) في ر، ف «نظامي» وهو تحريف.

(٤) سقط هذا البيت من ر، ف، وفي الشرح ما يدل على موضعه هذا.

(٥) كذا في ت، وفي ر، ف «خلة» وهو تحريف.

(٦) في ت «ولكن الموت لا يدفع بقدرة، ولا يعتصم منه بمنعة».

يَقُولُ[1]: لَيْسَتْ كالإناثِ اللَّوَاتي تُنْقَضُ بالجِبْلَةِ[2]، وَيُتمنَّى[3] مَوْتُهُنَّ للسُّتْرَةِ؛ لأَنَّها عَاشَتْ ظَاهِرَةَ الإِحْسَانِ، ومَاتَتْ مُرْتَفِعَةَ المَكَانِ، وَوَلَدَتْ مَلِكاً تَشْرُفُ المُلوكُ بِخِدْمَتِه، وَيَتَصَرَّفونَ على حَسَبِ إِرَادَتِهِ، فَهُمْ كانوا أَهْلَ جِنَازَتِها، لا التُّجَّارُ الذين يَمْتَطُونَ إلى المَشَاهِدِ[4] أَقْدامَهم، وَيَنْفُضُونَ عندَ انصِرافِهم نِعَالَهُمْ.

٣٠ ـ مَشَى الأُمَرَاءُ حَوْلَيْهَا حُفَاةً كَأَنَّ المَرْوَ مِن زِفِّ الرِّئَالِ

حَوْلَيْها: بِمَعْنَى حَوْلَها، تَقُولُ العَرَبُ: حَوْلَكَ وَحَوْلَيْكَ وَحَوَالَكَ وحَوَالَيْك، كلُّ ذلكَ بِمَعْنًى واحدٍ، والمَرْوُ: حِجَارةٌ بيضٌ بَرَّاقةٌ تكونُ فيها النَّارُ، والزِّفُّ: صَغِيرُ الرِّيشِ، والرِّألُ: وَلَدُ النَّعامَةِ، وجَمْعُهُ رِئالٌ[5].

فيقولُ[6]: إنَّ الأُمراءَ مَشَوْا في هذِهِ الجِنَازَةِ حُفاةً مُتَحَزِّنِينَ، قد مَلَكَتْهُمُ الهَيْبَةُ، وأَفْرَطَتْ عَلَيْهِم الجَلالَةُ، حَتَّى صَارُوا يَطَئُون[7] المَرْوَ ولا يَتَأَلَّمُونَ به[8] كما لا[9] يتألَّمُ زِفَ الرِّئَالِ مَنْ وَطِأَهُ.

٣١ ـ وَأَبْرَزَتِ الخُدُورُ مُحَبَّاتٍ يَضَعْنَ النِّقْسَ أَمْكِنَةَ الغَوالي

النِّقْسُ: المِدَادُ[10].

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «بالجملة» والجِبْلَةُ: الخِلْقة.

(٣) في ل «نتمنى».

(٤) «إلى المشاهد» ساقطة من ر، ف.

(٥) «حوليها... وجمعه رئال» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «يمطؤون».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) ساقطة من ر، ف.

(١٠) «النقس: المداد» زيادة في ل.

وأَبْرَزتِ الخُدُورُ من نَوادِبِ هَذِه المَيِّتةِ وَحَشْمِها، مُخَبَّآتٍ غَذَّتْهُنَّ النَّعْمَةُ، وأَنْشَأَتهُنَّ الرَّفَاهِيَةُ، فَهُنَّ يَضَعْنَ النَّفْسَ مِنْ وجُوهِهِنَّ مَوْضِعَ الغَالِيَةِ[1].

٣٢ ـ أَتَتْهُنَّ المُصِيْبَةُ غَافِلاتٍ فَدَمْعُ الحُزْنِ في دَمْعِ الدَّلاَلِ

الدَّلالُ: الدَّالَّةُ[2].

يقول[3]: أَتَتْهُنَّ المُصِيبةُ على حِيْنِ غَفْلَةٍ، ولم يَكُنَّ مِنَ المَصَائِبِ على عادةٍ، فَهُنَّ يُظْهِرْنَ الدَّلاَلَ مَعَ الحُزْنِ، وَيُبْدِينَ الوَلَهَ[4] مَعَ الحُسْنِ.

٣٣ ـ وَلَو كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

يقولُ[5]: لَو كَمُلَ النِّساءُ كَمالَ هذهِ المَفقُودَةِ، واحْتَزْنَ ما احتَازَتْهُ مِنَ الفَضْلِ، لَبَانَ فَضْلُ النِّساءِ على الرِّجَالِ، فَرُبَّ تَأْنِيثٍ يَقْصُرُ التَّذْكِيرُ عَنْهُ، ولا يَبْلُغَ مَبْلَغَهُ، ولا يَنَالُ مَوْضِعَهُ[6].

٣٤ ـ وَمَا التَّأْنِيثُ لاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ولا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلاَلِ

ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ بأَنَّ الشَّمْسَ مُؤَنَّثَةٌ، والفَضْلُ لَها، والقَمَرَ مُذكَّرٌ، ولَيْسَ يُعْدَلُ بها.

٣٥ ـ وأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مَنْ وَجَدْنَا قُبَيْلَ الفَقْدِ مَفْقُودَ المِثَالِ

ثُمَّ قالَ: إِنَّ أعظمَ المَفْقُودينَ فَجِيْعَةً[7]، وأَجَلَّهُمْ مُصِيْبَةً، مَنْ فُقِدَ

(١) الغوالي: جمع غالية، وهو نوع من الطيب.

(٢) «الدَّلال: الدَّالةُ» زيادة في ل.

(٣) زيادة في ر، ف، وفي ل «وأنتهن».

(٤) في ت «الذلة» والوله: الحزن أو ذهاب العقل حزناً.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) «فرب تأنيث... موضعه» جاء في ت شرحاً للبيت رقم ٣٤.

(٧) في ت «فجعة».

مِثالُهُ قَبْلَ فَقْدِهِ[1]، وعُدِمَ نَظِيْرُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، وهذهِ[2] المَفْقُودةُ كَذَلِكَ؛ إنَّها لم يُمَاثِلْها أَحَدٌ في فَضَائِلِها مدَّةَ حَياتِها، فَعَظُمَتِ الفَجْعَةُ[3] بها عِنْدَ مَماتِها.

٣٦ ـ يُـدَفِّنُ بَعْـضُنَـا بَـعْضَـاً وَيَمْشِي[4] أَوَاخِـرُنَـا عَـلَى هَـامِ الأَوَالِي

الأَوَالي: بِمَعْنَى الأَوائِلِ، إلاَّ أنه قَلَبَ، والعَربُ تَفْعَلُ ذلِكَ[5].

فيقولُ: [6] إنَّ الإنسانَ مَجْبولٌ على السَّلْوةِ، مَطْبوعٌ على الإعراضِ عن الرَّزِيَّةِ، فالحيُّ يَدْفِنُ الميِّتَ سَالياً[7]، والآخِرُ يَطَأُ قَبْرَ الأَوَّلِ ناسِياً[8]، والمَصِيرُ[9] واحِدٌ، والاغترارُ زائِدٌ[10].

٣٧ ـ وَكَـمْ عَـيْنٍ مُـقَـبَّـلَةِ الـنَّـوَاحِي كَحِيـلٍ بـالجَـنَـادِلِ والـرِّمَـالِ

ثُمَّ قَالَ: وكَمْ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ نُقِلَ عَنْها إلى لَحْدِهِ، وذي رَفَاهِيةٍ أُخْرِجَ منها إلى قَبْرِهِ، وذِي عَيْنٍ مَحْبوبةٍ مُزَيَّنةٍ عُوِّضَتْ بالبِلَى مِنْ زَيْنِها، وبالتُّرابِ مِنْ كُحْلِهَا.

٣٨ ـ وَمُـغْضٍ كَانَ لا يُغْضِي لِخَـطْبٍ وَبَـالٍ كَـانَ يُفْكِـرُ في الهُـزَالِ

الهُزَالُ: سُوءُ الحالِ[11].

(١) كذا في ل، ت، وساقطة من، ف.
(٢) ساقطة من ت.
(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «الفجيعة».
(٤) في رواية التبيان «وتمشي».
(٥) «الأوالي... ذلك» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «يقول».
(٧) ساقطة من ر، ف، ت.
(٨) ساقطة من ر، ف، ت.
(٩) في ر، ف «والمسير».
(١٠) في ر، ف «زائل».
(١١) «الهزال: سوء الحال» زيادة في ل.

ثُمَّ قَالَ: وربَّ مَنْ كانَ لا يُغْضِي لِلخُطوبِ لِرِفْعَةِ قَدْرِهِ، قد [1] ثَنَى الموتُ طَرْفَهُ، وَغَيَّرَ جِسْمَهُ، ورُبَّ مَنْ كَان يَحْذَرُ الضُّرَّ، وَيَتَوَقَّعُ الفَقْرَ، قد عَاجَلَهُ المَوْتُ فَأَبْلاَهُ قَبْلَ ما كان يَحْذَرُهُ، واخْتَرَمَهُ قَبْلَ الذي كان يَتَوَقَّعُهُ. والإغْضَاءُ: تَقْريبُ ما بَيْنَ الجُفُونِ[2].

٣٩ ـ أَسَيْفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِد بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ

الاسْتِنْجَادُ: الاستِعَانَةُ[3].

فَيقولُ لسيفِ الدَّولَةِ[4]: اسْتَعِنْ بالصَّبرِ، وأَنْتَ أَهْلُهُ، وأَثْبَتُ من الجِبَالِ فيهِ.

٤٠ ـ وَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّعَزِّيَ وَخَوْضَ الموتِ في الحَرْبِ السِّجالِ

الحَرْبُ السِّجالُ: التي تَتَداولُ فيها الغَلَبَةُ، وذلك أَدْعَى إلى شِدَّتِها[5].

ثُمَّ قالَ: وأَنتَ أَهْلُ العَزَاءِ؛ لِأَنَّ العَزَاءَ منكَ يُتَعَلَّمُ، والجَديرُ بالصَّبرِ؛ لأَنَّ الصَّبْرَ إليكَ يُنْسَبُ، وبكَ يُقْتَدَى في الإقدامِ على المَوْتِ، والنَّفَاذِ في غَمَراتِ الحَرْبِ[6]، والاستِقْلالِ بِشَدَائِدِها، والقِيامِ بها عند تَسَاجُلِهَا.

٤١ ـ وَحَالاتُ الزَّمانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ في كُلِّ حَالِ

فَحالاتُ الزَّمانِ تَخْتَلِفُ عَلَيْكَ[7] بالسَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ والرَّخاءِ،

---

(١) في ر، ف «وقد».

(٢) «والإغضاء... الجفون» زيادة في ل.

(٣) «الاستنجاد: الاستعانة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال: أسيف الدولة».

(٥) «الحرب... شدتها» زيادة في ل.

(٦) في ت «الموت» وهو تحريف.

(٧) في ت «تتلون حالات الزمان عليك».

وحالُكَ لا تَخْتَلِفُ[1] في كَرَمِ نَفْسِكَ، ونَفاذِ عَزْمِكَ. وما يَتَكَفَّلُ اللهُ بهِ من جَميلِ العَاقِبَةِ لَكَ.

٤٢ ـ فـلا غِيْضَتْ بِحَارُكَ يـا جَمُـومَـاً عـلى عَلَلِ الغَـرَائِب والـدِّخـالِ

غَيْضُ الماءِ: ذَهَابُهُ، والجَمومُ: البِئْرُ الغَزِيرَةُ، والعَلَلُ: الشُّربُ الثَّاني، والدِّخَالُ: هاهنا أن تَشْرَبَ الإبلُ ثُمَّ تُثَارُ فَتُعْرَضُ على الماءِ، وقَدْ يُقالُ بِخِلافِ ذلكَ، والغَرائِبُ من الإبلِ: المُسْتَضِيفَةُ إلى إبلِ أهلِ الماءِ من غَيْرِها[2]. فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ[3]: لا أَعْدَمَ اللَّهُ العُفَاةَ جَزِيْلَ عَطائِكَ، ومُتَتَابِعَ إحْسَانِكَ، يا بَحْرَ كَرَمٍ[4] يَتَدَفَّقُ مَعَ كَثْرَةِ الوَارِدينَ لَهُ، ويَزِيدُ مَعَ تَرَادُفِ الشَّارِعِينَ فيهِ، فَيَنَالُ منه[5] الغَريبُ القَاصِدُ، كما يَنَالُ القَريبُ القَاطِنُ، وَضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلاً من السُّقْيا، فَشَبَّهَهُ بالمَوْرِدِ الغَزيرِ الذي يَكْثُرُ مَعَ تَتَابُعِ[6] الشُّربِ فيه، ولَيْسَ تَصِيرُ[7] الغَرائِبُ من الإبلِ إلى العَلَلِ والدِّخالِ إلاَّ عن غُزْرِ المَوْرِدِ، وبُلوغِ إبِلِ الماءِ[8] إلى غَايةِ الرِّيِّ.

٤٣ ـ رَأَيْتُـكَ في الَّـذِيـنَ أَرَى مُـلُوكـاً كَـأَنَّـكَ مُـسْـتَـقِـيـمٌ في مُحَـالِ

٤٤ ـ فـإن تَـفُـقِ الأَنَـامَ وأَنـتَ مِـنهُـمْ فـإن المِسْـكَ بَعضُ دَمِ الـغَـزَالِ

---

(١) كذا في ل وت وفي ر، ف «يختلف».

(٢) «غيض، الماء... من غيرها» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال يخاطبه».

(٤) في ت «لأنك بحر».

(٥) في ر، ف، ت «وينال».

(٦) في ل «ترادف».

(٧) في ر، ف «تصل».

(٨) كذا في ل، وفي ر، ف «وبلوغ الأبل الماء».

ثُمَّ قالَ: إنَّ بيانَ فَضْلِهِ على المُلوكِ، كَبَيانِ فَضْلِ الاسْتِقَامَةِ على المُحَالِ[1]، والحَقِّ على البَاطِلِ[2]، فإنْ فَاقَ[3] الأَنامُ وهو مِنْهُم، وَفَضَلَهُمْ مَعَ مُشَارَكَتِهِ في الجِنْسِ لَهُم، فالمِسْكُ[4] من دَمِ الغِزْلاَنِ في أَصْلِهِ، وسَائِرُ دِماءِ الحَيَوانِ يُقَصِّرُ عَنْهُ، ولا يُشَبَّهُ[5] بِشَيْءٍ مِنْهُ، ورُبَّ واحِدٍ قد[6] بذَّ أُمَّةً، وبَعْضٌ قد فَاتَ جُمْلَةً[7].

(١) المُحَال: قصد أبو الطَّيِّب المعوجّ. وقد أشار أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي إلى عيب الصنعة في الجمع بين الاستقامة والمحال جمع تضاد، فقال: والمحال ليس ضداً للاستقامة، وإنما ضدها الإعوجاج».
(انظر شرح الواحدي ٣/٣٩٥ والتبيان ٣/٢١).

(٢) «والحق على الباطل» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «فات».

(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فإنَّ».

(٥) في ر، ف «يتشبه».

(٦) كذا في ل، ت وساقطة من ر، ف.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بذَّ أمته، وفاق جملته».

ونَجَمَ خَارِجِيٌّ يُعْرَفُ بابنِ هِرَّةِ الرَّمادِ[١] في كَلْبٍ[٢] بِبَرِّيَّةِ حِمْصَ، فَأَغَارَ عَلَى أَطْرَافِ حِمْصَ، وصَاحِبُ حَرْبِها أبو وَائِلٍ، تَغْلِبُ بنُ داودَ بنِ حَمْدَانَ مِنْ قِبَلِ سَيْفِ الدَّولةِ، وكَانَ قَدْ خَرَجَ من ذلكَ اليومِ كالْمُتَنَزِّهِ وَحْدَهُ، فأَسَرَهُ الخَارِجيُّ، وطالَبَهُ بِمَالٍ، وخَيْلٍ كانَتْ لَهُ سَوَابِقَ، فَوَعَدَهُ بها[٣]، واتَّصَلَ الخَبَرُ بسيفِ الدَّولَةِ، فَسَارَ[٤] في جَيْشِهِ، فَمَا أَرَاحَ حَتَّى أَوْقَعَ بِهِ، وجَعَلَ العَرَبَ على مُقَدَّمتِهِ، فوقَعَتْ بابن هِرَّة الرَّمادِ فَهَزَمَها، إلى أَنْ بَلَغَ بِهَا إلى سَيْفِ الدَّوْلةِ، وكان سَيْفُ الدَّولةِ في أَلْفَيْنِ من غِلْمَانِهِ ووُجُوهِ رِجَالِهِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ، واسْتَنْقَذَ أَبَا وائلٍ، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ ـ أَنْشَدَهَا في شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثَلاثِمائةٍ.

١ - إلاَمَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ وَلاَ رَأْيَ في الحُبِّ لِلْعَاقِلِ

إلاَمَ: هي إلى التي للْخَفْضِ، دَخَلَتْ على ما التي للاسْتِفْهامِ، فَبُنِيَتْ

---

(١) ابن هرة الرماد: هو أحد القرامطة، خرج على سيف الدولة ومعه قبائل طي وكلب، ولم يستغرق قتال سيف الدولة لهم أكثر من تسعة أيام من سنة ٣٣٧ هـ، وقد طارد سيف الدولة ابن هرة الرماد من منطقة إلى أخرى إلى أن قتله في منطقة يقال لها وادي العرب. وذهب الثعالبي إلى أن هذا القرمطي كان يعرف بالمبرقع، وهو غير المبرقع الذي ظهر في فلسطين وقتل في دمشق سنة ٢٢٧ هـ. وقد وهم الدكتور الشكعة إذ عدّه صاحب الخال، وصاحب الخال قتل بالدكة سنة ٢٩١ هـ. (انظر سيف الدولة الحمداني د. مصطفى الشكعة ومراجعه ص ١٤٩، يتيمة الدهر ٢٤/١، تاريخ ابن خلدون ٥٧٢/٣ تاريخ أخبار القرامطة لابن العديم ص ٦٩-٩٤).

(٢) كَلْبٌ: بالتحريك، بلفظ الداء الذي يصيب من يعضه الكلب.

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «فصار».

مَعَها بِنَاءَ كَلِمةٍ وَاحِدَةٍ، وسَقَطَتْ الأَلِفُ مِنْ ما استِخْفَافاً، واعتداداً[1] بإلى في الكَلِمةِ المَوْصُولَةِ بها، وكذلكَ يَفْعَلونَ بما التي للاسْتِفْهامِ إذا اتَّصَلَ بها سَائِرُ حُرُوفِ الجرِّ، ولا يَفْعَلونَ ذلكَ بما في الخَبَرِ، وأَخْرَجَهُم إلى ذلكَ كَثْرَةُ الاسْتِعْمالِ، لما في الاسْتِفْهَامِ[2]، والطَّمَاعِيَةُ: مَصْدرٌ بِمَعْنَى الطَّمَعِ، كالعَلاَنِيةِ والكَرَاهِيَةِ[3].

فيقولُ: إلى أَيِّ شَيْءٍ يَصْرِفُ العَاذِلُ طَمَعَهُ من سُلْوانِ المُحبِّ، وما يَرْجُوهُ مِنْ ذَلكَ مُمْتَنِعٌ، والمَقْصَدُ بَيْنَهُ وبَيْنَ المُحِبِّ مُخْتَلِفٌ؛ لِأَنَّ المُحِبَّ مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، والمُتَعَقِّبُ العاقِلُ مُخْتَارٌ لِنَفْسِهِ، ولا رَأْيَ لَهُ في الحُبِّ الذي يُوجِعُ قَلْبَهُ، ويَشْغَلُ نَفْسَه.

٢ ـ يُـرَادُ مِـنَ الـقَـلْـبِ نِـسْـيَـانُـكُـمْ وَتَـأْبَى[4] الـطِّبَـاعُ عـلى النَّـاقِـلِ

الطِّباعُ والطَّبِيْعَةُ: بمَعْنًى واحِدٍ، وهما الخَلِيْقَةُ[5].

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ بِقَوْلِهِ، مُخَاطِباً لِأَحِبَّتِهِ: يُرِيدُ العَاذِلُ مِنَ القَلْبِ نِسْيَانَكُم،

---

(١) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «واعتدوا».

(٢) «كثرة الاستعمال» ساقطة من ر، ف، ت.

(٣) «والطماعية... والكراهية» زيادة في ل.

(٤) كذا في رواية ابن جني والواحدي، وفي رواية التبيان «ويأبى» وفي ل بالتاء والياء، وفي ر، ف «بالتاء» «قال ابن القطاع: قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه «وتأبى» بالتاء وهو غلط لا يجوز... إلا أن الطبع والطباع والطبيعة واحد، والطبع مصدر لا يثنى ولا يجمع، والطبيعة مؤنثة وجمعها طبائع، والطباع واحد مذكر، وجمعه طُبُعٌ، ككتاب وكتب، وليس الطباع جمعاً لطبع» «انظر التبيان في شرح الديوان ٣/٢٢).

(٥) «الطباع... الخليقة» زيادة ل. وفي ت «وهي»

وقد جَرَى حُبُّكُمْ مِنْهُ مَجْرَى الطبِيْعَةِ، وَحَلَّ فيه مَحَلَّ الخَلِيْقةِ[1]، والطَّبِيْعَةُ لا تَنْقَادُ لِنَاقِلِها[2]، ولا تَتَأَتَّى[3] لِمُخالِفِها.

٣ - وَإِنِّي لأَعْشَقُ مِنْ عِشْقِكُمْ نُحُولي وكُلُّ امْرِىءٍ[4] نَاحِلِ

أَخْبَرَنَا[5] باسْتِبْصَارِهِ في عِشْقِ أَحِبَّتِهِ، وأَنَّهُ لِتَأَكُّدِ نِيَّتِهِ في ذلك، يَعْشَقُ نُحُولَ جِسْمِهِ، وَيَأنَسُ باتِّصالِ سُقْمِهِ، وَيَعْشَقُ كُلَّ نَاحِلٍ، لِمُشَاكَلَتِهِ[6] إِيَّاهُ في حَالِهِ.

٤ - وَلَوْ زُلْتُمُ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيْتُ[7] على حُبِّيَ الزَّائِلِ

ثُمَّ قَالَ: وَلَوْ زُلْتُمْ وَلَمْ أَبْكِ على نَأْيِكُمْ، وأُظهِرِ الأَسَفَ لِفَقْدِكُمْ، لَبَكَيْتُ لِفَقْدِ حُبِّكُمْ، وأَسِفْتُ لِعَدَمِ عِشْقِكُمْ، اغتِبَاطاً بذلك[8] فِيكُمْ، واسْتِعْذَاباً لما أَلْقَاهُ بِكُمْ. واستفتَاحُهُ بِقَوْلِهِ: «وَلَوْ زُلْتُم»، وَتَقْفِيَتُهُ[9] بَعْدَ ذلك بالزَّائِلِ، بَابٌ من أَبْوابِ البَدِيعِ يُعْرَفُ بالتَّصْدير[10].

٥ - أَيُنْكِرُ خَدِّي دُمُوعي وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ في مَسْلَكٍ سَائِلِ

(١) كذا في ل وت، وفي ر، ف «الحقيقة».
(٢) في ف «لنا قبلنا» وهو تحريف.
(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «تَأَتَّى».
(٤) كذا في ل، وفي ر، ف «فتى»
(٥) في ر، ف «ثم أخبر».
(٦) في ت «لمشابهته».
(٧) في ر، ف «فكيف».
(٨) في ر، ف «لذلك».
(٩) في ت «وتعقيبه».
(١٠) في ت «بالضّدين» وهو تحريف.

يَقُول[1]، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من اسْتِئْنَاسِهِ بِوَجْدِه، واسْتِسْهَالِهِ لِحَالِهِ: أَيُنْكِرُ خَدِّي ما أُسِيْلُ[2] عَلَيْهِ من الدَّمعِ، وهو يَسْكُنُ من ذلكَ إلى حَالٍ قد عَرَفَها، وَعَادَةٍ قد أَلِفَها، ويَجْرِي مِنْهُ في طَرِيقٍ مَسْلُوكٍ، وسَبِيْلٍ مَعْمورٍ؟ والمسلَكُ السَّائِلُ: الذي يَكثُرُ المرورُ فيه[3].

٦ ـ أَأَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ وأَوَّلُ حُزْنٍ عَلى رَاحِلِ

ثُمَّ أَكَّدَ، فَقَالَ: أَهَذا الدَّمعُ أَوَّلُ دَمْعٍ أَذْرَيْتُهُ؟ وهذا الحُزْنُ أَوَّلُ حُزْنٍ شَكَوْتُهُ؟ هذا الذي لا أَعْرِفُ غَيْرَه، ولا أودُّ فَقْدَه.

٧ ـ وَهَبْتُ السُّلُوَّ لِمَنْ لاَمَني وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ في شَاغِلِ

يَقولُ[4]، مُسْتَبْصِراً في حُبِّهِ، ومُعْرِضاً عن المُتَكَلِّفِ[5] لِلَوْمِهِ: وَهَبْتُ للاَّئِمِ لي السُّلُوَّ الذي يَدْعُوني إليهِ، والجَلَدَ[6] الذي يَحُضُّني عَليهِ، وبِتُّ من الشَّوْقِ فيما يَشْغَلُني عن لَوْمِهِ، ويُزَهِّدُني في عَذْلِهِ.

٨ ـ كَأَنَّ الجُفُونَ على مُقْلَتي ثِيَابٌ شُقِقْنَ علَى ثَاكِلِ

ثُمَّ شَبَّه قِلَّةَ التِقَاءِ جُفُونِهِ على مُقْلَتِهِ، واشْتَغَالِهِ[7] بما يُذْريه من عَبْرَتِهِ، بثيابٍ مَشْقُوقَةٍ على ثَاكِلٍ مُوجَعَةٍ، وَوَالِهَةٍ مُفَجَّعةٍ، وَشَبَّهَ مُقْلَتَهُ في حُزْنِها[8]

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ما أُسبِل».
(٣) «والمسلك... فيه» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) في ر، ف «التكلف».
(٦) في ت «والخلو».
(٧) ساقطة من ر، ف.
(٨) في ت «مقلتيه في حزنها».

بتلكَ الثَّاكِلِ في وَجْدِها، وَبُعْدِ السَّهرِ لما بَيْنَ جُفونِهِ[1] بتَشْقِيقِ الثَّاكِلِ لِثِيَابِ حِدَادِها. وهذا مما شَبَّه بهِ شَيْئَيْنِ[2] بِشَيْئَيْنِ في بَيْتٍ واحدٍ، وهُوَ مِنْ أَرْفَعِ وجوهِ البَديعِ.

٩ ـ وَلَوْ كُنْتُ في غَيْرِ أَسْرِ[3] الهَوَى ضَمِنْتُ ضَمَانَ أبي وَائِلِ

ثمَّ خَرَجَ إلى وَصْفِ أَمْرِ[4] أبي وائلٍ أَحْسَنَ خُروجٍ، فقال: وَلَوْ كُنْتُ أَسيرَ[5] غَيْرِ الحُبِّ، ومَغْلُوباً في غَيْرِ سَبيلِ العِشْقِ، لاحتَلْتُ[6] بِحِيْلَةِ أَبي وَائلٍ في الاسْتِتارِ[7]، وَضَمِنْتُ لأَسِري ضَمَانَهُ من الفَكَاكِ[8]، وسَلَكْتُ في الاحْتِيالِ عليه سَبيلَهُ.

١٠ ـ فَدَى نَفْسَه بِضَمَانِ النُّضَارِ وأَعْطَى صُدُورَ القَنَا الذَّابِلِ

النُّضَارُ: الذَّهبُ[9].

فيقولُ[10]: إنَّ أَبا وَائِلٍ ضَمِنَ لأَسِرِه أَعْدَاداً من الذَّهَبِ يَفْتَدِي بها، وأَعْطَى عن ذلكَ صُدورَ الرِّماحِ، يُشِيرُ بِذلِكَ[11] إلى جَيْشِ سَيْفِ الدَّولةِ الذي اسْتَنْقَذَهُ.

---

(١) في ر، ف، ت «جفونها».

(٢) في ت «شيئان».

(٣) في ر، ف، وفي رواية التبيان «في أسر غير الهوى» والوزن مستقيم في كلا الروايتين.

(٤) في ر، ف «أمن» وهو تحريف، وساقطة من ت.

(٥) في ت «أسيراً في».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) ساقطة من ر، ف، وفي ل «الاستناد».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) «النضار: الذهب» زيادة في ل.

(١٠) في ر، ف «ثم قال».

(١١) ساقطة من ل.

١١ ـ وَمَنَّاهُمُ الخَيْلَ مَجْنُوبَةً[1] فَجِئْنَ بِكُلِّ فَتًى باسِلِ

ثُمَّ قَالَ: وَمَنَّاهُم أَنْ يَقُودَ إِلَيْهِم الخَيلَ التي اشْتَرطوا عَلَيْهِ في فِدائِهِ، فَجَاءَتْهُم تَحْمِلُ إليهم كُلَّ فَتًى باسلٍ.

والباسِلُ: الشُّجاعُ[2].

١٢ ـ كَأَنَّ خَلاَصَ أَبي وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ القَمَرِ الآفِلِ

ثمَّ[3] شَبَّهَ خَلاَصَ أَبي وَائِلٍ من إِسَارِهِ، بِخُروجِ القَمَرِ من سِرَارِهِ[4]، ومُعَاوَدَتِهِ للإِمَارَةِ، وما كَانَ عليه من السِّيادَةِ، بِمُعَاوَدَةِ القَمَرِ الآفِلِ لِضِيائِهِ، وَمُرَاجَعَتِهِ لِبَهائِهِ.

١٣ ـ دَعَا فَسَمِعْتَ وَكَمْ سَاكِتٍ على الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ

ثم قَالَ؛ مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: دَعَا فَسَمِعْتَ دَعْوَتَه على بُعْدِ مَحَلِّهِ، وأَصْرَخْتَها على انتِزَاحِ مُسْتَقَرِّهِ، وربَّ سَاكتٍ عنك لِبُعْدِهِ كالْمُخَاطِب لَكَ[5]؛ لما يُوجِبُهُ كَرَمُكَ من اهتِمَامِكَ[6] بِشَأْنِهِ، واعتِنَائِكَ بأَمْرِهِ.

١٤ ـ فَلَبَّيْتَهُ بِكَ في جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلِ

---

(١) في ر، ف «مجبوبة».
والخيل المجنوبة: التي ليس عليها فرسان، وإنما تجنَبَ للحاجة إليها، فلا تركب إلا في وقت الحرب لكرمها. (التبيان ٣/٢٤).
(٢) «والباسل» الشجاع» زيادة في ل.
(٣) زيادة من ر، ف.
(٤) السِّرار: الليلة التي يستسر فيها القمر، أي يخفى، وتكون في آخر الشهر.
(٥) كذا في ل وت، وساقطة من ر، ف.
(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «اهتبالك».

ثُمَّ قَالَ: فَلَبَّيْتَهُ إذ دَعاكَ بِنَفْسِكَ في جَحْفَلٍ،[1] ضَامِنٍ لِفَكِّ أَسْرِهِ، كَافِلٍ بِتَعْجِيلِ نَصْرِهِ.

١٥ ـ خَرَجْنَ مِن النَّقْعِ في عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ في وَابِلِ

النَّقْعُ: الغُبارُ، والعَارِضُ: السَّحابُ، والوَابِلُ: المَطَرُ الكَثِيرُ[2].

فيقولُ[3]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الدَّولةِ خَرَجَتْ من العَجَاجِ، فيما يُشْبِهُ السَّحابَ، وعليها[4] من العَرَقِ الذي أَوْجَبَهُ الرَّكْضُ، فيما يُشْبِهُ غَزِيرَ المَطَرِ، وأَشَارَ بهذا إلى شِدَّةِ الطَّلَبِ.

١٦ ـ فَلَمَّا نَشِفْنَ لَقِيْنَ السِّيَاطَ بِمِثْلِ صَفَا البَلَدِ المَاحِلِ

الصَّفَا: الحَجَرِ الأَمْلَسُ[5].

ثُمَّ قَالَ[6]: فلما نَشِفَ عَرَقُ هذهِ الخَيْلِ على ما التَبَسَ به من الغُبَارِ، لَقِيَتْ سِيَاطَ الفُرسَانِ من جُلُودِها، بمثلِ الحَجَرِ الأَمْلَسِ، الذي يَكونُ في البَلَدِ المُمْحِلِ، وهو البَعِيدُ العَهْدِ بالمَطرِ، وذلكَ أَبْلَغُ في يَبْسِهِ وجُفُوفِهِ، وهذه الزِّيادَةُ التي تُطْلَبُ بها الغَايَةُ، وقد كَانَ يَتِمُّ الكَلامُ دُونَها، بابٌ من أبوابِ البديعِ يُعْرَفُ بالتَّتْمِيمِ.

١٧ ـ شَفَنَّ لِخَمْسٍ إلى مَنْ طَلَبْـ ـنَ قَبْلَ الشُّفُونِ إلى نَازِلِ

---

(١) الجَحْفَلُ: الجيش الكثير.

(٢) النقع... الكثير» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «الصفا.... الأملس» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف: «يقول».

الشُّفُونُ: النَّظَرُ[1].

فَيَقولُ[2]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الدَّولَةِ أَدْرَكَتْ بِغْيَتَها، قَبْلَ أن يَنْزِلَ فُرْسَانُها[3] عن ظُهُورِها، وأنَّها نَظَرتْ بَعْدَ خَمْسِ لَيالٍ من رَكْضِها إلى مَنْ طَلَبَتْهُ، قَبْلَ نَظَرِها فيها إلى نُزُولِ[4] مَنْ حَمَلَتْهُ. وأشَارَ بذلكَ إلى فرْسانِ هذه الخَيْلِ، لم يَفْتُروا في الرَّكضِ، حَتَّى أوقَعوا[5] بالقَوْمِ الذين أَسْروا عَلَيْهم[6].

١٨ ـ فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الْبَرَى عَلى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الغَاسِلِ

البَرَى: التُّرابُ[7]

ثُمَّ قَالَ: إنَّ هذهِ الخيلَ التي جُهِدَتْ في الطَّلبِ، وتَدَنَّسَتْ جُلُودُها بما تَصَبَّبَ عَنْها من العَرَقِ، وما التَبَسَ بذلكَ من غُبَارِ الرَّهَجِ[8]، قَارَبَتْ مَرَافِقُهُنَّ التُّرابَ[9] بإثارَتِها له، لا بِدَعَتِها[10] فيه، وقد تَيَّقَنَتْ أنَّ دَمَ من تُوقِعُ به يَغْسِلُها، وَخَوْضَها فيه بَعْدَ الظَّفَرِ يُطَهِّرُها.

١٩ ـ وَمَا بَيْنَ كَاذَتَيِ الْمُسْتَغِيرِ كما بَيْنَ كَاذَتَيِ البَائِلِ

---

(١) «الشفون: النظر» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) «فرسانها» ساقطة من ر، ف.

(٤) «نزول» ساقطة من ر، ف.

(٥) كذا في ل، وت وفي ر، ف «وقعوا».

(٦) في ت «أسروا أبا وائل». وأسر: شدَّ

(٧) «البرى: التراب» زيادة في ل.

(٨) الرَّهَجُ: الغبارُ المثار من الخيل

(٩) في ر، ف «الرهج».

(١٠) الدَّعة: الراحة والطمأنينة.

الكَاذَةُ: لَحْمُ مُؤَخَّرِ الفَخْذِ[1].

ثُمَّ ذَكَرَ: أنَّ هذِه الخيلَ رَكَضَتِ المُدَّةَ التي ذَكَرَها، وبَلَغَتْ من الظَّفَرِ إلى الغَايَةِ التي وَصَفَها، وهي كالمُتَفَحِّجَةِ[2] لِكَرَمِها ونَشَاطِها، لم تَحْتَكَّ كَاذَتَاها[3]. ولا تَدَانَتْ عَرَاقِيبُها. وهذا يَحْدُثُ على الخَيْلِ الهُجُنِ عِنْدَ الرَّكْضِ الشَّدِيدِ، بل كَانَ ما[4] بَيْنَ كَاذَتَيِّ المُغِيرِ منها كالَّذي يَكونُ بَيْنَ كَاذَتَيِّ البَائِلِ، لم تَسْتَحِلْ عن[5] خَلْقِها، ولا اضطَرَبَتْ في شَيءٍ من أَمْرِها.

٢٠ ـ فَلُقِّينَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَصْبُوحَةٍ لَبَنَ الشَّائِلِ

الرُّدَيْنِيَّةُ: الرِّماحُ تُنْسَب إلى رُدَيْنَةَ، اسمُ امرأةٍ كانَتْ تَبِيعُ الرِّماحَ في الجاهِلِيَّةِ، والشَّائِلُ: النَّاقَةُ التي ابتَدَأ حَمْلُها فَخَفَّ لِذَلِكَ لَبَنُها، والمَصْبوحُ من الخَيْلِ: الذي يُسْقَى اللَّبَنَ صَبَاحاً لِكَرَامَتِهِ على صَاحِبِهِ[6].

فيقولُ[7]: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ بَعْدَ جَهْدِها في الطَّلَبِ، وإغْرَاقِها[8] في الرَّكضِ، لَقِيَتْ مَعَ الخارِجيِّ أَشِدَّاءَ الأَعرابِ[9]، الذين يُطاعِنونَ[10] بالرِّماحِ، وَتَعْدُو بهم كَرائمُ الخَيلِ التي تُؤْثَرُ باللَّبَنِ عِنْدَ قِلَّتِهِ، ويكونُ صَبُوحُها مَعَ شِدَّةِ الحاجةِ إليه.

---

(١) «الكاذة... الفخذ» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «كالمتعجحة».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لم تحت كاذاتها».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «على».

(٦) «الردينيّة... صاحبه» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ر، ف «أعراقها» وفي ت «عرقها».

(٩) في ف «العرب» وفي ت «أشد ما يلقاه الأعراب».

(١٠) في ت «يطعنون»

٢١ ـ وَجَـيْشَ[١] إمَـامٍ عَـلَى نَـاقَـةٍ صَحيـحِ الإمَـامَـةِ في البَـاطِـلِ

وَلَقِيَتْ جَيْشاً إمَامُهُ على نَاقَةٍ، قد تَيَقَّنَ اسْتِهْلاَكَ أَصْحَابِهِ دُونَهُ، وامتَثَلَ أَنَّ الغَلَبَةَ لَهُ، فَأَعْرَضَ لذلكَ عن رُكوبِ الخَيْلِ، وَوَصَفَهُ بِحالَةٍ من كَذِبِهِ في دَعْواهُ، واشْتِهارِهِ بِباطِلِهِ.

٢٢ ـ فـأَقْـبَـلن يَـنْـحَـزْنَ قُـدَّامَـهُ نَـوافِـرَ كـالنَّحْـلِ والعـاسِـلِ

ثم قَالَ[٢]: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولَةِ تَهيَّبَتِ الخارِجيَّ[٣] في أَوَّلِ لِقَائِهِ، وانْصَرَفَتْ[٤] إلى سَيْفِ الدَّولةِ مُنْحَازَةً بَيْنَ يَدَي الخَارِجِيِّ، كانحِيازِ النَّحْلِ بَيْنَ يَدَيْ عَاسِلِها، وافتِراقِها إذا أحسَّتْ بِسَائِرِها.

٢٣ ـ فَـلَمَّا بَـدَوْتَ لأَصْـحَـابِـهِ رَأَتْ أُسْـدُهـا آكِـلَ الآكِـلِ

يَقولُ[٥] لِسَيْفِ الدَّولةِ: فلما بَدَوْتَ لأصحابِ الخارِجيِّ بَعْدَ انحِيازِ أصْحَابِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، رأَتْ أُسْدُ خَيْلِهِ مِنْكَ أَسَدَ الأُسُودِ، وآكِلَ الآكِلِ، الذي يَغْلِبُ الغالِبَ، ويَسْتَهْضِمُ القَادِرَ.

٢٤ ـ بِـضَـرْبٍ يَـعُـمُّـهُـمُ جَـائِـرٍ لـه فِـيـهُـمُ قِـسْـمَـةُ الـعَـادِلِ

وَبَدَوتَ لهم بِضَرْبٍ عَمَّ جَمَاعَتَهُم، وشَمِلَ جُمْلَتَهُم، أَبْلَغَ فيهم إبلاغَ الجَائِرِ، وأَفْرَطَ إفْراطَ المُسْرِفِ، وسَوَّى بَيْنَهم فيما نَالَهُم مِنْهُ تَسْوِيةَ العَادِلِ،

---

(١) في رواية ابن جني والواحدي والتبيان «وجَيْشِ» بالكسر مجروراً بواو ربّ، وبالفتح مفعولاً للُقِّين.

(٢) في ر، ف «ثم ذكر».

(٣) في ر، ف «تهيبته».

(٤) في ر، ف «فانصرفت».

(٥) في ر، ف «ثم قال».

وَشَمِلَ جَميعَهُم[1] شُمُولَ المُنْصِفِ، وطَابَقَ بَيْنَ الجَوْرِ والعَدْلِ.

٢٥ ـ وَطَـعْـنٍ يَجْـمَـعُ شَـذَّانَهُـمْ كـما اجْـتَـمَـعَـتْ دِرَّةُ الحـافِـلِ

الشَّذَّانُ: القومُ المُتَفَرِّقون، وشَذَّانُ الحَصَى: ما افتَرَقَ مِنْهُ، والحافِلُ مِنَ الشِّيَاهِ: التي قد اجتَمَعَ لَبَنُها في ضَرْعِها[2].

ثُمَّ قَالَ: وَبَدَوْتَ لهم بِطَعْنٍ جَمَعَ شَذَّانَهُم بِشِدَّتِهِ، وحَصَرَهُم لِخَافَتِهِ، كما يَجْمَعُ الضَّرْعُ الحَافِلُ دِرَّتَهُ، وَيَحْصُرُ لَبَنَهُ.

٢٦ ـ إذا مـا نَـظَرْتَ إلى فَـارِسٍ تَحَـيَّرَ عَـنْ مَـذْهَـبِ الـرَّاجِـلِ

يقولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: إنَّ أَصْحَابَ الخَارِجيِّ لما رَأَوْكَ، تَدَاخَلَهُمْ من هَيْبَتِكَ، وأَدْرَكَهُمْ من مَخَافَتِكَ، ما صَارَ فارِسُهمْ مَعَهُ يَعْجَزُ عَمَّا يَبْلُغُهُ الرَّاجِلُ، وَقَوِيُّهم يُقَصِّرُ عما يَفْعَلُهُ الضَّعيفُ.

٢٧ ـ فَـظَلَّ يُخَـضِّـبُ مِـنهـا الـلِّحَـى فَـتًى لا يُـعِـيـدُ عـلى الـنَّـاصِـلِ

ثُمَّ قالَ: فَخَضَّبَ[4] لِحَاهُمْ بِدِمَائِهِم مِنْكَ فَتًى، لا يَقْصِدُ بِخِضَابِهِ قَصْدَ التَّزيينِ، وإنَّما يَقْصِدُ بِهِ[5]. قَصْدَ الإهلاكِ، فَلَيْسَ يَحْفِلُ إذا أَتْلَفَ النَّفسَ بما[6] أَخْطَأَهُ خِضَابُهُ مِنَ الشَّعَرِ. ونُصُولُ الشَّعَرِ: خُروجُهُ من الخِضَابِ[7].

---

(١) في ر، ف «جماعتهم».

(٢) «الشذان... ضرعها» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «مخضِّب».

(٥) كذا في ر، ف، ت، وساقطة من ل.

(٦) في ر، ف «ما أخطأ خضابه».

(٧) «ونصول... الخضاب» زيادة في ل.

٢٨ ـ ولا يَسْتَغِيثُ إلى ناصِرٍ ولا يَتَضَعْضَعُ مِنْ خاذِلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ لا يَسْتَغيثُ إلى ناصِرٍ يَنْصُرُهُ، لاسْتِغْنائِهِ بنَفْسِهِ، ولا يَتَضَعْضَعُ لِخاذِلٍ يَخْذُلُه، لما يُسْنِدُ إليه من بَأْسه.

٢٩ ـ ولا يَزَعُ الطِّرْفُ عن مُقْدَمٍ ولا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عن هائِلِ

الوَزَعُ: الكَفُّ، والطِّرفُ: الفَرَسُ الكَريمُ[١].

فيقولُ[٢]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لا يَكُفُّ فَرَسَهُ عن مُقْدَمٍ[٣] لِشَجاعَتِهِ، ولا يَغُضُّ طَرْفَهُ عن هائلٍ لِجُرْأتِهِ.

٣٠ ـ إذَا طَلَبَ التَّبْلَ لم يَشْأَهُ وإن كانَ دَيْناً عَلَى ماطِلِ

التَّبْلُ: التِّرَةُ[٤]، والشَّأْوُ: السَّبْقُ[٥].

ثُمَّ قالَ: إذا طَلَبَ ثَأراً لم يَفُتْهُ، وإن كانَ مُتَعذِّراً أَمْرُهُ، مُمْتَنِعاً مَوْضِعُهُ، وضَرَبَ قَوْلَهُ: «وإن كَانَ دَيْناً على ماطِلٍ» مَثَلاً في ذلك.

٣١ ـ خُذُوا ما أَتَاكُمْ بِهِ واعْذِرُوا فَإنَّ الغَنِيمَةَ في العَاجِلِ

ثُمَّ قالَ: هازِئاً بهم: خُذوا ما أَتاكُمْ به[٦] من هذه الوَقْعَةِ مُتَجَوِّزينَ، وتَصَبَّرُوا لِذَلكَ عَاذِرينَ، فإنَّ الغَنِيمةَ فيما استُعْجِلَ، والغِبْطَةَ فيما اقْتُضِيَ.

---

(١) «الوزع... الكريم» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) كذا في ل وت، وفي ر، ف «متقدم».

(٤) التِّرَةُ: الثأر.

(٥) «التبل... السبق» زيادة في ل.

(٦) «به» ساقطة من ر، ف.

وهذا [1] على طَريقِ الهُزْءِ[2] بِهِمْ، والتوبِيْخِ بالوَقْعَةِ [3] التي عَجَّلها سَيْفُ الدَّولةِ لَهم.

٣٢ ـ وإنْ كَـانَ أعـجَـبَكُـمْ عَـامُـكُـمْ فَـعُـودوا إلى حِمْصَ في الـقَـابِـلِ

يَقولُ[4]، على نَحْوِ ما تَقَدَّمَ من هُزْئِهِ[5] بهم: وإن كُنْتُم مُسْتَقِلِّينَ بما[6] نَالَكُم في هذا العامِ من سَيْفِ الدَّولةِ، فَعُودُوا إلى عَمَلِهِ في[7] حِمْصَ في العَامِ القَابلِ، فإنَّهُ يَعُودُ لكم بِمِثْلِ ما أَوْقَعَهُ بكم.

٣٣ ـ فـإنَّ الحُسَـامَ الخضِيـبَ الَّـذي قُـتِـلْتُـمْ بِـهِ في يَـدِ الـقَـاتِـلِ

ثُمَّ قَالَ: فإنَّ السَّيفَ الخَضِيبَ بِدِمائِكُمْ، المَسْلُولَ لِقَتْلِكُمْ، في يَدِ الذي قَتَلَ جَمَاعَتَكُم، وأَذَلَّ عِزَّكُم[8]، وأَذْهَبَ نَخْوتَكُمْ.

٣٤ ـ يَجُـودُ بِمِـثْـلِ الـذي رُمْـتُـمُ فَـلَمْ تُـدْرِكُـوه عـلى السَّائِـلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ يَجُودُ على سَائِلِهِ بِمِثْلِ الذي رُمْتُمُوه فَأَعْجَزَكُمْ، وَيَسْمَحُ لِقاصِدِه بمثلِ الذي حَاوَلْتُمُوهُ فأَهْلَكَكُمْ، ولو سَأَلْتُمُوهُ لَعَمَّكُم فَضْلُهُ، ولو قَصَدْتُموه لَشَمِلَكُمْ عَفوُهُ.

---

(١) ساقطة من ل.

(٢) في ر، ف «الهزل».

(٣) في ر، ف «الوقيعة».

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «هزله».

(٦) في ل «مُسْتَقْبِلينَ لما».

(٧) «في» ساقطة من ر، ف.

(٨) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «عزتكم».

٣٥ ـ أَمَـامَ الـكَتِيْبَـةِ تُـزْهَـى بِـهِ مَـكَـانَ السِّنَـانِ من الـعَـامِـلِ

الزَّهوُ: الكِبْرُ، والعَامِلُ: صَدْرُ الرُّمحِ[١].

فَيَقولُ[٢]: إنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ لإقدَامِهِ، وجُرْأَةِ نَفْسِهِ في صُدورِ خَيْلِهِ، وأَوائِلِ كَتَائِبِهِ، تَتِيْهُ فُرْسَانُهُ بِهِ، وتُزْهَى بِمَوْضِعِهِ، وإنَّه مِنْها بِمكانِ[٣] السِّنَانِ من صَدْرِ الرُّمحِ، والسِّنانُ[٤] الذي لَهُ الفِعْلُ، وبه يكونُ الطَّعْنُ، وسائِرُ الرُّمحِ أَدَاةٌ تُعَضِّدُهُ، وآلةٌ تُؤَيِّدُهُ.

٣٦ ـ وإني لأَعْـجَـبُ مِـنْ آمِـلٍ قِـتَـالاً بِـكُـمٍّ عـلى بَـازِلِ

البَازِلُ مِنَ الإبلِ: الذي قد ظَهَرَ نابُهُ[٥].

ثُمَّ رَجَعَ إلى الخارجيِّ، فَقَالَ: وإنِّي لأَعْجَبُ مِمَّن يُؤَمِّلُ قِتَالاً بِكُمِّهِ، دُونَ أَنْ يَصِلَ شَيْئاً من السِّلاحِ بِنَفْسِهِ، وَيَقْتَحِمُ الحَرْبَ عَلَى جَمَلٍ دُونَ أَنْ يَقْتَحِمَهَا على فَرَسٍ.

٣٧ ـ أَقَـالَ لَـهُ[٦] الـلَّهُ لا تَـلْقَـهُـمْ بِمَـاضٍ عَـلَى فَـرَسٍ حَـائِـلِ

الحَائِلُ مِنَ الخَيْلِ: التي لم تَحْمِل[٧].

آللَّهُ أَمَرَهُ بِأَنْ لا يَأْخُذَ لِلحَرْبِ آلَتَها، ولا يَتَأَهَّبُ[٨] فيها بأُهْبَتِها، وأَنْ

(١) «الزهو... الرمح» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ل «مكان»

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «البازل... نابه» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «أقال لك».

(٧) «الحائل... تحمل» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «وتتأهبه» و«لا» ساقطة من ت.

لا[1] يَلْقَى مُحَارِبَهُ[2] بِسَيْفٍ مَاضٍ صَارمٍ، عَلَى فَرَسٍ كَرِيمَةٍ حَائِلٍ؟ واشْتَرَطَ الحِيَالَ[3]؛ لأَنَّه أَمْكَنُ لِلْجَرْيِ.

٣٨ ـ إذا مـا ضَـرَبْـتَ بـه هَـامَـةً بَـرَاهـا وَغَـنَّـاكَ فِي الـكَـاهِـلِ

الكَاهِلُ: أَعْلَى الظَّهْرِ[4].

ثُمَّ قالَ: إذا ضَرَبَ بذلكَ السَّيْفِ هَامَةً بَرَاها بِحِدَّتِهِ[5]، وَنَفَذَ فيها بِصَرَامَتِهِ، وَبَلَغَ إلى الكَاهِلِ فَصَوَّتَ فِيهِ، وَتَخَطَّى الهامَةَ بِقُرْبِها[6] إلَيْهِ.

٣٩ ـ وَلَـيْسَ بـأَوَّلِ ذي هِمَّـةٍ دَعَـتْـهُ لِمَـا لَـيْسَ بـالـنَّـائِـلِ

يَقُولُ[7]: إنَّ هذا الخَارِجِيَّ لَيْسَ فيما حَاوَلَهُ من مُعَارَضَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، بأَوَّلِ مَنْ هَمَّ بما يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، ورَامَ ما لا يَجِدُ سَبيلاً إليه.

٤٠ ـ يُـشَـمِّـرِ لِـلُّجِّ[8] عَـنْ سَـاقِـهِ وَيَـغْـمُـرُهُ المَـوْجُ فِي الـسَّـاحِـلِ

يَقُولُ[9]: إنَّه فيما يَتَعاطاهُ[10] من مُقَاوَمةِ جُمْلَةِ جُيوشِهِ، وَعَجْزِهِ عن أَقَلِّها، وما رَامَهُ مِنَ التَّعَرُّضِ لِشِدَّةِ عزائِمِهِ، وَهَلاَكِهِ بأَيْسَرِها، كَمَن يُرِيدُ أن

(١) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «الا».
(٢) في ت «الحرب».
(٣) في ر، ف «الحائل».
(٤) «الكاهل... الظهر» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «لحدته».
(٦) في ل «بفريها».
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) اللُّجُّ: معظم الماء.
(٩) زيادة في ر، ف.
(١٠) في ر، ف «تعاطاه».

يَخُوضَ لُجَّةَ البَحْرِ، وَيَضْعُفُ عن الوقُوفِ في شَطِّهِ، ويُريدُ اقتِحامَ مُعْظَمِهِ، والموجُ يَغْمُرُهُ في سَاحِلِهِ، فَيَتعرَّضُ للصَّعْبِ الكَبِيرِ، وهو يَعْجَزُ عن السَّهْلِ الحَقِيرِ.

٤١ ـ أمـا لِـلـخَـلافَـةِ مـن مُـشْـفِـقٍ عـلى سَيْفِ دَوْلَتِها الفَـاضِـلِ[1]

٤٢ ـ يَـقُـدُّ عِـدَاهـا بـلا ضَـارِبٍ وَيَسْرِي إلـيـهـمْ بِـلاَ حَـامِـلِ

يقولُ[2]: أَمَا لِلْخِلافَةِ من ضَنِينٍ بِسَيْفِ دَوْلَتِها، ومُشْفِقٍ على حَائِطِ جُمْلَتِها، الذي قد بَانَ فَضْلُهُ، وارتُضِيَ[3] سَعْيُهُ، فهو يَقُدُّ أعداءَهَا دونَ ضَارِبٍ يُنْهِضُـهُ، ويَسْري إلَيْهم دونَ حَامِلٍ يَنْقُلُه، فإذا[4] افتَقَرَ السَّيفُ إلى مَنْ يَضْرِبُ بِهِ، كانَ هو[5] مُنْفَرِداً بِفِعْلِهِ، وإذا التَجأَ إلى مَنْ يَحْمِلُه، كانَ هو[6] مُكْتَفِياً[7] بِنَفْسِهِ.

٤٣ ـ تَـرَكْـتَ جَمَـاجِمَـهُـمْ في الـنَّـقَـا[8] وَمَـا يَـتَـخَـصَّـلْنَ[9] لِـلنَّـاخِـلِ

النَّقَا: الكَثيبُ من الرَّمْلِ[10].

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «الفاصل» بالصاد.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ف «أرضي».

(٤) في ل «إذا».

(٥) ساقطة من ل وت.

(٦) ساقطة من ت.

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مُسْتَكفياً».

(٨) في ر، ف «الوغى».

(٩) في رواية التبيان «يتخلَّصن».

(١٠) «النقا... الرمل» زيادة في ل.

فَيقولُ[1]: تَرَكْتَ جَمَاجِمَ أَصْحَابِ الخَارِجِيِّ في النَّقَا، وقد فَارَقَتْ أَجْسَادَهُم، بَعْدَ أن أَوْقَعْتَ بِهَا مِنَ الضَّرْبِ ما هَشَّمَها، وَدَقَّقَ أَجْزَاءَها، حَتَّى التَبَسَتْ بالرَّمْلِ، ولم تَتَحَصَّلْ لِنَاخِلها،[2] ولا انفَصَلَتْ لِمُتَأَمِّلِها.

٤٤ ـ وأَنَبْتَّ مِنْهُم رَبِيعَ السِّبَاعِ فَأَثْنَتْ بِإِحسَانِكَ الشَّامِلِ

ثُمَّ قالَ: وأَنْبَتَّ من أجسَادِهم[3] رَبيعَ السِّبَاعِ، فَأَخْصَبَتْ في لُحومِها، إِخْصَابَ السَّائِمَةِ في رَبِيْعِها، فأَثْنَتْ بما عَمَّها مِنْ فَضْلِكَ، وَشَمِلَها مِنْ إحسَانِكَ، وأَجْرَى أكثرَ لَفْظِ هذا البَيْتِ على الاسْتِعارَةِ.

٤٥ ـ وعُدْتَ إلى حَلَبٍ ظَافِراً كَعَوْدِ الحُلِيِّ إلى العَاطِلِ

ثُمَّ قالَ: وعُدْت إلى حَلَبَ مُسْتَقَرَّكَ ظَافِراً مُسْتَعْلِياً، فَحَلِيَتْ بَعْدَ العَطَلِ[4] بِعَوْدَتِكَ، وأَنِسَتْ بعد الوَحْشَةِ بِأَوْبَتِك.

٤٦ ـ وَمِثْلُ الذي دُسْتَهُ حَافِياً يُؤَثِّرُ في قَدَمِ النَّاعِلِ

دُسْتُ الشيءَ: إذا وَطِئْتَهُ[5]

فيقولُ[6]: ومَثَلُ الذي أَدْرَكْتَهُ بِعَفْوِكَ، وتناوَلْتَهُ بأَيْسَرِ سَعْيِكَ، يَعْجَزُ عَنْهُ غَيْرُكَ، وإنْ أَجْهَدَ فيه نَفْسَهُ، ويُقَصِّرُ عَنْهُ، وإن أَخَذَ لَهُ أُهْبَتَهُ، وكَنَى بالحَافِي عن المُسْتَرْسِلِ، وبالنَّاعِلِ عن[7] المُتَأَهِّبِ، وحَمَلَ الكلامَ على الاسْتِعَارَةِ.

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) نَخَلَهُ يَنْخُلُه، وتَنَخَّلَهُ صَفّاه واختاره.

(٣) في ر، ف «أجسامهم».

(٤) عطت المرأة عَطَلاً وعطولاً وتَعَطَّلَتْ: إذا لم يكن عليها حُلِيّ.

(٥) «دست... وطئته» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ل «على».

٤٧ ـ وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الأَبْلَقِ الجَائِلِ

الشِّيَةُ: العَلاَمَةُ[١]

ثُمَّ قالَ: وكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ ذِكْرُهُ، ومن فِعْلٍ جَليلٍ قَدْرُهُ، قَدْ شَهَرَهُ كَرِيْمُ[٢] أَثَرِكَ، كما تَشْهَرُ الأَبْلَقَ الجَائِلَ[٣] شِيَتُهُ، وَتُبِيْنُهُ عَلاَمَتُهُ[٤].

٤٨ ـ وَيَوْمٍ شَرَابُ بَنِيهِ الرَّدَى بَغِيضِ الحُضُورِ إِلى الوَاغِلِ

الواغِلُ: الدَّاخِلُ على القومِ في طَعَامٍ أو شَرَابٍ دونَ أن يَدْعُوه[٥].

ثُمَّ قَالَ: وكَمْ لكَ من يَوْمٍ[٦] أَقَمْتَ فيهِ سوقَ الحَرْبِ، وتَنَازَعَ بَنُوهُ شَرَابَ الرَّدَى، وتعاطَوْا كُؤُوسَ الموتِ، فأَبْغَضَ حُضُورَهُ الوَاغِلُ فيه، وَنَكَّرَه شدَّتَهُ الصَّالي[٧] بِهِ، وجَرَى هذا الكلامُ على مِثْلِ ما تَقَدَّمَ من الاستِعارَةِ، وهي من أَبْوَابِ البديعِ.

٤٩ ـ تَفُكُّ العُنَاةَ وَتُغْنِي العُفَاةَ وَتَغْفِرُ لِلمُذْنِبِ الجَاهِلِ

العُنَاةُ: الأَسْرَى، والعُفَاةُ: السُّؤَّالُ[٨].

فيقول[٩]: تَفُكُّ الأَسْرَى بِبَأْسِكَ، وَتُغْنِي السُّؤَّالَ بِكَرَمِكَ، وَتَغْفِرُ للجاهِلِينَ بِحِلْمِك.

---

(١) «الشيه: العلامة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «جميل»، وفي ت «كرمك».

(٣) البَلَقُ: سواد وبياض، أو كل لون فيه سواد وبياض ومن الخيل: ارتفاع التحجيل إلى الفخذين، والجائل: المتجول المتحرك.

(٤) في ت «كما شهر الأبلق الجائل شيته، وتَبَيُّن علامته».

(٥) «الواغل... يدعوه» زيادة في ل.

(٦) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «وكم من يوم لك».

(٧) الصَّالي: الذي يقاسي حرّ النار.

(٨) «العناة... السؤال» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال له».

٥٠ ـ فَـهُـنِّـأَكَ الـنَّصْرَ مُـعْـطِيـكَـهُ وأَرضَـاهُ سَـعْـيُـكَ في الآجِـلِ

ثُمَّ قَالَ[١]: فهنَّأَكَ اللَّهُ ما مَنَحَكَ مِنْ نَصْرِهِ، وَزَادَكَ فيما آتاكَ مِنْ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ ما وَهَبَ لك من ذلك في العَاجِلِ، بما يُرْضِيهِ من سَعْيِكَ في الآجِلِ.

٥١ ـ فَـذِي الـدَّارُ أَخْـوَنُ من مُـومِسٍ وأَخْـدَعُ مـن كِـفَّـةِ الحَـابِـلِ

وقَوْلُهُ: «فَذِي الدَّارُ أخونُ مِنْ مُومِسٍ»[٢]، ذي حَرْفٌ يُشَارُ به إلى المُؤَنَّثِ، كما يُشَارُ بذا إلى المُذَكَّرِ، والدَّارُ التي أَشَارَ إليها الدُّنيا، والمومِسُ: المرأةُ الفاجِرةُ، والحابِلُ: الصَّائِدُ، وَكِفَّتُهُ: حِبَالَتُه[٣]. فيقولُ: هذه الدُّنيا أخونُ من الفَاجِرةِ التي تَخْلِفُ من وَثِقَ بها، وأَخْدَعُ من الحِبالَةِ التي تَصْرَعُ مَنْ اطْمَأَنَّ إليها.

٥٢ ـ تَـفَـانَى الـرِّجَـالُ عـلى حُـبِّـهـا وَمَـا يَحْـصُـلونَ عـلى طَـائِـلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ الرِّجالَ[٤] قد تَفَانَوا على حُبِّها، ولم يَحْصُلوا على طَائِلٍ من أَمْرِها[٥]، لأَنَّها تَأْخُذُ ما تُعْطِيهِ، وتَهْدِمُ ما تَبْنِيهِ، وتُمِرُّ بَعْدَ حَلاَوتِها، وَتَعْوَجُّ بَعْدَ اسْتِقَامَتِها، فَمَنْ عَرَفَها رَفَضَها، ومَنْ تَدَبَّرَها[٦] هَجَرَها.

(١) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٢) «وقوله... مومس» زيادة في ر، ف.
(٣) «والمومس... حبالته» زيادة في ل.
(٤) في ل «فالرجال».
(٥) في ت «من أمرها على طائل».
(٦) في ت «قدَّرها».

وسارَ سَيفُ الدَّولةِ إلى المَوْصِلِ لِنُصْرَةِ أخيهِ الحَسَنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَمْدانَ[١] لما قَصَدَهُ مِنْ بَغْدَادَ أَحْمَدُ بنُ بُوَيْهِ الدَّيْلَميُّ، لِيَغْلِبَهُ على أَرْضِ المَوْصِلِ، فلما أَحسَّ[٢] الدَّيْلَمِيُّ بإقْبَالِ سَيْفِ الدَّولَةِ، قَارَبَ الحسنَ بنَ عَبْدِ اللهِ، وأَجَابَهُ إلى أَنْ يَبْعَث إلى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ من خَرَاجِ المَوْصِلِ بما جَرَت به عادَتُهُ بِبَعْثِهِ، وانصرَفَ عنه إلى بَغْدَادَ دون حَرْبٍ[٣]. فقالَ أبو الطَّيِّبِ في ذلكَ، أَنْشَدَها في ذي القِعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وثلاثينَ وثَلاثِمائةٍ.

١ - أَعْلَى المَمالِكِ ما يُبْنَى على الأَسَلِ والطَّعنُ عِنْدَ مُجَيِّيهِنَّ كالقُبَلِ

المَمالِكُ: جَمْعُ مَمْلَكةٍ، وهي سُلْطَانُ المَلِكِ في رَعِيَّتِهِ، والأَسَلُ: الرِّماحُ، والقُبَلُ جَمْعُ قُبْلةٍ[٤].

فيقولُ: أَعْلَى المَمالِكِ رُتْبَةً، وأَظْهَرُها رِفْعَةٍ، ما بُنِي على الحَرْبِ، ودُفِعَ[٥] عَنْهُ بالطَّعْنِ والضَّربِ، وأَشارَ بالأَسَلِ إلى هذه العِبارةِ، وما يَكونُ الطَّعنُ عِنْدَ مالِكِه، والقِتَالُ عِنْدَ مُجَيِّهِ[٦] كالقُبَلِ[٧] المُسْتَعْذَبَةِ، واللذَّاتِ المُغْتَنَمَةِ.

٢ - وما تَقِرُّ سيوفٌ في مَمالِكِها حَتَّى تَقَلْقَلَ دَهْراً قَبْلُ في القُلَلِ

(١) «بن عبدالله بن حمدان» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ف «حس».

(٣) «قارب... حرب» زيادة في ل، وفي ر، ف «فلما أحسَّ... بارد الحسن الصابر وكف». وبارد: تحريف بادر.

(٤) «الممالك... قبله» زيادة في ل.

(٥) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «دوفع».

(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «مُجَيِّبه».

(٧) في ت «إلا كالقبل».

التَّقَلْقُلُ: دَوامُ الحرَكَةِ، والقُلَلُ: الرُّؤوسُ، واحِدَتُها قُلَّةٌ، وقُلَّةُ كُلِّ شيءٍ: أَعْلاهُ[1].

ثُمَّ قالَ: وما تَقَرُّ سيوفٌ في دُوَلِها، وتَسْكُنُ في مَمالِكها، حَتَّى تَطُولَ[2] حَرَكَتُها في ضَرْبِ رؤوسِ المُخالِفينَ، وَتَشْهُرَ[3] آثارُها في قَمْعِ المُعْتَرِضينَ، فحِينَئذٍ تَنُوبُ رَهْبَتُها عن استِلالِها، وتُغْنِي هَيْبَتُها عن استِعْمالِها، وأَشارَ بذلكَ إلى انصِرافِ الدَّيْلَميِّ دونَ حَرْبٍ، تَهَيُّباً[4] لِسَيْفِ الدَّولةِ.

٣ ـ مِثْلُ الأَميرِ بَغَى أَمْراً فَقَرَّبَهُ طُولُ الرِّماحِ وَأَيْدِي الخيلِ والإِبلِ

يَقولُ، مُصَدِّقاً لما شَرَطَهُ، ومُحَقِّقاً لما ذَكَرَهُ: مِثْلُ الأميرِ سَيْفِ الدَّولةِ بَغَى حِمايَةَ المَوْصِلِ، ودَفْعَ الدَّيْلَميِّ عنها، فَقَرَّبَ[5] لَهُ ذلكَ طُولُ رِماحِهِ في وقائِعِهِ، وإِسْرَاعُ خَيْلِهِ وإِبلِهِ إلى أَعادِيهِ[6].

٤ ـ وَعَزْمَةٌ بَعَثَتْهَا[7] هِمَّةٌ زُحَلٌ مِنْ تَحْتِها بِمَكَانِ التُّرْبِ من زُحَلِ

ثُمَّ قالَ: وَعَزْمَةٌ اسْتَعْمَلَهَا نافِذَةٌ، بَعَثَتْها مِنْهُ[8] هِمَّةٌ عاليةٌ، يَتَواضَعُ زُحَلُ عن عُلُوِّ مَوْضِعِها، كَتَواضُعِ التُّرْبِ عن عُلُوِّ مَوْضِعِهِ.

٥ ـ على الفُراتِ أَعاصيرٌ وفي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِلْقَى النَّصرِ مُقْتَبَلِ

(١) «التقلقل... أعلاه» زيادة في ل.
(٢) في ت «تكون».
(٣) في ر، ف «ويشتهر» وفي ت «وتشتهر».
(٤) في ت «هيبة».
(٥) في ف «فقر».
(٦) في ت «عادته»
(٧) في ر، ف «بغتها».
(٨) كذا في ل، ت وساقطة من ر، ف.

الفُراتُ: نَهْرٌ معروفٌ، والأَعاصِيرُ: الرِّياحُ الكثيرةُ الغُبَارِ، واحِدُها إعْصَارٌ، والمُقْتَبَلُ: الذي تَناهى شَبَابُهُ، ولا أَثَرَ فيه للكِبَرِ[1].

فَيَقولُ[2]: إنَّ على الفُراتِ، وهو في حدودِ أَعْمَالِ الدَّيْلَميِّ، غَبَراتٍ من العَجَاجِ، تُثِيرُها كَتَائِبُ سيفِ الدَّولةِ، وفي حَلَبَ، دارِ مُسْتَقَرِّهِ من الشَّامِ[3] تَوَحُّشٌ منها[4] لِمِلكٍ، قد عَوَّدَهُ اللَّهُ الظهورَ على أَعَادِيه، وَلَقَّاهُ النَّصْرَ في مَقَاصِدِه، مُقْتَبَلٍ[5] في شَبِيْبَتِهِ[6]، مُتَنَاهٍ في قُوَّتِهِ.

٦ ـ تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الكُتْبَ التي نَفَـذَتْ[7] وَيَجْعَلُ الخيلَ أَبْدالاً من الرُّسُلِ

ثُمَّ قَالَ: مُشِيراً إلى أَمْرِ الدَّيْلَميِّ: يُنْذِرُ أَعَادِيهِ بِكُتُبِهِ، ويُعْذِرُ إليهم برُسُلِهِ، فإذا قامَتْ حُجَّتُهُ عَلَيْهم، تَلَتْ أَسِنَّتُهُ كُتُبَهُ، وعاقَبَتْ خُيولُهُ رُسُلَهُ، وكان إيقاعُهُ بهم، بَدَلاً من تَحْذِيره لهم.

٧ ـ يَلْقَى الملوكَ فـلاَ يَلْقَى سِـوَى جَـزَرٍ وما أَعَدُّوا[8] فـلا يَلْقَى سوى نَفَـلِ

النَّفَلُ: الغَنِيْمَةُ[9].

فَيَقولُ[10]: إنَّ سَيْفَ الدولةِ يَلْقَى الملوكَ إذا خَالَفَتْهُ، فلا[11] يَلْقَى مِنْها

(١) «الفرات... للكبر» زيادة في ل.
(٢) في ر، ف «ثم قال».
(٣) «من الشام» ساقطة من ت.
(٤) في ت «وحشة لملك»
(٥) في ل «ومقتبل» وفي ت «مقتبلاً».
(٦) في ر «شيبته».
(٧) في ر، ف «وردت».
(٨) في ف «أعادوا».
(٩) «النفل: الغنيمة» زيادة في ل.
(١٠) في ر، ف «ثم قال».
(١١) في ر، ف «فما».

إلا جَزَرَ سُيوفِهِ، وما أَعَدُّوه[1] من سِلاحِهم وآلاتِهِمْ، فلا يَلْقَى إلا غَنَائِمَ جُيوشِهِ، لما عوَّدَهُ اللَّهُ من الظُّهورِ عليهم، والنِّكَايَةِ فيهم.

٨ ـ صَانَ الخَلِيفَةُ بالأَبْطَالِ مُهْجَتَهُ صِيَانَةَ الذِّكَرِ الهِنْدِيِّ بالخِلَلِ

الخِلَلُ: جُلودُ جُفونِ السُّيوفِ، واحِدَتُها خِلَّةٌ، والخِلَّةُ: كلُّ جِلدٍ مَنْقوشٍ[2]

ثمَّ قالَ: إنَّ الخليفةَ لَمَّا عَلِمَ أنه[3] سَيْفُهُ الذي يَسْطو به، صَانَهُ بالأَبْطَالِ الذين[4] أَثْبَتَهُمْ في رَسْمِهِ، والحُمَاةِ الذين جَرَّدَهُمْ[5] لحِفْظِهِ، كما يُصَانُ السَّيفُ الكَرِيْمُ بالجُفُونِ التي يَنْتَقِلُ فيها، والأَغْمَادِ التي يُحْفَظُ بها[6]، وجَعَلَ هذا الوَصْفَ إشارةً لما شَرَّفَهُ به الخَلِيْفَةُ من تَلْقِيبِهِ بِسَيْفِ الدَّولةِ.

٩ ـ الفَاعِلُ الفِعْلَ لم يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ والقَائِلُ القولَ لم يُتْرَكْ ولم يُقَلِ

يَقولُ[7]: إنَّ سَيْفَ الدولةِ يَفْعَلُ الذي قَصَّرَ عَنْهُ الفاعِلونَ لِشِدَّتِهِ، وعِظَمِ شأنِهِ في حَقيقَتِهِ، ويَقولُ القولَ[8] الذي عَجَزَ القائِلونَ عَنْهُ قَبْلَهُ[9]، فلم يَقْدِرُوا على مِثْلِهِ، ولا قَصَدُوا إلى تَرْكِهِ.

١٠ ـ والباعِثُ الجيشَ قد غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءَ النَّهارِ فَصارَ الظُّهْرُ كالطَّفَلِ

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «أعدوا».

(٢) «الخلل... منقوش» زيادة في ل.

(٣) في ت «أن» ومطموسة في ل.

(٤) في ر، ف «الذي».

(٥) في ت «اختارهم».

(٦) في ت «كما يصان السيف الكريم بالأغماد التي يتخلل فيها والجفون التي يحفظ بها».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) «القول» ساقطة من ر، ف.

(٩) كذا في ر، ف، ت وساقطة من ل.

الغَوْلُ: الإهلاكُ، والطَّفَلُ: وَقْتُ المَساءِ[1].

ثمَّ قَالَ: وهو البَاعِثُ الجيشَ الشَّدِيدَ بأسُهُ، الكثيرَ عَدَدُهُ، الذي تَذْهَبُ[2] عَجَاجَتُهُ بِضَوْءِ النَّهَارِ، وتَطْمِسُ إشْرَاقَ الشَّمْسِ في وقتِ الظُّهْرِ، حَتَّى تَصِيْرَ[3] على مِثلِ حالِها في وَقْتِ الغُروبِ، وأشارَ بذلك إلى عِظَمِ الجَيْشِ.

١١ ـ الجَوُّ أَضْيَقُ ما لاَقَاهُ سَاطِعُها وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ فِيْهِ أَحْيَرُ المُقَلِ

الجوُّ: ما بَعُدَ من الهواءِ، والسَّاطِعُ: المُنْتَشِرُ[4].

فَيقولُ: إنَّ ما بَعُدَ من الهواءِ أَضْيَقُ بساطِعِ هذا الرَّهجِ مما قَرُبَ؛ لأنَّ فيما بَعُدَ تَجْتَمِعُ جُمْلَتُهُ، وتَتَوافى[5] كَثْرَتُهُ، وما قَرُبَ فإنما يَرُدُّه الشَّيءُ بَعْدَ الشَّيءِ، فيتخَلَّ[6] مِنْهُ، ولا يَجْتَمِعُ فيهِ، وَمُقْلَةُ الشَّمْسِ أَحْيَرُ المُقَلِ بِهِ؛ لقُرْبِها مِنْ مُسْتَقَرِّهِ، ودُنوِّها [7] من مُجْتَمَعِهِ.

١٢ ـ يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وهِيَ نَاظِرَةٌ فما تُقَابِلُهُ إلاَّ عَلَى وَجَلِ

ثمَّ قالَ: إنَّ هذا العَجَاجَ بتَتَابُعِهِ، واتِّصَالِهِ وتَرَادُفِهِ، يَعْلو على

---

(١) «الغول... المساء» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «يذهب».

(٣) في ر، ف «ويطمس إشراق الشمس حتى تصير الشمس في وقت الظهر».
في ت «تذهب عجاجته بضوء الشمس، وتطمس إشراقها حتى تصير في وقت الظهيرة».

(٤) «الجو... المنتشر»، زيادة في ل.

(٥) في ت «تتراقى» وفي ر، ف «يتوافى».

(٦) في ت «فينجلي».

(٧) في ف «ودونها».

الشَّمسِ مَعَ ارتفاعِ مَوْضِعِها، وهي ناظرَةٌ إليه، غَيْرُ مُساويةٍ في العُلُوِّ لَهُ[1]، فَتُقَابِلُهُ وَجِلَةً[2] من ذَهَابِهِ بنورِهَا، وتلاحِظُهُ مُشْفِقَةً من اسْتِيلائِهِ على ضَوْئِها، وأشَارَ بما وَصَفَ[3] من كَثْرَةِ هذا العَجَاجِ إلى كَثْرَةِ الجَيْشِ الذي يُثيرُهُ، وَعِظَمِ الجَمْعِ الذي يَبْعَثُهُ[4].

١٣ ـ قَدْ عَرَّضَ السيفَ دونَ النَّازِلاتِ به وظَاهَرَ الحَزْمَ بَيْنَ النَّفسِ والغِيَلِ

الْمُظَاهَرَةُ: الْمعاوَنَةُ، والغِيَلُ: جَمْعُ غِيْلَةٍ: وهي قَتْلُ الخَدِيْعَةِ[5].

فيقول[6] قد عَرَّض السَّيفَ دونَ ما يَنْزِلُ به، وجرَّدَهُ فيما يَحْدُثُ عَلَيْهِ، واسْتَعَانَ بالحَزْمِ في دَفعِ الغِيَلِ عن نَفْسِهِ، وأقَامَهُ حَاجزاً بَينَها وَبَيْنَهُ[7].

١٤ ـ وَوَكَّلَ الظَّنَّ بالأَسْرَارِ فانْكَشَفَتْ لَهُ ضَمائِرُ[8] أَهْلِ السَّهْلِ والجَبَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّه[9] وكَّلَ صَادِقَ ظَنِّهِ بما يَطْويه أَهْلُ السَّهْلِ والجَبَلِ دُونَهُ، فَعَلِمَ ما أسرُّوهُ، وانكَشَفَ لَهُ ما أَضْمَروه، وكذلِكَ الأَلْمَعِيُّ، وهو الحَاذِقُ بالأُمورِ، يُصِيبُ بِظَنِّهِ، حَتَّى كأَنَّهُ مُبْصِرٌ لما غَابَ عَنْهُ، ويَعْلَمُ بِتَقْدِيْرِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ شَاهِدٌ[10] لما بَعُدَ منهُ.

---

(١) «له» ساقطة من ل.

(٢) في ف «فيما بله وحله».

(٣) في ر، ف «وصفه».

(٤) في ر، ف «يتبعه».

(٥) «المظاهرة... الخديعة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «منها ومنه» وفي ت «بينهما».

(٨) في ر، ف «سرائر».

(٩) «ثم قال إنه» زيادة من ر، ف وفي ل «ووكل».

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «سامع».

١٥ ـ هـو الشُّجَـاعُ يَعُـدُّ البُخْـلَ من جُبْنٍ هـو الجَـوادُ يَعُـدُّ الجُبْنَ من بَخَـلِ

البُخْلُ والبَخَلُ: لُغَتَانِ، والإغذَاذُ: الإسراعُ في السّيرِ[١].

فيقولُ: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ الشُّجَاعُ المُتناهي في الشَّجَاعَـةِ، فالبُخْـلُ عِنْدَهُ بابٌ من الجُبْنِ؛ لأنَّ مَنْ سَمَحَ بِنَفْسِهِ لم يَبْخَلْ بكرائمِ مَالِهِ، وهو الجَوَادُ المُتناهي الجُودِ[٢]، والجُودُ بالنَّفسِ غَايَةُ الجُودِ، ومَنْ جَادَ بِنَفْسِه لم يَجْبُنْ عن عَدوِّهِ، ومَنْ كَانَ كـذلكَ، فـالجُبْنُ عِنْدَه بَـابٌ من البُخْلِ، فَـدَلَّ على أنَّ الشَّجَاعَةَ والجُودَ من طريقٍ واحدٍ، وأَجْمَلَ ما فَسَّرَهُ أبو تَمَّامٍ بقولِهِ[٣]:

وإذا[٤] رأيـتَ أبـا يـزيـدٍ في وغىً ونـدًى[٥] ومُبْـدِىءَ غـارةٍ ومُعِيْـدا
يَقْـري مُـرَجِّيـه حَشَـاشـةَ مـالِـهِ وشَـبَـا الأَسِـنَّـةِ ثُـعْـرَةً وَوَرِيْـدا
أيقَنْـتَ أنَّ مِنَ الـسَّمَـاحِ شَـجَـاعَـةً وَعَلِمْتَ[٦] أنَّ من الشَّجـاعـةِ جـودا

فبيَّنَ أبو تمامٍ وفَسَّرَ، وجَمَعَ أبو الطَّيِّبِ واختَصَرَ.

١٦ ـ يَعُـودُ مِنْ كُـلِّ فَتْـحٍ غَـيْرَ مُفْتَخِـرٍ وقَـدْ أَغَذَّ إلـيـهِ غَـيْرَ مُحْتَـفِـلِ

ثُمَّ قَالَ: إنَّه يَفْتَحُ الفتوحَ العَظيمةَ فلا يَفْخَرُ بها، ويُسْرِعُ إليها ولا[٧] يَحْتَفِلُ بها[٨]، اسْتِقْلالاً لِعَظِيمِ[٩] ما يَفْعَلُه، وارتِفاعاً عن تَهَيُّبِ[١٠] ما[١١] يَقْصِدُه.

---

(١) «البخل... الدولة» زيادة في ل وفي ر، ف «ثم قال إنه».

(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «في الجود».

(٣) ديوانه: ١/٤١٨.

(٤) في ف «وإن».

(٥) في ديوانه «ندى ووغى».

(٦) كذا في جميع النسخ وفي الديوان «تدمى وأن».

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فلا».

(٨) في ل «لها».

(٩) في ت «لعظم»

(١٠) في ت «نهب»

(١١) في ت «من».

١٧ ـ ولا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بِغْيَتَهُ ولا تُحَصِّنُ دِرْعُ مُهْجَةَ البَطَلِ

يقولُ[١]: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ[٢] قد قَرَنَ بِسَيْفِ الدَّولةِ مِنْ نَصْرِهِ[٣]، وَأَمَدَّهُ مِنْ عَوْنِهِ، بما لا يَمْنَعُهُ الدَّهرُ مَعَهُ من بِغْيَةٍ، ولا يُجِيرُ عليه مَن اعْتَقَدَ له مَعْصِيَةً، ولا تُحَصِّنُ الدِّرعُ دُونَهُ مُهْجَةَ البَطَلِ إذا خالَفَهُ، ولا تَعْصِمُهُ من الهَلاكِ إذا أَرَادَهُ.

١٨ ـ إذا خَلَعْتُ على عِرْضٍ لَهُ حُلَلاً وَجَدْتُها مِنْهُ في أَبْهَى مِنَ الحُلَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّهُ[٤] إذا خَلَعَ عليهِ حُلَّةً مِنْ شِعْرِهِ، وأَلْبَسَهُ ثوباً مِنْ مَدْحِهِ، وَجَدَ تلك الحُلَّةَ مُتَزَيِّنَةً بِفَضْلِهِ، وذلكَ المدحَ مُتَشَرِّفاً بِقَدْرِهِ، فهو يَرْفَعُ الشِّعْرَ فَوْقَ رِفْعَتِهِ له، وَيَزِينُ المدحَ أكثرَ من تَزيُّنِهِ به.

١٩ ـ بذي الغَبَاوَةِ من إنشادِهَا ضَرَرٌ كما تُضِرُّ رياحُ الوَرْدِ بالجُعَلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ ذا الغَبَاوَةِ، وهو الجَاهِلُ، إذا أَنْشَدَ ما يَمْدَحُهُ[٥] بِهِ، وأَسْمَعَ ما يَنْظِمُهُ فيه، بَعُدَ على فَهْمِهِ، وأَثَّرَ ذلكَ في نَفْسِهِ، وانكشَفَ لَهُ قَدْرُ تَقْصِيرِهِ، واسْتَضرَّ بِحُسنِ قَوْلِهِ، وبَديعِ شِعْرِهِ، كما يَسْتَضِرُّ الجُعَلُ[٦] بِرياحِ الوَرْدِ، التي تُؤْذِيه بِطِيْبِها، وتَقْتُلُهُ بِمُضَادَّتِهِ لها.

٢٠ ـ لَقَدْ رَأَتْ كلُّ عَينٍ مِنْكَ مالِقَهَا وَجرَّبَتْ[٧] خيرَ سَيْفٍ خَيْرَةُ الدُّولِ

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «عز وجل» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «قرن من نصره لسيف الدولة».

(٤) زيادة في ل

(٥) في ر، ف «تمدحه».

(٦) الجُعَل: دويبة سوداء معروفة تأوي في النجاسات.

(٧) في ر، ف «وقلَّبت».

يُقَالُ: خَيِّرٌ وخَيْرٌ وخَيِّرَةٌ وخَيْرَةٌ، كُلُّ ذلك بِمَعْنًى واحدٍ، قالَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: «فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ»[1] بِمَعْنَى خَيِّراتٍ[2].

فيقولُ[3]: لَقَدْ رأَتْ كُلُّ عَيْنٍ من جَمَالِكَ ما بَهَرَها[4]، ومن جَلاَلَتِكِ[5] ما مَلأَها، وَجَرَّبَتْ خَيْرَةُ الدُّولِ، أي: أَفْضَلُ الدُّولِ، منكَ أَفْضَلَ السُّيوفِ.

٢١ ـ فما تُكَشِّفُكَ الأَعداءُ عن مَلَلٍ مِنَ الحُروبِ ولا الآراءُ عن زَلَلِ

ثُمَّ قالَ: فما كَشَفَتِ الأَعْدَاءُ مِنْكَ، بِطُولِ مُمَارسَتِها، مَلَلاً في حَرْبِهَا، ولا أَبْدَتِ الآراءُ مِنكَ، مَعَ تَزَاحُمِها عَلَيْكَ، زَلَلاً في تَنَاوُلِها[6].

٢٢ ـ وَكَمْ رِجَالٍ بلا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهم تَرَكْتَ جَمْعَهُمُ أَرْضاً بلا رَجُلِ

يَقولُ[7]: وكَمْ جَمْعٍ جَمَعَهُ الأَعْداءُ لَكَ، تَغِيبُ الأَرْضُ مَعَ كَثْرَةِ رِجَالِهِ، وَتَخْفَى عَنِ[8] الأَبْصَارِ بِتَزَاحُمِ جُمُوعِهِ، حَتَّى كأَنَّهُمْ رِجالٌ دونَ أرضٍ، أَفْنَيْتَ أَعْدَادَهُم، وقَتَلْتَ جَمْعَهُم[9]، وتَرَكْتَ مَوْضِعَهم أَرْضاً دونَ رِجَالٍ.

٢٣ ـ مَازَالَ طِرْفُكَ يجري[10] في دِمَائِهِمُ حَتَّى مَشَى بِك مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ

---

(١) سورة الرحمن آية ٧٠.

(٢) «يقال... خيرات» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يبهرها».

(٥) في ت «جلالك».

(٦) «في تناولها» ساقطة من ف، وفي ت «ولا أبدت الآراء منك زللاً مع تزاحمها».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «على».

(٩) في ر، ف «جميعهم».

(١٠) كذا في ر، ف، ت، والواحدي، وفي ل «يمشي».

الطِّرْفُ: الفَرَسُ الكريمُ، والثَّمَلُ: السُّكْرُ [1].

ثُمَّ قالَ: مازالَ طِرْفُك يَطَأُ[2] دِمَاءَهم، ويَقْتَحِمُ[3] مُعْتَرَكَهُمْ[4]، حَتَّى أَزْلَقَتْهُ الدِّماءُ بِكَثْرَتِهَا، فَمَشَى مَشْيَ الشَّاربِ السَّكْرَانِ، الذي لا يَثْبُتُ بِنَفْسِهِ، ولا يَطْمَئِنُّ في مَشْيِهِ.

٢٤ - يَا مَنْ يَسِيرُ وَحُكْمَ النَّاظِرَيْنِ[5] لَهُ فيما يَرَاهُ وَحُكْمُ القَلْبِ[6] في الجَذَلِ

يَقولُ: يا[7] مَنْ يَسِيرُ، ولَهُ حُكْمُ ناظِرَيْهِ في أَلاَّ[7] يُرِيَهُما اللَّهُ إلاَّ ما يَسُرُّهُ، وحُكْمُ نَفْسِهِ في أَلاَّ يُعَرِّفَها[8] اللَّهُ إلاَّ ما يُجْذِلُهُ، والجَذَلُ: الفَرَحُ[9].

٢٥ - إنَّ السَّعَادةَ فِيمَا أَنْتَ فَاعِلُه وُفِّقْتَ مُرْتَحِلاً أو غَيْرَ مُرْتَحِلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ السَعَادَةَ فيما يَقْضِي به اللَّهُ لَكَ، والتَّوفيقَ فيما تُمْضي عَلَيه فِعْلَكَ، مُقِيماً كُنْتَ أَو ظَاعِناً، مُسْتَقِرّاً أو رَاحِلاً، وأَشَارَ بهذا إلى انْصِرافِهِ عن الدَّيْلَمِيِّ، وقالَ إنَّ الذي فَعَلَهُ اللهُ لَكَ من المُوَادَعَةِ التي اختَارَها مُحَارِبُكَ، قد جَعَل لكَ فيه السَّعَادَةَ، وَقَرَنَ لك به الخِيْرَةَ[10].

---

(١) «الطرف.... السُّكر» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف، ت «يطأ في»، ومطأ فعل متعدٍ بنفسه

(٣) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «يقتحم في» والفعل متعد بنفسه وبحرف الجر.

(٤) في ر، ف، ت «معركتهم».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «النَّاظِرِين»: جماعة النظار إليه. والناظران: عينا الممدوح، ولا ينبغي أن يعدل عن هذه الرواية كما يقول الخطيب التبريزي؛ لأن قوله «وحكم القلب» يشهد أن الناظرين عينا الممدوح. (التبيان ٣/٤١).

(٦) في ر، ف «النفس».

(٧) في ف «وَيَا».

(٨) في ت «يعرّفه».

(٩) «الجذل: الفرح» زيادة في ل.

(١٠) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «الخير».

٢٦ ـ أَجْرِ الجِيَادَ عَلَى مَا كُنْتَ مُجْرِيَها وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلاَقِكَ الأُوَلِ

يَقُولُ[١]: أَجْرِ خَيْلَكَ على ما كُنْتَ تُجْرِيها عَلَيْهِ، من غَزْوِ الرُّومِ، وحمايَةِ الثَّغْرِ، فَقَدْ كَفَاكَ اللَّهُ ما كُنْتَ تَحْذَرُهُ على أخيكَ من الدَّيْلَميِّ، وخُذْ بِنَفْسِكَ مِنْ ذلكَ فيما تَقَدَّمَ من أَخْلاَقِكَ، وَشَهُرَ[٢] من مَذَاهِبك، واعدِلْ عن السِّلمِ إلى الحَرْبِ، وعن الدَّعَةِ إلى الجِهادِ.

٢٧ ـ يَنْظُرنَ من مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَها قَرْعُ الفوارسِ بالعَسَّالةِ الذُّبُلِ

الأَحِجَّةُ: جَمْعُ حِجَاجٍ، وهو العَظْمُ الذي يُحِيطُ بالعينِ، والعسَّالةُ: الرِّماحُ التي تَهْتَزُّ لِطُولها، والذُّبُلُ: اليابِسَةُ[٣].

ثُمَّ وَصَفَ حالَ خَيْلِهِ في السَّبيلِ التي نَدَبَهُ إليها، فقال: يَنْظُرْنَ من مُقَلٍ أَدْمَى أَحِجَّتَها قَرْعُ الفَوارسِ لها بالرِّماحِ في حِيْنِ الطِّرادِ، وأَشَارَ بذلكَ إلى ما حَضَّهُ عليهِ من غَزْوِ الرُّومِ.

٢٨ ـ فلا هَجَمْتَ بِها إلاَّ عَلَى ظَفَرٍ ولا وَصَلْتَ بها إلاَّ إلى أَمَلِ

ثُمَّ قالَ، داعياً له: فلا أَقْدَمَكَ اللَّهُ إلاَّ على ظَفَرٍ يُظْهِرُكَ به على عَدوِّكَ، ولا أَوْصَلَكَ إلاَّ إلى أَمَلٍ[٤] يُقَرِّبُ لَكَ به مُرَادَكَ.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ت «شغر» وهو تحريف.
(٣) «الأحجة... اليابسة» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «إلا إلى ما يقرب».

وأمره سَيْفُ الدَّولةِ[١] بالمَسِيرِ مَعَهُ في هذه السَّفْرةِ فقالَ:

١ - سِرْ حَـلَّ حَـيْـثُ تَحُـلُّهُ النُّـوَّارُ[١] وَأَرَادَ فـيـكَ مُـرَادَكَ المِـقْـدارُ[٢]

يَقُولُ: سِرْ، جَعَلَ اللَّهُ كلَّ مَحَلٍّ تَحُلُّه رَوْضَةً مُوْنِقَةً، وحَدِيْقَـةً مُمْرِعَـةً، وأَجْرَى المَقَادِيرَ بما تُرِيدُهُ، وَأَنْفذَ أَحْكَامَهَا بما تُحِبُّه.

٢ - وإذا ارتَحَلْتَ فَشَـيَّعَتْـكَ سَـلاَمَـةٌ حَـيْـثُ اتَّجَـهْـتَ وَدِيمَـةٌ مِدْرَارُ[٣]

الدِّيمةُ: السَّحابَةُ، والمِدْرَارُ: الغَزِيرَةُ[٤].

ثُمَّ قَالَ: وإذا ارْتَحَلْتَ، فَصَحِبَكَ اللَّهُ بِسَلامَتِهِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ، وسَقَى بِلاَدَكَ كَيْفَ تَصَرَّفتَ.

٣ - وَصَـدَرْتَ أَغْنَمَ صـادرٍ عن مَـوْرِدٍ مَـرْفُـوعَـةً لِقُـدُومِـكَ الأَبْصَـارُ[٥]

يقولُ[٦]: وَرَجَعَكَ اللَّهُ أَظْفَرَ رَاجِعٍ عَنْ مَقْصَدِهِ، وأَصْدَرَكَ أَغْنَمَ صَادِرٍ عن مَوْرِدِهِ، عَزِيزاً نَصْرُكَ، مُمْتَدَّةً الأَبْصَارُ نَحْوكَ.

٤ - وَأَرَاكَ دَهْـرُكَ مَـا تُحَـاوِلُ فِي العِـدَى حَـتَّى كَـأَنَّ صُرُوفَهُ أَنْـصَـارُ

وأَرَاكَ دَهْرُكَ في عَدُوِّكَ ما تُحَاوِلُهُ من كَبْتِهِ، وَتَكَفَّلَ لكَ فيهِ بما تَتَمَنَّاهُ

---

(١) «سيف الدولة» ساقطة من ر، ف.

(٢) في رواية التبيان «سر حيث شئت يحلُّه النوار».

(٣) قال المبارك بن أحمد المستوفى ناقداً «ولو جعل المعنى آخر البيت الثاني تتميماً لنصف البيت الأول، وجعل معنى آخر البيت الأول مع أول البيت الثاني، أضاف كل بيت إلى ما يشاكله» (النظام ج ٢ ورقة ٧٠).

(٤) «الديمة... الغزيرة» زيادة في ل.

(٥) روى الواحدي والتبيان البيت الثالث رابعاً والرابع ثالثاً.
(انظر شرح الواحدي ٢/٤٠٦ والتبيان ٢/٨٦).

(٦) في ر، ف «ثم قال».

في[1] أَمْرِهِ، حَتَّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ تَنْصُرُكَ، باعتِمَادِهـا لَهُ، وخُـطُوبَهُ تُعينُكَ، في اعْتِرائِها بِهِ[2].

٥ ـ أَنْتَ الـذي بَجَـحَ الـزَّمَـانُ بِـذِكْـرِه وتَـزَيَّـنَتْ بِـحَـدِيـثِـهِ الأَسْـمَـارُ

بَجِحَ الرَّجُلُ بالشَّيءِ: إذا كانَ يَهْذي به فَرحاً، والسَّمَرُ: حَدِيْثُ القَومِ بالليلِ[3].

فيقولُ[4]: أَنْتَ الذي كَلِفَ الزَّمانُ بِـذِكْرِهِ، وَزُهِيَ بِمَـوْضِعِهِ، وتـزَيَّنَ السَّمَرُ بِحَدِيْثِهِ، وحَسُنَ بما تَضَمَّنَهُ من خَبَرِهِ.

٦ ـ وإذَا تَـنَكَّـرَ فـالـفَـنَـاءُ عِـقَـابُـهُ وإذا عَـفَـا فَـعَـطَاؤُهُ الأَعْـمَـارُ

ثمَّ قالَ: وأَنْتَ[5] الذي يَقْتَرِنُ الفَنَاءُ بِعِقَابِهِ إذا غَضِبَ، وتُسْتَدامُ الحَيَاةُ بِعَفْوِهِ إذا رَضِيَ، فَسُخْطُهُ هُلْكٌ، ورِضَاهُ نَجَاةٌ.

٧ ـ وَلَـهُ وإنْ وَهَـبَ الْمُلُوكُ مَـوَاهِـبٌ دَرُّ الْمُـلُوكِ لِـدَرِّهَـا أَغْـبَـارُ

الدَّرُ: اللَّبنُ الكثيرُ، والغُبْرُ: بَقِيَّةُ اللَّبنِ في الضَّرْعِ، وجَمْعُهُ أَغْبَارٌ[6].

فيقولُ[7]: إنَّ لِسَيفِ الدَّولةِ[8]، إذا[9] تُذُوكِرتْ مَوَاهِبُ الملوكِ، مَوَاهِبَ

---

(١) في ر، ف «من».

(٢) في ر، ف «في اعتنائها به».

(٣) «بجح . . . بالليل» زيادة في ل.

(٤) في ف، ر «ثم قال».

(٥) «ثم قال وأنت» زيادة في ر، ف.

(٦) «الدَّر . . . أغبار» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ر، ف «إن له».

(٩) ساقطة من ف.

عظيمةً، وعَطَايا جَليلةً، كثيرُ مَوَاهِبِ الملوكِ يَقِلُّ عِنْدَها، وعظيمُها يَصْغُرُ فيها، وَضَرَبَ الدَّرَّ[1] مثلاً للكَثِيرِ، والغُبْرَ[2] مثلاً للقَلِيلِ.

٨ - لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يخَافُ من الرَّدَى وتخَافُ[3] أنْ يَدْنُو إليك العَارُ

ثُمَّ قَالَ: لِلَّهِ[4] قَلْبُك لا تَهَابُ الموتَ وَسَطْوَتَهُ، ولا تَخَافُ الرَّدَى وَشِدَّتَه، وتَخَافُ دُنوَّ العَارِ إليكَ، وتُشْفِقُ من وَصْمَتِهِ، وتَتَوقَّعُ قُبْحَ[5] أُحدوثَتِهِ.

٩ - وَتَحِيدُ عن طَبَعِ[6] الخَلاَئِق كُلِّهِ وَيَحِيدُ عَنْكَ الجَحْفَلُ الجَرَّارُ

ثُمَّ قالَ: وتَحِيدُ عن جَمِيعِ ما يُدَنِّسُ الخَلْقَ وَيَعِيبُهُ، والجَحْفَلُ الجَرَّارُ يَحِيْدُ عَنْكَ، وذو[7] البأسِ الشَّدِيدِ يَفْرَقُ مِنْكَ.

١٠ - يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَى الأَعِزَّةِ جَارُهُ وَيَذِلُّ فِي[8] سَطَوَاتِهِ الجَبَّارُ

---

(١) في ل «بالدر».

(٢) في ل «وبالغبر».

(٣) روي هذا البيت بروايات عدّة:
في ر، ف «تخاف... وتخاف».
وفي رواية الواحدي «ما يخاف... ويخاف».
وفي رواية التبيان «ما تخاف... ويخاف».
وفي رواية ابن المستوفى «لله درك ما تخاف... وتخاف».

(٤) في ر، ف «فلله».

(٥) في ر، ف «من قبح».

(٦) في ف «طلع».
والطَّبَعُ: الدَّنَسُ.

(٧) في ل «وذوا».

(٨) في ت «ويذل من».

يَقُولُ [1]: يا أَيُّها المَلِكُ الذي تَتَواضَعُ الأَعِزَّةُ لِجَارِهِ، وَتَذِلُّ المُلوكُ لأَمْرِهِ، وَتَعْتَرِفُ[2] لِجَلالَة قَدْرِهِ.

١١ ـ كُنْ حَيْثُ[3] شِئْتَ فما تَحُولُ تَنُوفَةٌ دُونَ اللِّقَاءِ ولا يَشُطُّ مَزَارُ

التَّنُوفَةُ: الفَلاَةُ، ويَشِطُّ: يَبْعُدُ [4].

ثُمَّ قالَ[5]: كن كَيْفَ[6] شِئْتَ من الظَّعْنِ والإِقَامَةِ، والاسْتِقْرارِ والرِّحْلَةِ، فما يَمْنَعُني الفَلَواتُ وَتَجَشُّمُهَا من لِقَائِك، ولا يَعُوقُني بُعْدُ المَزارِ، ونَأْيُ المَقْصِد عن صُحْبَتِكَ.

١٢ ـ وَبِدُونِ مَا أَنَا مِنْ وِدَادِكَ مُضْمِرٌ يُنْضَى المَطِيُّ وَيَقْرُبُ المُسْتَارُ

المُسْتَارُ: مَوْضِعُ المَسِيْرِ[7].

ثُمَّ قَالَ: وبدونِ ما أُضْمِرُهُ من وُدِّكَ، وأعترِفُ به من فَضْلِكَ، يَهُونُ الشَّدِيدُ، وَيُسْتَقْرَبُ البَعِيدُ، ويُنْضَى المَطِيُّ، ويُهْجَرُ الوَطَنُ، ويُسْتَسْهَلُ السَّفَرُ، فكيفَ أَمْتَنِعُ مِنْكَ أو[8] أَتأَخَّرُ على حَالٍ عَنْكَ؟

١٣ ـ إِنَّ الَّذي خَلَّفْتُ خَلْفي ضَائِعٌ مَا لِي عَلَى قَلَقِي إليه خِيَارُ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «يتواضع... ويذل... ويعترف».

(٣) في ر، ف «كيف».

(٤) التنوفة.... يبعد» زيادة في ل.

(٥) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٦) في ر «كن كما».

(٧) «المستار... المسير» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «وأتأخر».

يقولُ[1]: إنَّ الذي خَلَّفْتُ مِمَّن يُهِمُّنِي أَمْرُهُ، وَيَلْزَمُنِي حِفْظُهُ، ضَائِعٌ بِغَيْبَتِي، مُخْتَلٌّ بِمُفارَقَتِي، وما لِي على قَلَقِي إليه خِيارٌ أُؤثِرُهُ، ولا مُرادٌ اقْصِدُهُ.

١٤ ـ وإذا صُحِبْتَ فَكُلُّ مَاءٍ مَشْرَبٌ لولا العِيَالُ وكُلُّ أَرضٍ دَارُ

ثُمَّ يقولُ[2]: وإذا صَحِبْتُكَ فَكُلُّ مَاءٍ أَنْزِلُ بِهِ مَشْرَبٌ اسْتَعْذِبُهُ، وكُلُّ أَرضٍ أَسِيرُ[3] فيها وَطَنٌ أَتَخَيَّرُهُ، لولا العِيَالُ وَضَيْعَتُهُم، والأَهْلُ وَخَلَّتُهُم.

١٥ ـ إِذْنُ الأَمِيرِ بِأَنْ أَعُودَ إِلَيهِمُ صِلَةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الأَشْعَارُ

ثُمَّ قَالَ: وإِذْنُ الأَميرِ في أن أعودَ إِلَيْهم، وإِسْعَافُهُ في أن أُشْرِفَ عَلَيْهم، صِلَةٌ تَسيرُ الأَشْعَارُ بِشُكْرِها، [4]وتَتَقَيَّدُ بما يَضَعُ عِنْدي من فَضْلِها.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «ثم يقول» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «أصير».

(٤) الواو ساقطة من ر، ف.

وقالَ يَرْثِي أَبا الهيجاءِ عَبْدَاللهِ بنَ سَيْفِ الدَّولةِ، وَتوفي بِمَيَّا فَارِقِيْنَ*.

أَنشَدَها في صَفرٍ سَنَةَ ثَمانٍ وثَلاثِيْنَ وثَلاثِمائةٍ.

١ ـ بِنَا[١] مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ ما بِكَ في الرَّمْلِ وَهَذا الذي يُضْنِي كَذَاكَ الذي يُبْلِي

يَقُولُ: بِنَا مِنَ السُّقْمِ بَعْدَكَ، والأَسَفِ لِفَقْدِكَ، وَضَنَى الأَجْسَامِ لِمُصِيْبَتِكَ، وتَغَيُّرِهَا لِرَزِيَّتِكَ[٢]، وإِنْ كُنَّا على ظَاهِرِ الأَرضِ، كالذي بكَ في بَاطِنِها، مِنْ بِلَى جِسْمِكَ، وتَغَيُّرِ التُّرْبِ لِحُسْنِكَ، وهذا الذَّي يُضْنِي أَجْسَامَنَا، كَذَاكَ الذي يَبْلِي جِسْمَكَ.

٢ ـ كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذي بي فَخِفْتَهُ[٣] إِذا عِشْتَ فاخْتَرْتَ الحِمامَ عَلَى الثُّكْلِ

الحِمَامُ: المَوْتُ، والثُّكْلُ: فَقْدُ الحَبِيبِ[٤].

ثُمَّ قَالَ: كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الذي أَلْقَاهُ[٥] من الحُزْنِ عَلَيْكَ، وأَقَاسِيهِ من الوَجْدِ بِكَ، وَعَلِمتَ أن الدُّنيا مَجْبُولَةٌ على فَقْدِ الأَحِبَّةِ، وإِعدامِ الأَعِزَّةِ، فآثَرْتَ المَوْتَ على الثُّكْلِ، واخْتَرتَ الحِمَامَ على الحُزْنِ.

٣ ـ تَرَكْتَ خُدُودَ الغَانِيَاتِ وَفَوْقَها دُمُوعٌ تُذِيبُ الحُسْنَ في الأَعْيُنِ النُّجل

(*) أشهر مدينة بديار بكر وانظر التعريف بها ص ١٧٤

(١) في ف «بمانامنك».

(٢) في ر، ف «لرؤيتك».

(٣) في ر، ف «وعفته» وفي ت «وخفته».

(٤) «الحمام... الحبيب» زيادة في ل.

(٥) في ت «أبقاه» وهو تحريف.

يَقُولُ[1]: تَرَكْتَ خُدودَ الغَانياتِ مِنْ نَوَادِبكَ، والْمُنَعَّمَاتِ من بَوَاكِيكَ، وفَوْقَها دُموعٌ مَسْفُوحةٌ عَلَيْكَ، مُنْهَمِلَةٌ لِمُصَابِكَ، كَأَنَّها ذَوْبُ الحُسْنِ في العُيُونِ البَاكِياتِ بها، وَصَبَابَتُهُ في الجفونِ المُذْرِيةِ[2] لها.

٤ ـ تَبَـلُّ الثَّرى سُـوْداً مِنَ المِسْكِ وَحْـدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ[3] حُمْراً على الشَّعَرِ الجَثْلِ

الشَّعَرُ الجَثْلُ: الكَثيرُ المُلْتَفُّ، والعَيْنُ النَّجْلاءُ: الواسِعةُ الحَسَنَةُ، والجَمْعُ[4] نُجُل[5].

ثُمَّ قالَ: يَقْطُرُ من الجُفُونِ والخدودِ على الأَصْدَاغِ، وقد حَمَّرَها الدَّمُ، وَتَبُلُّ الأرضَ من الأصداغِ، وقد سَوَّدَها المِسْكُ. فأَشَارَ إلى حَالِ بَوَاكيهِ في النَّعيمِ والرِّفعَةِ، وما هُنَّ بِسَبِيْلِهِ من حَرِّ المُصِيْبَةِ.

٥ ـ فَـإِنْ تَـكُ في قَـبْرٍ فـإنــك في الحَشَى وإنْ تَكُ طِفْلاً فالأَسَى لَيْسَ بالطِّفْلِ

يَقُولُ[6]: فإنْ تَكُ في قَبْرٍ قد تَضَمَّنَكَ[7]، ولَحْدٍ قد سَتَرَكَ، فإنَّ مِثَالَكَ في القَلْبِ ساكِنٌ، ومَحَلَّكَ في الحَشَا لَطِيفٌ، وإنْ تَكُ طِفْلاً في سِنِّكَ، وصَغِيراً فيما انصرَمَ من عُمُرِكَ، فإنَّ الرُّزْءَ بِكَ[8] لَيْسَ بالصَّغيرِ، والحُزْنُ عليك لَيْس باليَسيرِ.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «المذية».

(٣) في ر، ف «سقطت».

(٤) في ل «والجميع».

(٥) «الشعر... نجل» زيادة في ل.

(٦) في ر، من «ثم قال».

(٧) كذا في ت، ر، ف وفي ل «ضمنك».

(٨) كذا في ت، ل وفي ر، ف «منك».

٦ - ومِثْلُكَ لا يُبْكَى عـلى قَـدْرِ سِنِّـهِ ولكِنْ عَـلى قَـدْرِ المَخِيْلَةِ والأَصْـلِ

المَخِيْلَةُ: السَّحابةُ التي يَتَأَكَّدُ الرَّجاءُ في مَطَرِها، وبها سُمِّيَتْ الدَّلالـةُ الصَّادقةُ في الشيء مَخِيْلَةً[1].

يقولُ[2]: ومِثْلُكَ لا يُبْكى على قَدْرِ سِنِّهِ، وما انصرَمَ من يَسيرِ عُمُرِهِ، ولكنْ على قَدْرِ مَخِيْلَةِ نَجابَتِهِ، وما يُتَيَقَّنُ من جَليلِ سِيادَتِهِ، وما يُعْليهِ من أَصْلِهِ الكريمِ، ويَسْمُو بهِ[3] من نَسَبِهِ الرَّفيعِ

٧ - أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذي مِنْ رِمَاحِهِمْ نَـدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلاَهُمُ مُهْجَـةُ البُخْلِ

يَقولُ[4]: أَلَسْتَ من القَوْمِ الذينَ كَرَمُهُم من سِلاحِهِمْ، ونَدَاهُم من رِمَاحِهِمْ[5]، ومُهْجَةُ البُخْـلِ من قَتْلاَهُمْ، فهم يَسْـطُونَ على الأَعْـدَاءِ بـما يَرْتَهِنُونَهُمْ[6] به من الفَضْلِ، وَيَتَملَّكونهم بما يُشِيْعون[7] فيهم من الجُودِ.

٨ - بِمَـوْلُـودِهِمْ صُمْتُ اللِّسَـانِ كَغَيْـرِهِ ولَكِنَّ في أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ الْفَصْلِ [8]

عِطْفُ الرَّجُلِ: جَانِبُهُ من رَأْسِهِ إلى وِرْكِهِ [9].

---

(١) «المخيلة... مخيلة» زيادة في ل.

(٢) زيادة في ر، ف.

(٣) «ويسمو به» ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ت، ر وفي ل «كرمهم من رماحهم، ونداهم من سلاحهم» وسقطت «ونداهم من سلاحهم» من ف.

(٦) في ت «يرهبونهم» وهو تحريف.

(٧) في ت «يسمعون» وهو تحريف.

(٨) كذا في ل، وفي ر، ف، ت «الفضل»، وهي رواية أخرى، و«صمت» بضم الصاد وفتحها مصدران.

(٩) «عطف... وركه» زيادة في ل.

ومَوْلُودُهم إذا أَصْمَتَتْهُ الحِيْلَةُ، وَمَنَعَتْهُ من الكَلامِ الطُّفُولَةُ[1]، نَطَقَتِ السِّيَادَةُ من أَعْطَافِهِ مَنْطِقَ فَصْلٍ[2]،وشَهِدَتْ له مَخَايِلُ الكَرَمِ شَهادَةَ عَدْلٍ.

٩ ـ تُسَلِّيهُمُ عَـلْيَـاؤُهُمْ عَـنْ مُصَـابِهِـم وَيَشْغِلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَـاءِ عن الشُّغْلِ

يقولُ[3]: يُسَلِّيهُم[4] الكَرَمُ عن مَصَائِبِهِم[5]، وَيُوجِبُ لهم الصَّبْرَ في فَجَائِعِهم، وَيَشْغَلُهُم كَسْبُ الثَّنَاءِ عن الشُّغْلِ بِغَيْرِهِ[6]، فَيَحْتَازون[7] من فَضْلِهِ بَحَسبِ اعتنائِهم بأَمْرِهِ.

١٠ ـ أَقَـلُّ بِـلاَءً بِـالـرَّزَايَـا[8] مِنَ القَنَـا وأَقْـدَمُ بَـيْنَ الجَحْفَلَيْنِ مِنَ النَّبْـلِ

البِلاَءُ: المُبَالاةُ[9].

فيقولُ[10] إنَّ رَهْطَ سَيْفِ الدَّولةِ[11]أقلُّ مُبَالاَةً بالزَّرَايا[12]من الرِّماحِ المُتَـوَقِّعَـةِ، وأَنْفَـذُ[13] بَـيْنَ الجَحْفَلَينِ المُتَقَـاتِلَيْنِ[14] مِنَ السِّهـام المُـرْسَلَةِ،

---

(١) في ت «الطفولية».
(٢) في ر، ف، ت «فضل».
(٣) زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «تسليهم».
(٥) في ر، ف، ت «مصابهم».
(٦) في ر، ف «بغيرة».
(٧) في ل «فيختارون».
(٨) في ف «من الرزايا».
(٩) «البلاء: المبالاة» زيادة من ل.
(١٠) في ر، ف «ثم قال».
(١١) «سيف الدولة» ساقطة من ر، ف.
(١٢) في ت «أقل بالرزايا مبالاة».
(١٣) في ت «وأقعد» وهو تحريف.
(١٤) في ر، ف.. «المقاتلين» وفي ت «المتقابلين».

فَشَبَّهَهُمْ[1] لِجُرْأَةِ أَنْفُسِهِم، وَجَلَدِهِمْ على الرَّزَايا إذا طَرَقَتْهُمْ، بالرِّماحِ والسِّهَامِ، التي تُصِيبُ ولا تُصَابُ، وتُهَابُ ولا تَهابُ.

١١ ـ عَزَاءَكَ سَيْفَ الدَّولةِ المُقْتَدَى بِهِ فإنَّكَ نَصْلٌ والشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ

ثُمَّ قَالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: «عَزاءَكَ المُقْتَدى به، فإنَّكَ نَصْلٌ[2]» بِمَعْنى: تَعَزَّ عَزَاءَكَ المُقْتَدى بِهِ، فَأَنْتَ الأُسْوَةُ في صَبْرِكَ، والأَوْحَدُ في كَرَمِكَ وفَضْلِكَ، وأَنْتَ سَيْفٌ، والشَّدَائِدُ للسَّيفِ، يَكْشِفُها بِحِدَّتِه، وَيَنْفُذُ فيها بِصَرَامَتِهِ.

١٢ ـ مُقِيمٌ من الهَيْجَاءِ في كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوارِمِ في أَهْلِ

يقولُ:[3] أنتَ مُقِيمٌ في كُلِّ مَنْزِلٍ من مَنَازِلِ الحَرْبِ، تَأْنَسُ بها، ولا تَسْتَوْحِشُ لَهَا، حَتَّى كأَنَّ صَوَارِمَهَا أَهْلُكَ، وأَسْلِحَتَها المَتَوَقَّعَةَ رَهْطُكَ، تَنْصُرُكَ ولا تَخْذُلُكَ، وتُظْفِرُكَ ولا تَظْفَرُ[4] بِكَ.

١٣ ـ وَلَمْ أَرَ أَعْصَى مِنْكَ لِلحُزْنِ عَبْرَةً وأَثْبَتَ عَقْلاً والقُلُوبُ بلا عَقْلِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ عَبْرَتَهُ تَتَعَاصَى على الحُزْنِ؛ لما هوَ عليهِ من الجَلَدِ والصَّبْرِ، وإنَّه أَثْبَتُ النَّاسِ عَقْلاً إذا أَذْهَبَتِ الحَرْبُ العُقولَ بِشِدَّتِها، وأَذْهَلَتْها بِمَخَافَتِها[5]، يُشيرُ بذلكَ إلى اسْتِهْلالِهِ لأَمْرِها، واسْتِقلالِهِ بِحَمْلِها.

---

(١) في ر «فشبهوهم».

(٢) «فإنك نصل» زيادة في ر، ف.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «ولا يُظفَر بك».

(٥) في ف «بمخالفتها».

١٤ ـ تَخُونُ المَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

السَّليلُ: الوَلَدُ[١].

فيَقولُ، مُعَجِّباً[٢] بأمْرِهِ، وَمُنَبِّهاً على جَلالَةِ قَدْرِهِ: وإنَّ[٣] الموتَ حَتْمٌ من الله تعالى[٤] على جَميعِ خَلْقِهِ. تُخَالِفُهُ المنايا فَتَخْتَرِمُ نَفْسَ ابنِهِ، وتَخُونُ عَهْدَهُ في سَلِيلِهِ[٥]، وَتَنْصُرُهُ في حَرْبِهِ، وتُطِيْعُهُ عِنْدَ مُوَاقَعَتِهِ بِعَدوِّهِ، وفي هذا شَاهِدٌ على أنَّ الموتَ لا يُدْفَعُ بِقُوَّةٍ، ولا يُمْتَنعُ منه بِرِفْعَةٍ.

١٥ ـ وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الحَوادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو الفِرَنْدُ على الصَّقْلِ

الفِرَنْدُ: وَشْيُ السَّيْفِ[٦].

ثُمَّ قالَ: إنَّ الحَوادِثَ لا تَذْهَبُ بِصَبْرِهِ، ولا تُخِلُّ بِجَلَدِهِ، ولكنَّها تُبْقِي ذَلِكَ وتُظْهِرُه، وتُبْدِيه وَتُبَيِّنُه، كما يُبْدِي فِرَنْدَ السَّيْفِ صَقْلُهُ، ويَظْهَرُ بِجَلائِهِ[٧] فَضْلُهُ.

١٦ ـ ومَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةٍ فَفيهِ لها مُغْنٍ وفيها لَه مُسْلِي

ثُمَّ قَالَ: ومَنْ كانَ ذا نَفْسٍ حُرَّةٍ كَنَفْسِكَ، وذا طَبِيْعَةٍ كَرِيمَةٍ كَطَبِيْعَتِكَ[٨]، ففي جَلالَتِهِ ما يُغْنِي نَفْسَهُ عن كُلِّ حَميمٍ يَفْقِدُهُ، وفي كَرَمِ نَفْسِهِ ما يُسَلِّيهِ عن كلِّ مُهِمٍّ يَطْرُقُهُ.

---

(١) «السليل: الولد» زيادة في ل.

(٢) في ت «متعجباً».

(٣) في ت «إن».

(٤) «تعالى» زيادة في ل.

(٥) في ت «في ولده».

(٦) «الفرند: السيف» زيادة في ل.

(٧) في ت «بجلاله».

(٨) في ت «من كان ذا نفس وذا طبيعة كطبيعتك وكريمتك».

١٧ ـ وما الموتُ إلا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَيَسْعَى بِلا رِجْلِ

يَقُولُ[١]: وما الموتُ الذي لا يُؤْمَنُ في حِيْنِ[٢] الغَفْلَةِ، ولا يُدْفَعُ بأَشدِّ الحِيْلَةِ، إلاَّ كَسارِقٍ مُخْتَلِسٍ، خَفِيٍّ شَخْصُهُ، شَديدٍ أَمرُهُ، يصُولُ دونَ كَفٍّ يُظْهِرُها، ويَسْعَى دُونَ رِجْلٍ يَنْقُلُها، وذلكَ أَشدُّ لِبَطْشِهِ، وأَسْرَعُ لِسَعْيِهِ.

١٨ ـ يَرُدُّ أَبُو الشِّبْلِ الخميسَ عن ابنِهِ وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الوِلادَةِ للنَّمْلِ

الشِّبْلُ: وَلَدُ الأَسَدِ، والخَمِيْسُ: الجَيْشُ الكَبِيْرُ[٣].

ثُمَّ قالَ، دَالاً على أَنَّ حوادثَ الدَّهرِ، لا يُمْتَنعُ منها بِقُوَّةٍ[٤]، ولا يُدْفَعُ مَحْتُومُها بِشِدَّةٍ: يَرُدُّ الأَسَدُ الجَيْشَ عن ابْنِهِ[٥]، وَيُسْلِمُهُ لِأَذَى[٦] النَّمْلِ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ، فَيَحْمِيهِ من العَظِيمِ الكثيرِ[٧]، ويُسْلِمُهُ للحَقيرِ اليَسِيرِ[٨]، وضَرَبَ في ذلكَ مَثَلاً بِقيامِ[٩] سَيْفِ الدَّولةِ بِجَليلِ الأُمورِ، وهو مَعَ ذلك لا يَدْفَعُ الموتَ عن ابنِهِ، ولا يَمْتَنِعُ منه بِنَفْسِهِ. يُريدُ أَنَّهُ يَعْجِزُ عن المُخاتَلَةِ[١٠]مَنْ لا يَعْجِزُ عن المُبارَزَةِ.

١٩ ـ بِنَفْسِي وَلِيدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إلى بَطْنِ أُمٍّ[١١]لا تُطَرِّقُ بالحَمْلِ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «في حال».

(٣) «الشبل... الكبير» زيادة في ل.

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لقوة».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، يرد الجيش الأسد عن أبيه».

(٦) في ر، ف، ت «لأذى».

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الكبير».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الصغير».

(٩) في ر، ف «في قيام».

(١٠) خَتَلَهُ يَخْتِلُهُ خَتْلاً وخَتَلاناً: خدعه.

(١١) في رواية التبيان «بطن أرض».

التَّطريقُ بالحَمْلِ: أن يَخْرُجَ بَعْضُ الولدِ ويَبْقَى بَعْضُه[1].

فيقولُ[2]: بِنَفْسِي وَليدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِ أمِّهِ إلى بَطْنِ أُمٍّ لا تُطَرِّقُ بِحَمْلِها، ولا تُبْدي ما استَتَرَ من بَطْنِها. فَأشارَ[3] بذلكَ إلى الأَرْضِ، وأنَّها لا تُبْدي قُبُورَهَا مَنْ أَجَنَّتْهُ[4]، ولا تُطَرِّقُ بِمَنْ تَضَمَّنَتْهُ.

٢٠ ـ بَـدَا وَلَـهُ وَعْـدُ السَّحَـابَـةِ بـالـرِّوَى وَصَـــدَّ وَفِينَـــا غُـلَّةُ البَـلَدِ المَحْـــلِ

الرِّوَى: الماءُ الكثيرُ، والغُلَّةُ: العَطَشُ[5].

ثُمَّ قالَ: بَدَا ذلكَ الوليدُ[6] وشواهِدُ الكرمِ باديةٌ عليه، ومَخايِلُهُ ظَاهِرَةٌ فيه، فَوَعَدَ مِنْ فَضْلِهِ بِمِثْلِ ما يَعِدُ به السَّحابُ مِنْ وَبْلِهِ، ثُمَّ صَدَّ باخْتِرامِ الموتِ له، فأَبْقَى بأَنْفُسِنا مِثْلَ غُلَّةِ البَلَدِ المُمْحِلِ[7]، إذا مُنِعَ من السَّحابِ المُمْطِرِ.

٢١ ـ وَقَـدْ مَـدَّتِ الخَيْـلُ العِتَـاقُ عُيـونَهَا إلى وَقْتِ تَبْدِيلِ الـرِّكَابِ مِنَ النَّعْـلِ

الخيلُ العِتَاقُ: هي الكرامُ[8].

فَيَقُولُ[9]: وقد مَدَّتِ الخَيْلُ الكِرامُ أعيُنَها إليه، وتَنَافَسَتْ عِتَاقُها فيه،

---

(١) «التطريق... بعضه» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) في ل «وأشار».

(٤) أَجَنَّته: سَتَرته وأخفته.

(٥) الروى... العطش» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «الولد».

(٧) في ت «المحل».

(٨) «الخيل... الكرام» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

وارتَقَبَتْ أن يَصيرَ[1] من السِّنِّ إلى حَالٍ يَتَعَوَّضُ[2] فيها بالرِّكابِ من النِّعلِ، وبركُوبِ[3] الخَيلِ من المَشْيِ.

٢٢ ـ وَرِيْـعَ لـه جَيْشُ العـدوِّ ومـا مَشَى وَجَاشَتْ له الحربُ الضَّروسُ وماتَغْلى

جـاشَتِ القِـدرُ: إذا غَلَتْ وهـاجَتْ، فـاسْتَعـارَ ذلـكَ في الحَـربِ، والضَّرُوسُ: الشَّديدةُ العَضِّ، والرَّوعُ: الفَزَعُ[4].

ثمَّ قالَ: وفُزِّعَ لَهُ[5] جَيْشُ العَدوِّ، وهو في سِنِّ من لا يَمْشِي؛ لِصِغَرِهِ، وغَلَتِ[6] الحَرْبُ الشَّديدةُ باهْتِيَاجِها، لاعْتِدَادِها بِمَوْضِعِهِ، قَبْلَ أَنْ يُبَاشِرَها بِنَفْسِهِ، وَيَسْتَعْملَ فيها ما يَرْتَقِبُ مِنْ سَعْيِه، وجَرَى الكلامُ في جاشَتْ على الاستعارةِ، وإن كانَ ما وَصَفَهُ غيرَ مشهورِ الحقيقةِ[7].

٢٣ ـ أَيُفْـطِمُـهُ التُّـوْرابُ قَبْـلَ فِـطامِـهِ وَيَـأْكُلُهُ قَبْـلَ البُلوغِ إلى الأَكْـلِ

الفِطامُ: مَنْعُ الصَّبيِّ من الرَّضاعِ، والتُّوْرابُ: لُغَةٌ في التُّرابِ[8].

فيقولُ:[9] أَيُفْطِمُهُ التُّرابُ[10] باشْتِمَالِهِ عليه، قَبْلَ بُلُوغِهِ سِنَّ الفِطَامِ[11]؟

---

(١) في ر، ف «تصير».
(٢) في ف «يتعرض».
(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وركوب».
(٤) «جاشت... الفزع» زيادة في ل.
(٥) في ل «به»، وفي ت «ارتاع له»
(٦) في ر، ف «غلبت».
(٧) «ويستعمل... الحقيقة» زيادة في ل.
(٨) «الفطام... التراب» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «ثم قال».
(١٠) في ر، ف «الترب».
(١١) في ر، ف «الطعام» وفي ت «أكل الطعام».

ويَأْكُلُ جِسْمَهُ بابلائِهِ له قَبْلَ بُلوغِهِ سِنَّ[1] الأكْلِ؟ يُشيرُ إلى اخْتِرَامِ الموتِ له في سِنِّ الطُّفُوليَّةِ[2].

٢٤ ـ وَقَبْـلَ يَـرَى مِنْ جُـودِهِ مـا رَأَيْتَـهُ وَيَسْمَعَ [3] فيهِ مَاسَمِعْتَ مِنَ العَذْلِ

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: وَقَبْلَ أن يَـرَى مِن عُمومِ جُـودِهِ ما رَأَيْتَهُ، ويَشْهَدَ من كَثْرَتِهِ ما شَهِدْتَهُ، ويَسْمَع من العَذْلِ فيه كالذي سِمِعْتَ، ويُعْرِضَ عنه كما أَعْرَضْتَ. وَدَلَّ بِكَثْرَةِ العَذْلِ عليه، على قِلَّةِ إصْغَائِهِ إليه، وحَذَفَ أنْ من كَلامِهِ، وهو يُرِيدُهَا في قَوْلِهِ[4]: «وقَبْلَ يَـرَى»[5]. والعربُ تَفْعَلُ ذلكَ. قال الشَّاعرُ وهو طَرَفةُ[6].

«ألا أيُّهذا الزَّاجِرى أَحْضُرَ الوَغَى»

يريدُ: أنْ أحضُرَ، فحذفَ لِدَلالةِ الكلامِ على ما أرادَ.

٢٥ ـ وَيَلْقَى كَـما تَلْقَى من السَّلْمِ والْوَغَى وَيُمْسِي كَـمَا تُمْسِي مَلِيكاً بـلا مِثْلِ

يَقولُ[7]: وَيَلْقَى كالذي تَلْقَاهُ من عَظيمِ[8] سُلْطَانِك، وارْتِفاعِ شَأنِكَ

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «إلى الأكل».

(٢) في ر، ف «الطفولة».

(٣) كذا في ل، وفي رواية التبيان، وفي ر، «يسمعُ» بالرفع.

(٤) في ل «بقوله».

(٥) أراد: قبل أن يرى، فحذفها وأعملها، على رواية من روى «ويسمعَ» بالنصب، وهو مذهب الكوفيين، وهو مذهب المتنبي، وفي جوازه خلاف بين النحاة، والصحيح قصره على السماع.

(٦) «وهو طَرَفَةُ» زيادة في ل. وهو طرفة بن العبد، الشاعر الجاهلي، من شعراء المعلقات، وعجز البيت في ديوانه ص ٣١:

وأنْ أشهدَ اللذات هل أنت مخلدي؟

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «عظم».

في السِّلمِ، وجَلالَةِ قَدْرِكَ، ومَشْهورِ[1] ظَفَرِكَ في الحَربِ، ويَصِيرُ[2] في حَالِك مَلِكاً لا يُمَاثَلُ مُلْكُهُ، وسُلْطاناً لا يُعْتَرَضُ أَمْرُه.

٢٦ ـ تُـوَلِّيـه أَوْسَـاطَ البِـلادِ رِمَـاحُـهُ وَتَمْـنَعُـهُ أَطْـرَافُـهُنَّ مـن العَـزْلِ

ثُمَّ قالَ: تُوَلِّيه رماحُهُ[3] قواعِدَ البلادِ، وَوَسَائِطَ[4] الأرضِ، بِتَغَلُّبِهِ عَلَيْها، وتَمْنَعُهُ أَطْرَافُ تِلكَ[5] الرِّماحِ، برَهْبَةِ الإعدادِ لها، من أن يُعْزَلَ عنها. وطابَقَ بَيْنَ الوِلايَةِ والعَزْلِ، والأَوْسَاطِ والأَطْرافِ[6]، وذلك من البديعِ.

٢٧ ـ نُبَكِّي لِمَوْتَانَا عَلى غَيْرِ رَغْبَةٍ تَفُوتُ من الدُّنيا ولا مَوْهبٍ جَزْلِ

يقولُ[7]: نُبَكِّي على مَوْتَانا،[8] ونَحْزَنُ لهم، ونُكْثِرُ الأَسَفَ لِفِراقِهِمْ، ونحنُ نَتَيَقَّنُ أَنَّهم لا يَفُوتُهم من الدُّنيا ما يُرْغَبُ في مِثْلِهِ، ولا يُمْنَعونَ منها ما يَجِبُ أن يُتَنافَسَ في نَيْلِهِ؛ لأَنَّها[9] بِجُمْلَتِها غُرورٌ، وَتَمَتُّعُ مَنْ بَقِيَ فيها بِصُحبَتِها يَسِيرٌ.

٢٨ ـ إذا مـا تَـأَمَّلْتَ الـزَّمـانَ وَصَـرْفَـهُ تَيَقَّنْتَ أَنَّ الموتَ ضَربٌ مِن القَتْلِ

---

(١) في ت «وشهود».
(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتصير».
(٣) في ر، ف «توليه قواعد البلاد وأوساط الأرض رماحه...».
(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وأوساط».
(٥) زاد في ف «تلك البلاد».
(٦) في ل «وطابق بين الأوساط والأطراف، والولاية والعزل».
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لموتانا».
(٩) ساقطة من ف وفي ت «لأن الدنيا».

ثُمَّ قالَ: إذا ما[1] تَأَمَّلْتَ الزَّمانَ وصُرُوفَهُ[2]، وتَدَبَّرتَ الدَّهرَ وخَطَوبَهُ، تَيَقَّنْتَ أنَّ ما حُتِمَ على الإنسانِ من المَوْتِ، كالذي يَتَوَقَّعُهُ من القَتْلِ؛ لأنَّ الأمرينِ مُتَساويانِ في مَكْرُوهِهما، مُتَماثِلانِ فيما يُشَاهِدُ من عَدَمِ الحَياةِ بهما[3]، فما ظَنُّكَ بِشَيءٍ يكونُ آخرُ مَصِيرِهِ إلى أكْرَهِ ما يُحْذَرُ من أُمورِهِ، وهذا يُوجِبُ الزُّهدَ في الدُّنيا، ويَدْعُو إلى الإعْراضِ عنها، وقِلَّةِ الأسَفِ عَلَيْها.

٢٩ ـ هَلْ الوَلَدُ المَحْبُوبُ إلاَّ تَعِلَّةٌ ... وهل حَلْوَةُ الحسناءِ إلا أذَى البَعْلِ

التَّعِلَّةُ: الشُّغْلُ[4].

فيقولُ[5]: هل الوَلَدُ المَرْغوبُ فيه إلاَّ شُغْلٌ لِوَالِدِهِ[6]، وَفِتْنَةٌ لِنَسْلِهِ، وهَلْ حَلْوَةُ الحَسْنَاءِ التي تَدْعُو إليه إلاَّ أذَىً للبَعْلِ المُتَعَرِّضِ لها[7]؛ لأنَّهُ غَيرُ مُسْتَديمٍ لِلَذَّتِها، ولا حَامِدٍ للنَّسلِ في عَاقِبَتِها.

٣٠ ـ وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ البَنِيْنَ على الصِّبَا ... فلا تَحْسِبَنِّي قُلتُ ما قُلْتُ عن جَهْلِ

والحَلْوَى: مَعْروفةٌ، واسْمُها يُسْتَعارُ لِكُلِّ ما استُحْلِيَ[8].

ثُمَّ قالَ: وقد ذُقْتُ حَلاوةَ البَنِينَ في حِيْنِ الصِّبْوَةِ، والعَدَمِ لِحَقِيْقَةِ

---

(١) «ما» ساقطة من ر، ف.

(٢) في ت «تصاريف الزمان».

(٣) في ت «لهما».

(٤) «التعلة: الشغل» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ر، ف «الوالدة به».

(٧) في ر، ف «المعترض».

(٨) «والحلوى... استحلي» زيادة من ل.

الْمَعْرِفَةِ[1]، ثُمَّ لَحَظْتُهمْ بِعَيْنِ التَّيَقُّنِ، بَعْدَ تَجْرِبَتِي لِأَمْرِهم، وإِحَاطَتِي بِعِلْمِهِمْ، فَلاَ تَحْسَبَنِّي ذَمَمْتُهُمْ عنْ[2] غَيْرِ مَعْرِفَةٍ، وَزَهِدْتُ فيهم دونَ تَجْرِبةٍ.

٣١ ـ وما تَسَعُ الأَزْمَانُ عِلْمِي بِأَمْرِها ولا[3] تُحْسِنُ الأَيَّامُ تَكْتُبُ ما أُمْلِي

يقولُ[4]، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ من إحاطَتِهِ بالأُمورِ، وما حَضَّ[5] عليهِ من الزُّهدِ في الدُّنيا، وقِلَّةِ الأَسَفِ على الوَلَدِ: وما تَسَعُ[6] الأَزْمَانُ ما أَعْلَمُهُ من أَمْرِها، وأَتَيَقَّنُهُ من شِدَّةِ تَكَدُّرِها[7]. يُريدُ: أَنَّها تَضِيْقُ عن عِلْمِهِ وَتَقْصُرُ[8]، وتَعْجِزُ عن الاشْتِمَالِ عَلَيْهِ وتَتَأَخَّرُ، وأَنَّها لا تُحْسِنُ أن تَكْتبَ من ذَلكَ ما يُمِلُّهُ، وتَضْبِطَ ما يَعُدُّهُ.

٣٢ ـ وما الدَّهْرُ أَهلٌ أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَه حَيَاةٌ وأَنْ يُشْتَاقَ[9] فيه إلى نَسْلِ

ثُمَّ قَالَ: وما يَحْسُنُ بالدَّهْرِ المَذْمُومِ[10] أَمْرُهُ، الشَّدِيدِ تَنَكُّرُهُ[11]، أَنْ تُؤَمَّلَ عِنْدَه حَيَاةٌ، أو[12] يُشْتَاقَ فيهِ إلى نَسْلٍ؛ لأَنَّ مآلَ الحياةِ فيهِ إلى المَوْتِ، ومَآلَ

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي ت «وعرفتهم حقيقة المعرفة».
والعدم: الفقر.
(٢) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «من»
(٣) في ر، ف «وما».
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) في ف «وما حظ» وفي ت «وما حثّ».
(٦) في ر، ف «يسع» وزاد في ت «أي ما تسع».
(٧) في ت «نكدها».
(٨) ساقطة من ت.
(٩) في ف «تشتاق».
(١٠) في ف «الذميم».
(١١) في ت «مكره».
(١٢) في ر، ف «وأن».

النَّسْلِ فيه[1] إلى الفَقْدِ بَعدَ طُولِ الشُّغْلِ والنَّصَبِ، ومُعَانَاةِ الكَدِ والطَّلَبِ[2]، وما كَانَ كذلكَ، فالسُّرورُ يَسِيرٌ بوجُودِهِ، والحُزْنُ غَيْرُ واجِبٍ عِنْدَ[3] فَقْدِهِ.

(١) ساقطة من ر، ف، ت

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «والتعب».

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «على».

وسَأَلَهُ عن صِفَةِ فَرَسٍ يُنْفِذُهُ إليه، فَقَالَ ارتجالاً.

١ - مَوْقِعُ الخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ وَلَوْ أَنَّ الجِيَادَ مِنْهَا أُلُوفُ
٢ - ومن اللَّفْظِ لَفْظَةٌ تَجْمَعُ الْوَصـ ـف وذاكَ المُطَهَّمُ المَعْرُوفُ
٣ - مَا لَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اختِيارٌ كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ

الطَّفيفُ: الحَقيرُ، والمُطَهَّمُ من الخَيْلِ: التَّامُّ الخَلْقِ[1]. فيقولُ: مَوْقِعُ الخَيْلِ[2] حَقِيرٌ في جُودِكَ[3]، والأُلُوفُ[4] منها يَسيرٌ في بَذْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: ومِنَ اللَّفْظِ قَليلٌ يَجْمَعُ الكَثِيرَ من النَّعْتِ، ولَفْظَةٌ تَشْتَمِلُ على جُمْلَةِ الوَصْفِ، وهي في الخَيْلِ، المُطَهَّمُ التَّامُّ خَلْقُهُ، المَعْرُوفُ المَشْهُورُ عِتْقُهُ، ثُمَّ قَالَ:[5] وما لَنَا في نَدَاكَ[6] اختيارٌ عَلَيْكَ، أَنْتَ الشَّرِيفُ، وشَرِيفٌ ما تَهَبُهُ، والرَّفيعُ[7]، ورَفِيعٌ ما تَبْذُلُهُ.

(١) «الطفيف... الخلق» زيادة في ل.
(٢) في ل «الخير».
(٣) في ر، ف «وجودك».
(٤) زاد في ر، ف «حقير والألوف».
(٥) الواو ساقطة من ر، ف.
(٦) «في نداك» ساقطة من ر، ف.
(٧) «والرفيع» ساقطة من ر، ف.

وَخَيَّرَهُ بَيْنَ فَرَسَيْنِ: دَهْمَاءَ وَكُمَيْتٍ، فَقالَ ارتجالاً:

١ - اخْتَرْتُ دَهْمَاءَتَيْنِ يا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ في الفَضائِلِ الخِيَرُ

الخِيَرُ: جَمْعُ خِيْرَةٍ، وخِيْرَةُ الشَّيءِ: أَرْفَعُهُ[١].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: اخترْتُ دَهْمَاءَ هَاتَيْنِ الفَرَسَيْنِ، وأَسْقَطَ هَا التي للتَّنْبِيهِ، كما تَقُولُ في المُذكَّرِ: اخترْتُ أَفْضَلَ ذَيْنِ، وأَنْتَ تُرِيدُ هَاذينِ، وشَبَّهَهُ بالمَطَرِ في عُمومِ جُودِهِ، وتَدَفُّقِ كَرَمِهِ، فَقَالَ لَهُ: يا مَطَرُ، ويَا مَنْ لَهُ من الفَضَائِلِ أَجَلُّها رُتْبَةً، وأَبْيَنُها رِفْعَةً.

٢ - وَرُبَّما قَالَتِ[٢] العيونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيها وَيَكْذِبُ النَّظَرُ

قَالَ الشيءُ: إذا أَخْطَأَ[٣].

ثُمَّ قالَ: ربَّما[٤] أَخْطَأَتِ العُيونُ[٥] فيما تُؤْثِرُهُ، وغَلِطَتْ فيما تَتَخَيَّرُهُ، فالنَّظَرُ يَصْدُقُ ويَكْذِبُ، ولَسْتُ أُبَرِّئُ نَفْسِي من ذلِكَ، فيما تخيَّرتُهُ واسْتَحْسَنْتُهُ.

٣ - أَنْتَ الذي لو يُعَابُ في مَلاءٍ ما عِيبَ إلاَّ بِأَنَّهُ[٦] بَشَرُ

---

(١) «الخير... أرفعه» زيادة في ل.

(٢) في ت «قالت».

(٣) «قال... أخطأ» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «وربما».

(٥) في ر، ف «العين».

(٦) في رواية التبيان «لأنه».

يَقُولُ[1]: أَنْتَ الذي لو يَعِيْبُهُ عَائِبٌ في مَلإٍ يُحَصِّلُونَ قَوْلَهُ، ويُرَاقِبونَ كَذِبَهُ وصِدْقَهُ، ما عِيْبَ إلا بأَنَّهُ بَشَرٌ يُمَاثِلُ في خَلْقِهِ، ولا يُمَاثِلُ في كَرَمِهِ وفَضْلِهِ.

٤ ـ وإنَّ إعطَاءَهُ الصَّوارِمُ والـ ـخَيْلُ وسُمْرُ الرِّماحِ والعَكَرُ

العَكَرُ: ثَلاثُ مائةٍ مِنَ الإبلِ، فما زادَ على ذلك[2].

ثُمَّ قالَ[3]: وإنَّ إعطاءَهُ، السِّلاحَ التي توجِبُ المَنعةَ، والخَيْلَ التي تُقَرِّبُ البِعْيَةَ، والكَثْرَةُ العَظِيْمةُ من الإبلِ التي تَضْمَنُ الثَّرْوَةَ، فَعَائِبُهُ لا يَعِيْبُه إلا بِبَيَانِ فَضْلِهِ، وتَنَاهي كَرَمِهِ. وهذا من البَديعِ بابٌ يعرفُ بالاستِثْنَاءِ.

٥ ـ فَاضِحُ أَعْدائِهِ كَأَنَّهُمُ لَهُ يَقِلُّونَ كُلَّما كَثُرُوا

يُرِيدُ[4]: أنه يَفْضَحُ أَعْدَاءَهُ، بِظُهُورِ فَضْلِهِ فيهم، واستِحْكَامِ غَلَبَتِهِ عَلَيْهِم، حَتَّى كأَنَّهم كُلَّما كَثُروا يَقِلُّونَ له؛ لأَنَّه يَحْتَقِرُهُمْ، ويَمْلِكُهم ويَسْتَذِلُّهم، ويَقْهَرُهم.

٦ ـ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمُ وَمُخْطِئُ مَنْ رَمِيَّهُ القَمَرُ

ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَقَالَ[5]: أعاذَكَ اللَّهُ مما يَرْمونَكَ به من كَيْدِهم، ويُوَجِّهُونَهُ[6] إليك مِنْ مَكْرِهِمْ، وَإعاذَةُ اللهِ لكَ مَضْمُونَةٌ، وكِفَايَتُهُ مُتَيَقَّنَةٌ؛ لأَنَّكَ القَمَرُ في بَيانِ فَضْلِكَ، وعُلُوِّ قَدْرِك، ومُخْطِئٌ مَنْ رَمِيَّهُ[7] القَمَرُ[8]؛ لأَنَّه يحاوِلُ ما لا يُدْرِكُهُ، ويَرْمِي ما لا يَبْلُغُه.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «العكر... ذلك» زيادة في ل.

(٣) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «ثم قال داعياً له».

(٦) في ف «ويرجمونه».

(٧) في ف، ر «رمى».

(٨) في ف «القدر».

وَأَمَرَ سَيْفُ الدَّولةِ بإنفاذِ خِلعٍ إليه، فَقَالَ:

١ - فَعَلَتْ بِنَا فِعْلَ السَّمَاءِ بِأَرْضِهِ خِلَعُ الأَمِيرِ وَحَقَّهُ لم نَقْضِهِ

السَّمَاءُ: المَطَرُ[1].

فيقولُ: فَعَلَتْ خِلَعُ الأميرِ بنا، فيما ظَهَر عَلَيْنا من حُسْنِهَا وجَمَالِها، فِعْلَ المَطَرِ بالأَرْضِ، فيمَا يَكْسُوها من الرَّوْض، ويُظْهِرُ فيها من الزَّهْرِ.

٢ - فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَأَنَّ حُسْنَ نَقَائِهَا مِنْ عِرْضِهِ

ثُمَّ وَصَفَ تلكَ الخِلَعَ، فقالَ: فَكَأَنَّ صِحَّةَ نَسْجِها تَحكِي من سَيْفِ الدَّولةِ صِحَّةَ لَفْظِهِ، وكأَنَّ حُسْنَ رَوْنَقِها يَحكِي رَوْنَقَ عِرْضِهِ.

٣ - وإذَا وَكَلْتَ إلى كَرِيمٍ رَأْيَهُ في الجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ مَحْضِهِ

المَذِيقُ: المَخْلُوطُ، والمَحْضُ: الخالِصُ[2].

ثُمَّ قالَ: وإذا وَكَلْتَ إلى الكريمِ[3] رَأْيَهُ في الجُودِ، كَشَفَ لكَ حَقِيقَتَهُ، وأَبَانَ لكَ يَقِيْنَهُ[4]، وعَرَفْتَ بما يُبْديه لك، فَضْلَ ما بَيْنَ المَذِيقِ والمَحْضِ، وفَرْقَ ما بَيْنَ المَشُوبِ والصَّفْوِ.

(١) «السماء: المطر» زيادة في ل.

(٢) «المذيق... الخالص» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «كريم».

(٤) في ر، ف «نقيبته».

وقالَ أيضاً يَمْدَحُهُ:

١ - لا الحُـلْمُ جَـادَ بِـهِ وَلاَ بِمِثَـالِـهِ لَـوْلاَ ادِّكَـارُ وَدَاعِـهِ وزِيَـالِـهِ

الزِّيالُ: كالزَّوالِ، يقَالُ: زَالَ الشيءَ زَوَالاً، وزالَتِ الخَيْلُ بِرُكْبانِها زيالاً، تُقْلَبُ الواو ياءً لِلْكَسْرَةِ التي قَبْلَها[1].

فَيَقُولُ: إنَّ الأَحْلامَ لم يَكُن في قُوَّتِها أن تَجُودَ بِمَنْ أُحِبُّه فتُقَرِّبُهُ، ولا بما[2] يُشبِهُهُ فَتُمثِّلُهُ[3]، لولا ما يَدْعو إلى ذلكَ من وَكِيدِ التَّذَكُّرِ لِوَداعِهِ[4] عند فُرْقَتِهِ، وزِيَالِهِ عِنْدَ رِحْلَتِهِ[5].

٢ - إنَّ المُعِيـدَ لَنَـا المَنَـامُ خَيَـالَـهُ كَـانَتْ إعَـادَتُـهُ خَيَـالَ خَيَـالِـهِ

ثُمَّ قالَ: إنَّ[6] المحبوبَ الذي أَعادَ لنا النَّومُ خَيالَهُ، كانَتْ تلكَ الإعادَةُ لِخِفَّةِ وَقْعَتِها، وتَقاصُرِ مُدَّتِها من ذلكَ الخَيالِ، كالخَيالِ الذي لا حَقِيْقَةَ لَهُ، ولا شِفَاءَ للعاشِقِ به.

٣ - بِتْنَـا يُنَـاوِلُنَـا المُـدَامَ بِكَـفِّـهِ مَنْ لَيْسَ يَخْـطُرُ أن نَـرَاهُ بِبَـالِـهِ

ثُمَّ[7] وَصَفَ حَالَهُ[8] عِندَ زِيارَةِ الطَّيفِ لَهُ، وما قَرُبَ لَهُ بذلكَ من البَعِيدِ، وأَمكَنَهُ من العَسِيْرِ، فقالَ: إنَّهُ باتَ يَتَنَاوَلُ المُدامَ من كَفِّ مَحْبوبِهِ،

---

(١) «الزيال... قبلها» زيادة في ل.

(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «بمن».

(٣) في ر، ف «فيمثله».

(٤) في ت «بوداعه».

(٥) في ت «رحيله».

(٦) ساقطة من ف.

(٧) زيادة في ر، ف.

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ذلك».

وذلكَ المحبوبُ لا يَخْطُرُ بِبَالِهِ رُؤْيَتُهُ[1]، لِتَبَاعُدِهِ عنه، ولا يَتَوَهَّمُها[2]، لانْفِصَالِهِ بالمَسَافَةِ المُتَراخِيَةِ مِنْهُ.

٤ - نَجْنِي الكَوَاكِبَ مِنْ قَلائِدِ جِيدِهِ ونَنَالُ عَيْنَ الشَّمْسِ من خَلْخَالِهِ

ثُمَّ شَبَّهَ[3] جَواهِرَ عُقودِ مَحْبوبِهِ بالكَواكِبِ، ولَمَعَانَ خلالِهِ[4] بعَيْنِ الشَّمْسِ، وذَكَرَ أَنَّهُ باتَ يَجْنِي[5] الكَوَاكِبَ من تلكَ القَلائِدِ، بتَناوِلِهِ لَهَا، وَيَنالُ عينَ الشَّمْسِ مِنْ تِلكَ الخَلاخِلِ، بِلَمْسِهِ إيَّاها، فَأَحْرَزَ صَوابَ[6] التَّشبيهِ فيما شَبَّه به، مما لا زِيَادَةَ عليهِ في حُسْنِ المَنْظَرِ، وامْتِنَاعِ المَوْضِعِ. وأَشَارَ إلى المُعَانَقَةِ والمُلامَسَةِ[7] أَحْسَنَ إشارَةٍ، وعَبَّرَ عَنْهُما[8] أَلْطَفَ عِبارَةٍ.

٥ - بِنْتُمْ عَنِ العَيْنِ القَرِيحَةِ فِيكُمُ وَسَكَنْتُمُ وَطَنَ[9] الفُؤادِ الوَالِهِ

٦ - فَدَنَوْتُمُ وَدَنُوتُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَسَمَحْتُمُ وَسَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ

الفؤادُ: القَلْبُ، والوَلَهُ: ذَهَابُ العَقْلِ لِشِدَّةِ الحُبِّ[10]

فَيَقولُ[11]: بِنْتُمْ عن العَيْنِ القَرِيحَةِ من مُوَاصَلَةِ البُكاءِ لِبَيْنِكُم، وسَكَنْتُمْ وَطَنَ[12] الفُؤَادِ الوَالِهِ بِحُبِّكُم، المشغُولِ بِذِكْرِكُمْ، المَقْصورِ على تَمْثِيلِكُم[13]،

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «ولا تخطر رؤيته».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يتوهمه».

(٣) في ر، ف «وصف».

(٤) في ر، ف «خلخاله».

(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يجتني».

(٦) في ت «قصبات».

(٧) في ر، ف «الملابسة».

(٨) في ل، ت «عنها».

(٩) في رواية الواحدي والتبيان «ظن».

(١٠) «الفؤاد... الحب» زيادة في ل.

(١١) في ر، ف «ثم قال».

(١٢) في ت «ظن».

(١٣) في ر، ف «المقصود على يمنكم» وفي ت «على مثلكم».

فَأَدْنَاكم الحُلْمُ من عَاشِقِكُمْ في نَوْمِهِ، بِذِكْرِهِ لَكُمْ، وَقَرَّبَكُم الـوَهْمُ مِنْهُ في يَقْظَتِهِ، لِشَغَفِهِ بكم، فَذَلِكَ الدُّنُوُّ من عِنْدِهِ، لا مِنْ[1] عِنْدِكُم، وذلكَ السَّمَاحُ من مَالِهِ، لا من قِبَلِكُم. وأَجْرَىٰ ذِكْرَ[2] السَّمَاحِ والمَالِ على طريقِ الاستِعَارَةِ.

٧ ـ إِنِّي لأُبْـغِضُ طَيْـفَ مَـنْ أَحْـبَـبْـتُـهُ إِذْ كَـانَ يَهْجُـرُنَـا زَمَـانَ وِصَـالِـهِ

يَقولُ[3]: إِنَّهُ يُبْغِضُ طَيْفَ مَحْبُوبِهِ[4] مَعَ كَلَفِهِ[5] بِهِ، وَيَكْرَهُهُ مَعَ ارتِيَاحِهِ لهُ؛ لِأَنَّه كَانَ يَهْجُرُهُ في زَمانِ الوَصْلِ، ولا يَطْرُقُهُ مَعَ التِئامِ الشَّمْلِ.

٨ ـ مِثْـلَ الصبَـابَـةِ والكـآبَـةِ والأَسَى فَـارَقْتُـهُ فَحَـدَثْنَ من تَـرْحَـالِـهِ[6]

ثُمَّ قالَ: مِثْلَ الصَّبَابَةِ والكـآبةِ والأَسَى، فَـارَقْتُ مَنْ أُحِبُّ، فَحَدَثْنَ بِفُرقَتِهِ، وَعَدِمْتُهُ، فَشَكَوْتُهُنَّ بَعْدَ رِحْلَتِهِ[7]، وكَذَلِكَ الطَّيْفُ، إِنَّما زَارَ في زَمانِ الهَجْرِ، وطَرَقَ عند امتِناعِ الوَصْلِ[8]

٩ ـ وقـد استَقَـدْتُ مِن الهَـوَى وأَذَقْتُـهُ مِـنْ عِفَّـتِي مـا ذُقْتُ مـنْ بَلْبَـالِـهِ

البَلْبَالُ: شِدَّةُ الوَجْدِ[9].

---

(١) في ل «لاما من».

(٢) في ر، ف «ذلك» وهو تحريف.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) كذا في ل، ت وفي ر، ف «محبوبته».

(٥) في ر، ف «كفله».

(٦) في ر، ف «ترجاله» وهو تصحيف.

(٧) في ت «رحيله».

(٨) قال الواحدي في شرح هذا البيت: يهجرنا الطيف زمان الوصال هجر هذه الأشياء، أو بغضه مثل بغض هذه الأشياء التي حدثت من ترحال الحبيب (٢/٤١٨).

(٩) «البلبال: شدة الوجد» زيادة في ل.

فيقولُ: وَقَدْ أَخَذْتُ قَوَدِي[1] من الهَوَى، وأَذَقْتُهُ[2] من الأَسَفِ بالعِفَّةِ، التي سَهَّلَتْ لي خِلاَفَهُ[3]، كالذي أَذَاقَني من الأَلَمِ بِبَلاَبِلِهِ، والتَّحَمُّلِ لِلَواعِجِهِ[4].

١٠ ـ وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرضٍ سَاعَةً تَسْتَجْفِلُ الضِّرْغَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ

الاسْتِجفَالُ: الاسْتِعْجَالُ[5].

ثُمَّ قالَ: ولقد ذَخَرْتُ للأرضِ وَقْعَةً أُوقِعُهَا، وسَاعَةً أَثُورُ فيها، تَسْتَعْجِلُ[6] الضِّرْغَامَ[7] بِشِدَّتِها عن شِبْلِهِ، وتَجْعَلُ له أَوْكَدَ شُغْلٍ في نَفْسِهِ[8]

١١ ـ تَلْقَى الوُجُوهُ بها الوجُوهَ وَبَيْنَها ضَرْبٌ يَجُول الموتُ في أَجْوَالِه[9]

الأَجْوَالُ: النَّواحي، واحِدُها جُولٌ[10].

ثُمَّ وَصَفَ تلكَ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إنَّ وجوهَ الأَبْطالِ الذين لا يَنْكُصونَ، يَلْقَى بَعْضُها بَعْضاً، وبَيْنَها ضَرْبٌ شَديدٌ، وجِلادٌ[11] وكيدٌ، يَكْثُرُ الموتُ فيهِ،

---

(١) القَوَدُ: القصاص.

(٢) في ر، ف «فأذقته».

(٣) في ت «عليَّ خِلابه».

(٤) اللاعج: الهوى المحرق للقلب من الحب.

(٥) «الاستجفال: الاستعجال» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «تستجفل».

(٧) الضِّرغام: من أسماء الأسد.

(٨) «شغل في نفسه» ساقطة من ف.

(٩) في ف «أحواله».

(١٠) «الأجوال... جول» زيادة من ل.

(١١) في ف «وجلاء» وهو تحريف.

ويَجُولُ في نَوَاحِيه. وجَانَسَ بِقَوْلِهِ يَجُولُ الموتُ في أَجْوَالِهِ؛ لأَنَّ حروفَ الأَصْلِ في يَجُولُ وفي أَجْوَالِهِ[1] واحِدَةٌ، والمُرَادُ بالكَلِمَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، واتّفاقُ هذا في الكلامِ هو التَّجْنِيسُ، وهو من البَدِيعِ[2].

١٢ ـ ولَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الكلامِ سُلافَهُ وسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ من جِرْيَالِهِ[3]

السُّلافُ والسُّلافَةُ: ما سَالَ من الخَمْرِ دونَ أن يُعْصَرَ، والجِرْيَال: صِبْغٌ أَحْمَرُ، وما اشتدَّتْ حُمْرَتُهُ من الخَمْرِ، يُسَمَّى جِرْيالاً على المُشابَهَةِ[4].

فيقولُ[5]: إنَّه خَبَّأَ مِنَ الكَلامِ أَسْهَلَهُ وأَفْضَلَهُ، وما هو مِنْهُ[6] كالسُّلافِ[7] في ضُروبِ الخَمْرِ، وأَظْهرَ مِنْهُ[8] ما لا يُدْفَعُ فَضْلُهُ، ولا يُنْكَرُ حُسْنُهُ، كالجِرْيَالِ في أَنْوَاعِها، إلاَّ أنَّ الذي أَظْهَرَهُ مَعَ تَقَدُّمِهِ دونَ الذي خَبَّأَهُ[9]. يُشيرُ بهذا إلى قُدْرَتِهِ على الكَلامِ وإحاطَتِهِ به.

١٣ ـ وإذَا تَعَثَّرَتِ الجِيَادُ بِسَهْلِهِ بَرَّزْتُ غَيْرَ مُعَثَّرٍ بِجِبَالِهِ

ثُمَّ قالَ: وإذا بَعُدَ سَهْلُ الكلامِ على أَهْلِ الإحْسَانِ، وَصَعُبَ انقيادُهُ لَهُم، صُعُوبَةَ المُقَاماتِ التي تُوجِبُ ذلك، بَرَّزْتُ هُنَالِكَ غيرَ مُقَصِّرٍ في

---

(١) في ر، ف «الأجوال».

(٢) «وهو من البديع» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «جربالِه» وهو تصحيف.

(٤) «السلاف... المشابهة» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) كذا في ل وفي ر، ف، ت «فيه».

(٧) كذا في ر، ف، ت وفي ل «كالسلافة» والسلاف والسلافة بمعنى واحد.

(٨) في ت «فيه».

(٩) في ت «إلا أن الذي أظهره دون الذي كتمه».

غَوامِضِ القَوْلِ، ولا مُتَعَثِّرٍ[1] في بَدائعِ الشِّعْرِ. وكَنَى «بالسَّهْلِ» عَمَّا قَرُبَ من الكَلامِ، «وبالجِبالِ»، عما غَمُضَ مِنْهُ، و«بالجِيادِ»، عن أهلِ الإحْسَانِ، فاسْتَعَارَ هذه الألقابَ أحْسَنَ استعَارةٍ، وأشَارَ إلى إحسَانِهِ أبْدَعَ إشَارةٍ، وكُلُّ ذلكَ من بَديعِ الكلامِ.

١٤ ـ وَحَكَمْتُ في البَلَدِ العَراءِ بناعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُغْتَالِهِ

العَراءُ: الأرضُ الفَضَاءُ التي لا يُسْتَتَرُ فيها، والنَّاعِجُ من الجِمَالِ: الأبْيَضُ، وذلكَ من دَلائِلِ كَرَمِهِ، والمُجْتَابُ للبَلَدِ: الذي يَقْطَعُهُ، والمُغْتَالُ له: الذي يَسْتَوفي غَايَتَهُ[2].

فَيَقُولُ[3]: إنَّهُ اقتدَرَ على القَفْرِ العَراءِ[4] بِجَمَلٍ مُعْتَادٍ للسَّيْرِ[5] فيه[6]، مُسْتَضْلِعٍ[7] بالقَطْعِ له، مُسْتَقِلٍّ ببُلوغِ غَايتِهِ، فَحَكَمَ[8] في هذا القَفْرِ، بِرُكُوبِهِ جَمَلاً[9] هذه صِفَتُهُ.

١٥ ـ يَمْشِي كَمَا عَدَتِ الَمطِيُّ وَرَاءَهُ ويَزِيدُ وَقْتَ جَمَامِها وكَلالِهِ

العَدْو: ضَرْبٌ من الجَرْيِ[10].

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «متغبر».

(٢) «العراء... غايته» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) زاد في ر، ف «فحكم في هذا القفر».

(٥) في ر، ف «المسير» وفي ت «السير».

(٦) ساقطة من ل.

(٧) كذا في ل، ت وفي ر، ف «متطلع».
والمستضلع: الضَّلِيعُ القوي التام الخَلْق.

(٨) حكم بمعنى: قطع به.

(٩) في ر، ف «لجمل».

(١٠) «العدو... الجري» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: إنَّ هذا الجملَ لقوَّتِهِ يُساوي بِمَشْيِهِ جَرْيَ غَيْرِهِ من المَطِيِّ، فَيَسْتَظْهِرُ بِمَشْيِهِ على عَدْوِها، وَبِعَفْوِهِ على جَهْدِها، فَتَصيرُ وَرَاءَهُ، ويَزِيدُ على ذلك عِنْدَ كَلاَلِهِ وجَمَامِها[1]، وتَعَبِهِ وَرَاحَتِها، فما ظَنُّكَ به إذا تَساوتِ الحالُ وذَهَبَ عنه الكَلاَلُ؟

١٦ ـ وَتُـرَاعُ غَـيْرَ مُـعَـقَّـلاتٍ حَـوْلَـهُ فَـيَفُـوتُهـا مُـتَجَـفِّـلاً بِـعِـقَـالِـهِ

وَتُرَاعُ المَطِيُّ حَوْلَ هذا الجَملِ، وكُلُّها لا عِقَالَ عَلَيْهِ[2]، وهو مَعْقُولُ بَيْنَها، فَتَفِرُّ مُسْرِعَةً، وَتَصُدُّ مَوَلِّيَةً، وَيَفِرُّ هـذا الجملُ لِفِـرَارِها[3]، فَيَفُـوتُها مُسْرِعاً، وهو[4] بِعِقَالِهِ، وهي مُطْلَقَةٌ، وَيَتَقَـدَّمُها مُـوثَقاً[5] بِـرِبَاطِـهِ، وهي مُجْتَهِدَةٌ. والمُتَجَفِّلُ: المُسْرِع[6].

١٧ ـ فَغَـدَا النَّجَـاحُ وَرَاحَ في أَخْفَـافِـهِ وَغَـدَا المِـرَاحُ وَرَاحَ في إِرْقَـالِـهِ

المِراحُ: النَّشَاطُ[7].

يَقولُ[8]: إنَّه أَعْمَلَ هذا الجَمَـلَ في قَصْدِ هـذا الرَّئيسِ، فـاقْتَرَنَ[9] الظَّفَرُ بِسَيْرِهِ، والفَوْزُ والغِبْطَةُ بِسَفَرِهِ، وَبَلَّغَهُ والنَّجَاحُ يَغْدُو ويَرُوحُ في أَخْفَافِ مَطِيَّتِهِ، والنَّشَاطُ يَحْمِلُها، والقُوَّةُ تَنْهَضُ بِهَا.

---

(١) المطيُّ الجائمةُ: دائمة النشاط، والتي كلما ذهب منها جري جاءها جري آخر.

(٢) كذا في ل، وفي ت «عليها»، وهي ساقطة من ر، ف.

(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «بفرارها».

(٤) ساقطة من ر، ف، ت.

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) «المتجفل: المسرع» زيادة في ل.

(٧) «المراح: النُشاط» زيادة في ل.
والأخفاف: جمع خُفٌّ، وهو خف البعير، والإرقالُ: ضربٌ من السير، وناقة مِرْقَال: مُسْرِعة.

(٨) في ر، ف «ثم قال».

(٩) في ت «فاقتران».

١٨ ـ وَشَـرِكْتُ دَوْلَـةَ هَـاشِمٍ فِي سَيْفِهَـا وَشَقَقْتُ خِيْسَ الْمُلْكِ عَن رِئْبَـالِـهِ

الرِّئبالُ: الأَسَدُ، والخِيْسُ: أَجَمَتُهُ[١].

يَقُولُ: إنَّه[٢] شَرِكَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فِي هذا الرَّئيسِ، الذي هـوِ سَيْفُها، فاختَارَهُ لِقَصْدِهِ، كما اختَارَهُ المِلكُ لِنَفْسِهِ، وَوَصَلَ إلى دَارِ سُلْطَانِهِ، ورَفيعِ مَكَانِهِ، فَأَبْدَى لَهُ مُسْتَقَرَّ تلكَ المَنعَةِ، وَمَوْضِعَ تلكَ الرِّفْعَةِ، عن أَسَدِ المُلْكِ المانِعِ مِنْهُ، وسَيْفِهِ المُدَافِعِ عنه، وكَنَى بالرِّئْبَالِ عن سَيْفِ الدَّولةِ، وبالخِيْسِ عن بَلَدِهِ.

١٩ ـ عَنْ ذَا الَّذي حُرِمَ اللُّيوثُ[٣] كَمالَـهُ يُنْسِي الفَـريسَـةَ خَـوْفَـهُ بجَمَـالِـهِ

الفَريسَةُ: ما اختَطَفَهُ الأَسَدُ، فَدَقَّ عُنُقَهُ[٤].

فَيَقولُ[٥] إنَّه شَقَّ خِيْسَ المُلكِ عن الأَسَـدِ[٦]، الذي حُـرِمَتِ الأُسْدُ كَمَالَهُ، ومُنِعَتْ خِصَالَهُ؛ لأنَّه يَشْرَكُها بِبَأْسِهِ، ويفُوتُها بِحُسْنِهِ، فهي مَنْسُوبَةٌ إلى القُبْحِ، وهو لِحُسْنِهِ يُنْسِي فَرِيْسَتَهُ خَوْفَهُ بِجَمَالِ وَجْهِهِ، وَيَشْغَلُها بِبَهائِه عما تَتَوَقَّعُهُ[٧] من بَأْسِهِ.

٢٠ ـ وَتَـواضَـعَ الأُمَـراءُ حَـوْلَ سَرِيـرِهِ وتُـرِى المَحَبَّـةَ وهـي من آكَـالِـهِ

الآكالُ: جمعُ أُكْلٍ[٨].

---

(١) «الرئبال... أجمته» زيادة في ل.

(٢) «يقول إنه» زيادة في ر، ف وفي ل «فشرك».

(٣) في ر، ف «الملوك».

(٤) «الفريسة... عنقه» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ف «الأسعد» وهو تحريف.

(٧) في ر، ف «يتوقعه».

(٨) «الآكال.. أكل» زيادة في ل. والأُكل: الأقوات والأرزاق.

ثُمَّ قالَ: إنَّه[1] لِشِدَّةِ هَيْبَتِهِ، وارتِفاعِ رُتْبَتِهِ، تَتَواضَعُ الأُمَراءُ حَوْلَ سَرِيْرِهِ، وتَعْتَصِمُ بالخضُوعِ لَهُ، وتُرِيهِ مَحَبَّتَهَا، وَلَيْسَتْ مِنْ أَشْكَالِهِ، وتَتَوَدَّدُهُ، وهي مِنْ آكَالِهِ.

٢١ ـ وَيُمِيتُ[2] قَبْلَ قِتَالِهِ، وَيَبَشُّ قَبْلَ نَوَالِهِ، وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ

البَشَاشَةُ: الاسْتِبْشَارُ[3].

فيقولُ[4] إنَّ هذا الممدوحَ يُمِيْتُ بِهَيْبَتِهِ قَبْلَ أن يُقَاتِلَ، ويَسْتَبْشِرُ بِنَوَالِهِ قَبْلَ أن يُعْطيَ، ويُنِيلُ مَنْ يَقْصِدُهُ قَبْلَ أن يُسْأَلَ.

٢٢ ـ إنَّ الرِّيَاحَ إذا عَمَدْنَ لِنَاظِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عن استعْجَالِهِ

ثُمَّ ضَرَبَ له مَثَلاً، في قُوَّتِهِ على ما يَقْصِدُهُ[5]، وقُدْرَتِهِ على ما يَفْعَلُ، بالرِّيحِ في قُوَّةِ هُبُوبِها، وعَجَلَةِ مَسِيرِها، فَقَالَ: وكذَلِكَ الرِّياحُ إذا اعتَمَدَتِ النَّاظِرَ إليها، أَغْنَاهُ سُرْعَةُ حُلُولِها عن اسْتِعْجَالها في مَسِيرِها.

٢٣ ـ أعطَى وَمَنَّ[6] على الملوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ في إفْضَالِهِ

يَقُولُ[7]: أَعْطَى، فَعَمَّ[8] بِفَضْلِهِ، واقتَدَرَ على المُلوكِ المُرْتَفِعينَ[9] عَنْ

---

(١) في ل «وإنه».

(٢) في ف «ويموت».

(٣) «البشاشة: الاستبشار» زيادة من ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «يقصد».

(٦) في ر، ف «ومنّ».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «فمنّ».

(٩) في ت «المترفعين».

تَقبُّلِ العَطاءِ، فمنَّ عليهم بِعَفْوِهِ، وكانَ صَفْحُهُ عَنْهُم من أَوْفَرِ العَطاءِ عِنْدَهُمْ، فَتَساوَى المُلُوكُ والسُّوَقُ[1] فيما شَمِلَهُمْ من إفضالِهِ، وتَماثَلوا فيما أَحاطَ بهم من إحْسانِهِ.

٢٤ ـ وإذا غَنُوا بِعَطائِهِ عن هَزِّهِ وَإلَى فَأْغْنَى أن يَقُولوا وَالِهِ

ثُمَّ قالَ: وإذا أغنَى[2] كَرَمُهُ عن مَسْأَلَتِهِ، وابْتِداؤُهُ للعَطاءِ عن هَزِّهِ، وَإلَى ذلكَ وتابَعَهُ، وأَعادَهُ وواصَلَهُ، فأَغْنَى احتِمالُهُ عليه عن تَحْريكِهِ بالمَسْأَلَةِ إليه.

٢٥ ـ وَكَأَنَّما جَدْوَاهُ من إكْثارِهِ حَسَدٌ لسائِلِهِ على إقْلالِهِ

الجَدْوَى: العَطاءُ[3].

فيقولُ: وكأنَّما عَطاؤُهُ[4] لِكَثْرَتِهِ، وما هوَ[5] عَلَيْهِ مِنْ مُواصَلَتِهِ، استكراهٌ منه لِلْمَالِ، وحَسَدٌ للسَّائِلِ على الإقلالِ.

٢٦ ـ غَرَبَ النُّجُومُ فَغُرْنَ دُونَ هُمُومِه وَطَلَعْنَ حِيْنَ طَلَعْنَ دُونَ مَنالِهِ[6]

الهَمُّ والهِمَّةُ بِمَعْنًى واحِدٌ[7].

ثُمَّ قالَ[8]: إنَّ النُّجومَ مَعَ ارتفاعِ مَواضِعِها، وانتزاحِ مَغارِبِها

---

(١) في ت «والسوقة». والسُّوقَةُ: الرَّعِيَّةُ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، أو قد يجمع «سُوَقاً».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «غنى».

(٣) «الجدوى: العطاء» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال إنما إعطاؤه».

على أن الإعطاء مصدر والعطاء اسم مصدر.

(٥) في ف «ولا ما هو».

(٦) في ف «دون مثاله».

(٧) «الهم... واحد» زيادة في ل.

(٨) «ثم قال» زيادة في ر، ف. وفي ل «وإنَّ»

ومَطَالِعها، تَغْرُبُ مُقَصِّرَةً عَمَّا تَبْلُغُهُ هِمَّتُهُ[1]، وَتَطْلُعُ[2] متواضِعَةً عَمَّا يُدْرِكُهُ تَنَاوُلُه.

٢٧ ـ واللَّهُ يُسعِدُ كلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ وَيَزيدُ من أَعْدَائِهِ في آلِهِ

يَقُولُ[3]: واللَّهُ يَمُدُّهُ في[4] كلِّ يومٍ بِكَرامَةٍ يَصِلُها بِهِ، وسَعَادَةٍ يُجَدِّدُها لَهُ[5]، ويُظْفِرُهُ بِمَنْ نَاوَأَهُ، ويُظْهِرُهُ على مَنْ عَادَاهُ، ويَجْعَلُهُمْ بَعْدَ العَداوَةِ أَتْبَاعَ أَمْرِهِ، وأَنْصَاراً لِحِزْبِهِ.

٢٨ ـ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْرِي عَلى أَسيَافِهِ مُهَجَاتُهُمْ لَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ

ثُمَّ قالَ[6]: لو لم يُهْلِكُهُم[7] بِوَقَائِعِهِ، وتَجْرِي مُهَجَاتُهُمْ على سُيُوفِهِ، لَتَكَفَّلَ له بِذَلِكَ إِقْبَالُ جَدِّهِ، وما أَظْهَرَهُ اللَّهُ من تَمَكُّنِهِ[8] وسَعْدِهِ.

٢٩ ـ فَلِمِثْلِهِ جَمَعَ العَرَمْرَمُ نَفْسَهُ وَبِمِثْلِهِ[9] انفَصَمَتْ عُرَا أَقْتَالِهِ

العَرَمْرَمُ: الجَيْشُ الكثِيرُ، والأَقْتَالُ: الأَعْدَاءُ، والواحِدُ قَتْلٌ، والانفصَامُ: الانقطَاعُ[10].

فيقولُ[11]: فلِمِثْلِ سَيْفِ الدَّولةِ جَمَعَتِ الجُيُوشُ أَنفُسَهَا، وسَلَّمَتْ

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «همته».
(٢) في ر، ف «ولا تطلع».
(٣) في ر، ف «ثم قال».
(٤) «في» زيادة في ل.
(٥) في ت «يجد ماله».
(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف وفي ل «فلو لم...».
(٧) في ر، ف «تهلكهم».
(٨) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «تمكينه».
(٩) في رواية التبيان «لمثله».
(١٠) «العرمرم... الانقطاع» زيادة في ل.
(١١) في ر، ف «ثم قال».

طاعَتَها، إعْظَاماً لِقَدْرِهِ، واعترافاً بِفَضْلِهِ[1]، وَبِمِثْلِهِ من أَهْلِ الحَزَامةِ، والْمُتَقَدِّمينَ في الرِّياسَةِ، انفصَمَتْ[2] عُرَا أَعْدائِهِ، وانحلَّ عَقْدُهُم، وانفَلَّ حَدُّهُم.

٣٠ - لم يَتْرُكوا أَثَراً عَلَيْهِ مِنَ الوَغَى إلاَّ دِمَاءَهُم على سِرْبَالِهِ[3]

ثُمَّ قالَ، مُشيراً إلى استِنْفَاذِهِ لأَعْدَائِهِ، بِقَتْلِهِ لَهُم[4]، وبلوغِهِ المُرَادَ مِنْهُم: لم يَتْرُكُوا عَلَيْهِ لِلْحَربِ أَثَراً يُظْهِرُهُ، وشَاهِداً يَتَكَلَّفُهُ؛ لاسْتِغْنَائِهِ عن ذلكَ بِبُلوغِ البِغْيَةِ فيه، إلاَّ ما[5] في ثَوْبِهِ من دِمَائِهم، التي سَفَكَتْها صَوَارِمُهُ، وأَجْرَتْها وَقَائِعُهُ، وهذا مِنَ البَدِيعِ يُعْرَفُ بالاستثناءِ.

٣١ - يَا أَيُّهَا القمرُ المُبَاهِي وَجْهَهُ لا تُكْذَبَنَّ فَلَسْتَ من أَشْكَالِهِ

يقولُ[6]: يا أَيُّها القَمَرُ الذي يُبَاهِي وَجْهَ سَيْفِ الدَّولةِ بنورِهِ، ويُسَاجِلُهُ[7] بِحُسْنِهِ، لا تُكْذَبَنَّ عن نَفْسِكَ، فهو أَبْهَى منكَ وأَحسَنُ، وأَضوءُ منك وأَنْورُ، ولَهُ في البَأْسِ[8] والكَرَمِ رُتَبٌ لا تَبْلُغُها، ومَنَازِلُ لا تَسْتَحِقُّها، فَلَسْتَ مِمَّن يُشَاكِلُهُ ويُضَاهِيهِ، ويُمَاثِلُهُ ويُسَاويه.

٣٢ - وإذَا طَمَا الْبَحْرُ المُحِيطُ فَقُلْ لَهُ دَعْ ذا فإنَّك عاجِزٌ عَنْ حَالِهِ

ثُمَّ قالَ: وإذا طَمَا البحرُ المُحِيطُ، وطُمُوهُ: ارتِفَاعُهُ[9]، فَقُلْ لَهُ: دَعْ ما

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «لفضله».

(٢) كذا في ل، ت وففي ر، ف «انفصلت».

(٣) روى الواحدي هذا البيت قبل سابقه (انظر ٢/٤٢١).

(٤) «لهم» ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «الأمك».

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «بنور هو يساجله».

(٨) في ر، ف «الناس».

(٩) «وطمّوهُ: ارتفاعه» زيادة في ل.

تُظْهِرُهُ، فَكَرَمُ سَيْفِ الدَّوْلةِ يَغْمُرك، ومَوَاهِبُهُ تُحَقِّرُك، وأَنْتَ عَاجِزٌ عن رُتْبَتِهِ، ومُقَصِّرٌ عن جَلالَتِهِ ورِفْعَتِهِ.

٣٣ ـ وَهَبَ الَّـذي وَرِثَ الجُدودَ ومـا رَأى أَفْـعَـالَهُمْ لِآبْنٍ [١] بـلا أَفْـعَـالِـهِ

ثُمَّ قالَ: «وَهَبَ الذي وَرِثَ الجُدُودَ»[٢]، والعَرَبُ تُسْقِطُ حَرْفَ الجرِّ مَعَ وَرِثَ، فَتُعْمِلُ الفِعْلَ، والحرفُ ثَابِتٌ في النِّيَّةِ، فَيقولُ أَحَدُهُم[٣]: وَرِثْتُ أبي مَالَهُ، وهو يُريدُ: وَرِثْتُ مِنْ أبي مَالَه، وأَنْشَـدَ سِيْبَويهِ[٤]:

وَرِثْتُ أَبي أَخْـلاَقَـهُ: عـاجِـلَ القِـرَى وَعَبْطَ المَهـارِي كُـومُهـا وشبُـوبُهـا[٥]

يُريدُ من أبي.

فيقولُ أبو الطَّيِّب: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ لِسَعَةِ فَضْلِهِ، وعُمومِ جُودِهِ، وهَبَ الذي وَرِثَهُ من جُدودِهِ[٦]، وأَشَارَ بهذا إلى استِئْفَادِهِ لِجَمْعِهِ، واستيعَابِهِ لِكَسْبِهِ؛ لأَنَّ نَفَقَةَ التَّالِدِ بعد نَفَقَةِ الطَّارِفِ[٧]، ولم يَقْنَعْ بما خَلَّدَهُ جُدُودُهُ[٨] من المَجدِ، وأَسْلَفُوهُ من الجُودِ، دونَ أن يَتْلُوَهم بِفِعْلِهِ، ويُمَـاثِلَهُمْ، ولا رَأى أَنَّ أَفْعَالَ

(١) في رواية التبيان «الابن».
(٢) «ثم قال... الجدود» زيادة في ر، ف.
(٣) في ر، ف «فتقول» و«أحدهم» ساقطة منها.
(٤) كتاب سيبوية ١٦/١ والبيت للفرزدق: ديوانه ص٦٦.
(٥) في ت «وشَنُونُها» وهو تصحيف لأن البيت من قصيدة بائية.
والشنون: الناقة التي أخذت في السمن ولم تنته.
(٦) في ف «جوده».
(٧) التَّالِدُ: المال القديم الأصلي الذي ولد عندك أو نتج. والطَّارِفُ: نقيضه، أي: المال المستحدث.
(٨) في ت «خلفه آباؤه».

الآباءِ تُشَرِّفُ الابنَ[1]، إذا لم تُشَرِّفْهُ أَفْعَالُهُ، وتَرْفَعْهُ أَحْوَالُهُ، نَحْوَ قولِ الجَعْدِيِّ[2]:

لَسْنَا وإن كَرُمَتْ أوائِلُنَا[3] يَوْماً على الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

٣٤ ـ حَتَّى إذا فَنِيَ التُّراثُ سِوَى العُلاَ قَصَدَ العُدَاةَ مِنَ القَنَا بِطِوَالِهِ

ثُمَّ قالَ: حَتَّى إذا أَفْنَى البَذْلُ تُرَاثَهُ، واستَوْعَبَ طارِفَهُ وتالِدَهُ[4]، ولم يَبْقَ من ذلكَ إلاَّ العُلاَ التي خَلَّدَها، والمَكَارِمُ التي شَيَّدَها، طَلَبَ المالَ مُغَالَبَةً، فَقَصَدَ عِدَاهُ[5] بِطِوَالِ[6] رِمَاحِهِ، واسْتَعْمَلَ فيهم صَوَارِمَ سُيوفِهِ.

٣٥ ـ وبِأَرْعَنٍ لَبِسَ العَجَاجَ إلَيْهِمِ فَوْقَ الحَدِيدِ وَجَرَّ مِنْ أَذْيَالِهِ

الرَّعْنُ: أَنْفُ الجَبَلِ، والأَرْعَنُ: الجَيْشُ الكثيرُ التي تكون له فُضولٌ، كفُضولِ الجِبالِ ورعُونِها[7].

---

(١) في ت «ورأى أن أفعال الآباء لا تشرف الابن حتى تشرفه أفعاله».

(٢) في ر، ف «الجفري» والبيت ليس في شعر الجعدي المجموع (ط المكتب الإسلامي)، وفي ت «ومثله قول الليثي». والبيت مع آخر للمتوكل الليثي (حماسة أبي تمام ٤/١٧٩٠ حماسية رقم ٨٠٧) وفي شعر المتوكل المجموع نسب له ولغيره ص ٢٧٥. وفي الحيوان نسب البيت مع آخر لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر (الحيوان ٧/١٦٠).
والمتوكل الليثي: هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويكنى أبا جَهْمَة، وهو من شعراء الإسلام، كان كوفياً، وكان في عصر معاوية.
(طبقات فحول الشعراء ٢/٦٨١، والمؤتلف والمختلف ص ٢٧٢).

(٣) في ر، ت «وائلنا».

(٤) «تالده» ساقطة من ر، ف.

(٥) في ت «الأعداء».

(٦) في ل، ت «بطول».

(٧) «الرعن... ورعونها» زيادة في ل.

فَيَقولُ: إنَّ سيفَ الدَّولةِ قَصَدَ أعادِيهِ بِجَيْشٍ ضَخْمٍ، لَهُ رُعونٌ وفُضُولٌ، يَلْبَسُ ما يُثيرُهُ من العَجَاجِ فَوْقَ ما يَلْبَسُ فُرْسَانُهُ من السِّلاحِ، ويَجُرُّ أذْيَالَهُ لوُفورِهِ، ويَسْحَبُها إلى العَدوِّ في مَسِيْرِهِ.

٣٦ ـ فَكَأنَّما قَذِيَ النَّهارُ بِنَقْعِهِ أوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفَ من إجلالِهِ

القَذَى: ما وَقَعَ في العَيْنِ فَعَاقَها عن النَّظَرِ، والنَّقْعُ: الغُبَارُ[1].

ثُمَّ قالَ: إنَّ ذلكَ[2] العَجَاجَ طَمَسَ ضِيَاءَ النَّهارِ بِشِدَّتِهِ، حتى كأنَّهُ قَذِيَ بِغُبَارِهِ، أو غَضَّ طَرْفَهُ عنه[3]، لِمخافَتِهِ وإجلالِهِ. يُشيرُ بذلكَ إلى تَغَلُّبِ الإظلامِ على نُورِهِ، واسْتِيلاءِ العَجَاجِ على ضَوْئِهِ.

٣٧ ـ الجَيْشُ جَيْشُكَ غَيرَ أنَّكَ جَيْشُهُ في قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ

يقولُ[4]: الجَيْشُ جَيْشُكَ في امتِثالِهِ لأَمْرِكَ، وتَصَرُّفِهِ على إرَادَتِكَ[5]، وأنت جَيْشُهُ في أنَّهُ إنَّما يَشْجُعُ بِشَجَاعَتِكَ، وَيُقْدِمُ بك، وتَهَابُهُ الأَعْدَاءُ من أجلِكَ. هذه حَالُكَ في قَلْبِهِ[6]، ويَمِينِهِ وشِمالِهِ، فإذا امتَنَعَ الرُّؤَسَاءُ بِجيُوشِهِم، فَأنتَ تَمْنَعُ جَيْشَكَ، وإذا احتَمَوْا[7] بِجُمُوعِهِم، فَأنْتَ تَحمِي جَمْعَكَ.

٣٨ ـ تَرِدُ الطِّعَانَ أُلمَّ عَنْ فُرْسَانِهِ وَتُنَازِلُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ

---

(١) «القذى... الغبار» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ذاك».

(٣) في ر، ف «غض عنه طرفه».

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «رأيك».

(٦) في ت «فهذه حاله في قلبه».

(٧) في ر، ف «اجتمعوا».

ثُمَّ قالَ: يَسْبِقُ فُرْسَانَهُ إلى الطِّعَانِ، فَيَرِدُ قَبْلَهُم مُرَّهُ، ويَسْبِقُ أَبْطَالَهُ إلى النِّزَالِ، فَيَصْلَى[1] دُونَهُم حَرَّهُ.

٣٩ ـ كُـلٌّ يُـريـدُ رجـالَـهُ لِحَـيـاتِـهِ يـا مَنْ يـريـدُ حَيـاتَـهُ لِـرِجـالِـهِ

ثُمَّ قال[2]: كُلُّ الأُمَراءِ غَيرُكَ يُرِيدُ الرِّجَالَ لَيَسْتَبْقِيَ حَيَاتَهُ، وأَنْتَ تُرِيدُ الحَيَاةَ لِتَسْتَبْقِيَ رِجَالَكَ، وتَحْفَظَ جَمْعَكَ، وتَحْمِيَ جُنْدَكَ.

٤٠ ـ دُونَ الحَـلاَوةِ في الـزَّمـانِ مَـرارَةٌ لا تُخْتَـطَى[3] إلاَّ عَـلَى أَهـوَالِـهِ

يقولُ: دونَ حَلاوةِ الظَّفَرِ، وَلَذَّةِ بُلوغِ الأَمَلِ، مَرارَةٌ من الغَرَرِ[4]، ومَشَقَّةٌ من الخَطَرِ، لا تُتَجاوزُ تلكَ المَرارَةُ إلا بِمُقَارَعَةِ أَهْوَالِ الزَّمانِ وَشِدَّتِها، والتَّعَرُّضِ لِمِحْنَتِها[5] وصُعُوبَتِها، وضَرَبَ هذا مَثَلاً فيما قَدَّمَهُ، والمَثَلُ أَرْفَعُ وجوهِ البَدِيعِ.

٤١ ـ فَـلِذاكَ جَـاوَزَهـا عَـلِيٌّ وَحْـدَهُ وَسَـعَـى بِمُـنْـصُـلِهِ إلى آمـالِـهِ

ثُمَّ قـالَ: فَلِذلكَ[6] انفَـرَدَ عـلِيٌّ بِجَـوَازِ تلكَ المَـرارَةِ، وتَخَـطِّي تِلْكَ الصُّعوبَةِ، وسَعَى إلى أَمَلِهِ بِسَيْفِهِ، واقتَدَرَ على مُرَادِهِ بعَزْمِهِ.

---

(١) في ر، ف «تسبق... ترد... وتسبق... فتصلى».

(٢) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٣) في ف «لا تخطى».

(٤) الغَرَرُ: الهلاك.

(٥) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «لمحنها».

(٦) في ر، ف «فلذاك».

وقال أيضاً[١]، يَمْدَحُهُ:

١ - أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ ومَكَارِمٍ ... وَمِن ارتِيَاحِكَ في غَمَامٍ دائِمِ

الارتِيَاحُ: انبِساطُ الخُلُقِ بالمَعْروفِ[٢].

فيقولُ لِسَيْفِ الدَّولَةِ: أنا مِنكَ بَيْنَ فَضَائِلَ بَاهِرَةٍ، ومَكَارِمَ شَامِلَةٍ، ومن ارتياحِكَ في سَحَابٍ لا يُقْلِعُ، وعَطَاءٍ لا يَنْقَطِعُ[٣].

٢ - وَمِنَ احتِقَارِكَ كُلَّ مَا تَحْبُو بِهِ ... فِيمَا أُلاَحِظُهُ بِعَيْنَيْ حَالِمِ

ثُمَّ قالَ: وأَنَا من احتِقَارِكَ لِعَظِيمِ ما تَفْعَلُهُ، وكَثيرِ ما تَبْذُلُهُ في شَيْءٍ[٤] أُلاحِظُهُ[٥] بِعَيْنَيْ حَالِمٍ غَيْرِ مُحَقِّقٍ، ومُتَوَهِّمٍ غَيْرِ مُصَدِّقٍ.

٣ - إِنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهُ[٦] ... حَتَّى بَلاَكَ[٧] فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ

الابْتِلاءُ: التَّجْرِبَةُ، وعَيْنُ الشَّيءِ: حَقِيقَتُهُ[٨].

فيقول[٩]: إنَّ الخَلِيْفَةَ لم يُسَمِّكَ سَيْفَ دَوْلَتِهِ[١٠] حتى جَرَّبَكَ، فَكُنتَ السَّيفَ حَقِيْقَةً، لا يَنْبُو حَدُّكَ، ولا يَنْفَلُّ عَزْمُكَ، ولا يَطْمَعُ فيكَ عَدُوُّك.

---

(١) «أيضاً» زيادة في ر، ف.

(٢) «الارتياح... بالمعروف» زيادة في ل.

(٣) في ت «لا يقطع».

(٤) «في شيء» ساقطة من ر، ف

(٥) في ت «ألاحظه»

(٦) في رواية الواحدي والتبيان «سيفها».

(٧) في رواية التبيان «ابتلاك».

(٨) «الابتلاء... حقيقته» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «سيفه».

٤ ـ فـإذا[١] تَتَـوَّجَ كُنْـتَ دُرَّةَ تَـاجِـهِ وإذا تَخَتَّمَ كُـنْتَ فَصَّ[٢] الخَـاتَـمِ

ثُمَّ قـالَ: فأنتَ أَرْفَـعُ آلاتِ تَاجِهِ إذا تَتَوَّجَ؛ لأَنَّـكَ دُرَّتُهُ، وأَجَـلُّ مـا يَشْتَمِلُ[٣] عليه[٤] خاتِمُهُ إذا تَخَتَّمَ؛ لأَنَّك فَصُّهُ. يُشِيرُ إلى أَنَّه أَرْفَعُ ما يَتَرَفَّعُ الخَلِيْفَةُ به[٥]، وأَجَلُّ ما يُبَاهي بمَوْضِعِهِ.

٥ ـ وإذا انتَضَـاكَ على العِـدَى في مَعْـرَكٍ هَلَكُـوا وَضَـاقَتْ كَفُّـهُ بـالقَـائِمِ

يقول[٦]: إذا جَرَّدَكَ على أَعَادِيهِ في مَعْرَكٍ، وعَارَضَهُم بكَ في مَوْقفٍ، أَهْلَكَ بِنَفَاذِكَ جَمْعَهُمْ، وأَذَلَّ بابْتِدَارِكَ عِزَّهُمْ، وضَاقَتْ كَفُّهُ عن قائِمِ سَيْفٍ أَنْتَ حَقِيْقَتُهُ، وقَلَّ هذا الاسْمُ لِقَدْرِكَ، وتَوَاضَعَ لِجَلاَلَةِ أَمْرِكَ.

٦ ـ أَبْـدَى سَخَـاؤُكَ عَجْـزَ كُـلِّ مُشَمِّـرٍ في وَصْفِـهِ وأَضَـاقَ ذَرْعَ الكَـاتِمِ

ثُمَّ قالَ: أَبْدَى سَخَاؤُكَ لِكَثْرَتِهِ عَجْزَ واصِفِهِ، وأَضَاقَ كَرَمُكَ بِتَظَاهُرِهِ ذَرْعَ كاتِمِهِ، فَمُحَاوِلُ وَصْفِهِ لا يَبْلُغُهُ، لِعَجْزِهِ عَنْهُ، ومُحَاوِلُ كَتْمِهِ لا يُمْكِنُهُ، لِما تَبَيَّنَ مِنْهُ.

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «وإذا».

(٢) في ف «فصم» وهو تحريف.

(٣) كذا في ل، ت وفي ر «تشتمل» وفي ف «تشمل».

(٤) في ر، ف «عليه به».

(٥) في ت «به الخليفة».

(٦) في ر، ف «ثم قال: وإذا».

وقالَ فيهِ، وقد أَمَرَ له بفَرَسٍ وجَاريةٍ[١]:

١ - أَيَـدْرِي الـرَّبْـعُ أَيَّ دَم أَرَاقَـا وأَيَّ قُلُوبِ هَـذا الـرَّكْبِ شَـاقَـا

الشُّعَراءُ تَذْكُرُ أَنَّ الحُزْنَ إذا أَفْرَطَ، والبُكاءَ إذا اتَّصَلَ، امتزَجَ الدَّمُ بالدَّمعِ، فَتَلاهُ في جَرْيِهِ، وانْحَدَرَ في أَثَرِهِ، فَيقولُ: أَيَدْري هذا الرَّبعُ أَيَّ الرَّكبِ الوُقُوفِ به، أَرَاقَ دَمَهُ، مما[٢] كَلَّفَهُ من البُكَاءِ فيه، وأَكَّدَ اشْتِيَاقَهُ بما جدَّدَهُ من الجَزَعِ عَلَيْهِ؟

٢ - لَـنَـا وَلِأَهْـلِهِ أَبَـداً قُـلوبٌ تَـلاَقَى في جُسُـومٍ مـا تَـلاَقَـا

ثُمَّ قالَ: لنا وللرَّاحلينَ من أَهْلِهِ قُلُوبٌ تَتَلاقَى أبداً، بما هي عليهِ من التَّذَكُّرِ لِسَالِفِ العَهْدِ، والامْتِثَالِ لِأَيَّامِ الوَصْلِ، في أَجْسَادٍ مُتَبَايِنَةٍ[٣]، وأَجْسَامٍ[٤] غَيْرِ مُتَلاقِيةٍ.

٣ - وَمَـا عَـفَـت الـرِّيـاحُ لَـهُ مَحَـلاً عَـفَـاهُ مَـنْ حَـدَا بِهِـمُ وَسَـاقَـا

يقولُ: وما غَيَّرَ آثارَ هذا الرَّبعِ، وَعَفَّى رُسُومَهُ، اختِلافُ الرِّياحِ عَليه، وتَكَرُّرهَا بالهبوبِ فيهِ، وإنما غَيَّرَهُ وعَفَّاهُ، وأَخْلَقَه وأَبْلاَهُ، مَنْ رَحَلَ بأَهْلِهِ عنهُ، وأَخْرَجَ العَامرينَ لَهُ مِنْهُ.

٤ - فَلَيْتَ هَـوَى الأَحِبَّـةِ كَـانَ عَـدْلاً فَـحَمَّـلَ كُـلَّ قَـلْبٍ مـا أَطَـاقَـا

---

(١) في ر، ف «وأمر له بفرس وجارية، فقال يمدحه».

(٢) كذا في ت، ر، ف وفي ل «بما».

(٣) في ر، ف «متنائية» وفي ت «متنافية».

(٤) في ل «جسوم» وفي ت «أجسام متنافية وأجساد غير متلاقية».

ثُمَّ قالَ: فَلَيْتَ هَوَى الأحبَّةِ الرَّاحلينَ، والأُلاَّفِ المُتَحَمِّلينَ[1]، عَدَلَ في حُكْمِهِ، وأَنْصَفَ من نَفْسِهِ، فَحمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ ما يُطيقُهُ من الحُبِّ، وأَوْدَعَهُ ما يَسْتَقِلُّ به من الصَّبَابَةِ والوَجْدِ

٥ - نَظَرْتُ إليهمُ وَالعَيْنُ شَكْرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقَا

العَيْنُ الشَّكْرَى: المُمْتلِئَةُ بالدَّمعِ، والمآقُ: طَرَفُ العَيْنِ مما يلي الأَنْفَ، وهو مَخْرَجُ الدَّمعِ مِن العَيْنِ[2].

فيقولُ[3]: نَظَرْتُ إليهم عِنْدَ رِحْلَتِهم[4]، والعَيْنُ مُمْتَلِئَةٌ بِدَمْعِها، فَصَارَتْ كلُّها مَخْرَجاً للدَّمعِ، لِكَثْرَتِهِ فيها[5]، وشدَّةِ انْحِدَارِهِ[6] منها. يُخْبِرُ عَنْ غَلَبَةِ البُكَاءِ لَهُ.

٦ - وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ البَدْرُ فِيهِمْ وأَعْطَانِي من السَّقَمِ المُحَاقَا

ثُمَّ قالَ: وقَدْ أَخَذَ البَدْرُ الرَّاحِلُ فيهم حَالَ التَّمامِ في حُسْنِهِ، والكَمَالِ في جَمَالِهِ، وأَعْطَاني المُحَاقَ من السَّقَمِ عليهِ، والنُّحولِ من الوَجْدِ بِهِ، والتضاؤلِ بَعْدَ الفَقْدِ لَهُ. وطَابَقَ بَيْنَ المُحاقِ والتَّمامِ، وذلكَ من بَديعِ الشِّعْرِ.

٧ - وَبَيْنَ الفَرْعِ والقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَزِمَّتِهَا النِّيَاقَا

---

(١) في ر، ف «والمتحملين».

(٢) «العين... من العين» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «رحيلهم».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فيه».

(٦) في ر، ف، ت «الحرارة».

الفَرْعُ: الشَّعْرُ، والنِّيَاقُ: جَمْعُ نَاقَةٍ[1].

فيقولُ: وبَيْنَ[2] الفَرعِ والقدمَينِ نُورٌ، من ضِياءِ وَجْهِ مَنْ أُحِبُّهُ[3]، وتَلأْلُوءِ حُسْنِه، يَقُودُ النِّيَاقَ بلا أَزِمَّةٍ[4]، ويَحْدُوها على السَّيْرِ[5] بلا مَؤُونَةٍ.

٨ ـ وَطَـرْفٌ إن سَقَى العُشَّـاقَ كَـأْسَـاً بِهَـا نَـقْصٌ سَقَـانِيـهـا دِهَـاقَـا

الدِّهَاقُ: المُمْتَلِئَةُ[6].

وفيـها هُنَالِـك مِنهُ، لحظٌ فَـاتِرٌ، وطَـرْفٌ سَـاحِـرٌ، إذا سَقَى العشَّـاقَ المُغْرَمِينَ[7] بهِ كَأْسَاً من خَمْرةٍ ناقِصَةٍ، سَقَانِيْهَا دِهَاقَاً مُتْرَعَةً.

٩ ـ وَخَصْرٌ تَـثْبُـتُ الأَبْـصَـارُ فـيـه كَـأَنَّ عَـلَيْـهِ مِنْ حَـدَقٍ نِـطَاقَـا

وفيها هُنَالك أَيْضاً، خَصْرٌ لَطِيفٌ، تَثْبُتُ الأَبْصَارُ فيه، وتَتَرَدَّدُ لِحُسْنِهِ عليه، ويَكْثُرُ الإعجابُ منها بـه، حَتَّى كَأَنَّ عليـه منها[8] نِـطَاقَاً[9] يَشْمَلُهُ، ووِشَاحاً يَعُمُّه.

١٠ ـ سَـلِي عَنْ سِـيْرَتِي فَـرَسِي وسَيْفِي[10] وَرُمحِـي والهَمَـلَّعَـةَ الـدِّفَـاقَـا

الهَمَلَّعَةُ: النَّاقَةُ الخفيفةُ القَوِيَّةُ، والدِّفاقُ: السَّريعةُ[11]

---

(١) «الفرع... ناقة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال بين».

(٣) في ر، ف «نور من ضياء وجهه».

(٤) الأَزِمَّة: جمع زِمَامٍ وهو ما يشد به البعير من السيور.

(٥) في ر، ف «المسير».

(٦) «الدهاق: الممتلئة» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «والمغرمين».

(٨) ساقطة من ر، ف.

(٩) النطاق: ما يشدُّ به وسط الرجل أو المرأة.

(١٠) في ر، ف «رمحي وسيفي».

(١١) «الهملعة... السريعة» زيادة في ل.

فيقولُ[1] للَّتي يُخَاطِبُها: سَلِي عن سِيْرَتِي في الإقدامِ على الأهوالِ، والقُوَّةِ على الأَسْفَارِ، والنَّفَاذِ[2] في الفَلَواتِ، فَرَسِي الذي يَحْمِلُني في الحَرْبِ، وسَيْفي ورُمْحِي اللَّذَيْنِ أَبْطِشُ بهما في الطَّعنِ والضَّربِ، ونَاقَتِي التي تَحْمِلُني في الأَسْفارِ، وأَقْطَعُ عليها الفَلَواتِ بالارتِحَالِ[3].

١١ ـ تَـرَكْنَـا مِنْ وَرَاءِ العِيْسِ نَـجْـداً وَنَـكَّبْـنَـا الـسَّـمَـاوَةَ والـعِـراقَـا

السَّماوةُ: فَلاَةٌ بَيْنَ الشَّامِ والعِراقِ[4].

ثُمَّ قالَ: تَرَكْنَا نَجْدَاً من وَرَاءِ رَوَاحِلِنا، ونَكَّبْنَا عن السَّماوةِ والعراقِ في سَفَرِنا، قَاصِدينَ سَيفَ الدَّولةِ في مَوْضِعِهِ من الشَّامِ، ومُسْتَقَرِّهِ من تلكَ الأَرْضِ.

١٢ ـ فَـمَا زَالَـتْ تَـرَى والـلَّيْـلُ دَاجٍ لِسَيْـفِ الـدَّوْلَـةِ المَلِكِ ائْـتِـلاَقَـا

الائتِلاقُ: التَّلألؤُ واللَّمَعَانُ[5].

يَقُولُ[6]: فما زالَتْ عِيْسُنا عند دُجُوِّ لَيْلِها، واعتِراضِ الظَّلاَمِ لها، تَرَى لِسَيْفِ الدَّولةِ المَلِكِ ضِيَاءً يَقْتَادُها، ونُوراً يَسْطَعُ[7] لها، إشَارةً إلى ما تَظَاهَرَ في أَرْضِهِ من فَضْلِهِ، وأَشْرَقَ فيها من أَنْوارِ مَجْدِهِ.

١٣ ـ أَدِلَّـتُـهَـا رِيَـاحُ المِـسْـكِ مِـنْـهُ إذا فَتَحَتْ مَنَـاخِـرَهـا انْتِشَـاقَـا

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «والبعاد».

(٣) «بالارتحال» زيادة في ل.

(٤) «السماوة... والعراق» زيادة في ل.

(٥) «الائتلاق... اللمعان» زيادة في ل.

(٦) «يقول» زيادة في ر، ف.

(٧) في ف «يستطلع» وهو تحريف.

يَقُولُ: أَدِلَّةُ عِيْسِنا إليه، تَضَوُّعُ المِسْكِ لِفُوْحِهِ[1]، وسُطُوعُ روائحِ طِيْبِهِ، فإذا فَتَحَتْ مَنَاخِرَها، قَادَها اسْتِنْشَاقُ ذلكَ الفَوْحِ نَحْوَهُ، وعَرفَتْ بِتَضَوُّعِهِ أَرْضَهُ.

١٤ ـ أَبَاحَكِ أَيُّها الْوَحْشُ الأَعَادِي [2] فَلِمْ تَتَعَرَّضِينَ لَه الرِّفَاقَا

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً لِلْوَحشِ المُعْتَرِضَةِ لَهُ: أَبَاحَكِ سَيْفُ الدَّولةِ، أَيُّها الوَحْشُ، الأَعْداءَ، بوقائِعِهِ فيهم، وقَتْلِهِ لهم، وإلحامِكِ أَجْسادَهُم، فَما لَكِ، واعْتِرَاضَ الرِّفاقِ التي تَقْصِدُهُ، والرَّكائِبِ التي تَعْتَمِدُهُ، وأَشَارَ بهذا القَوْلِ إلى كَثْرَةِ إيقَاعِهِ بِمَنْ يُخَالِفُهُ، وشدَّةِ اسْتِظْهارِه على من يُعَارِضُه.

١٥ ـ وَلَوْ تَبِعْتِ مَا طَرَحَتْ قَنَاهُ لَكَفَّكِ عَنْ رَذَايَانَا وَعَاقَا

الرَّذَايا: جَمْعُ رَذِيَّةٍ، وهي ما هَزُلَ من الإبلِ، وانقطعَ فلم يَسْتَطِعْ بَرَاحاً[3].

فيقولُ[4] للوَحْشِ المُعْتَرِضَةِ له: لو تَتَبَّعتِ ما طَرَحَتْ لكِ قَنَاهُ، من قَتْلَى وقائِعِهِ، وصَرْعَى مَلاَحِمِهِ، لأَغْنَاكِ ذلِكَ[5] عن طَلَبِ رَذَايَانا والارْتِقَابِ لها، ولَعاقَكِ ذلكَ عنها، ومَنَعَكِ بِكَثْرَتِهِ[6] منها.

١٦ ـ وَلَوْ سِرْنَا إِلَيه في طَرِيقٍ مِنَ النِّيرانِ لم نَخَفِ احْتِرَاقَا

---

(١) في ر، ف «يفوحه».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «أباحَ الوحشَ ـ يا وحشُ ـ الأعادي».
قال ابن جني: «وكان ربما أنشده:
أباحك أيها الوحش الأعادي.
والمعنيان سواء.
(النظام ج ٢ ورقة ٢٠٥).

(٣) «الرذايا... براحا» زيادة في ل. والبَرْحُ: الشِّدَّةُ، وبَرِحَ مكانه: زال عنه.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «لكثرته».

(٦) في ر، ف «ذاك» وفي ت «كلفك ذلك».

ثُمَّ قالَ: ولَسْنَا نَرْهَبُ أَيُّها الوَحْشُ سَطْوَتَكِ، ولا نَخافُ على رَكَائِبِنا[1] مَضَرَّتَكِ؛ لأن ما[2] يُحيطُ بنا من سَعَادةِ سَيْفِ الدَّولةِ مَقْصُودِنا[3] يَكُفُّكِ، وما نَتَقَلَّبُ[4] فيه من إِقْبالِهِ يَعُوقُكِ، ولو سَلَكْنَا إليه طُرُقاً[5] من النِّيرَانِ، لَعَادَتْ بِبَرَكَتِهِ بَرْداً وسَلاَماً لا نَحْذَرُها، وأَمْناً وعافِيَةً لا نَتَأَلَّمُها[6].

١٧ ـ إِمَـامُ لـلأَئِـمَّـةِ مـن قُـرَيْشٍ إلى مَـن يَتَّـقُـونَ لَـهُ شِقَـاقَـا[7]

إمامُ القَومِ: مُتَقَدِّمُهم، والشِّقَاقُ: الخِلاَفُ[8].

فيقولُ[9]: إنَّ[10] سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِجَلالَةِ[11] قَدْرِهِ، وارتفاعِ أَمْرِهِ، يَتَّخِذُهُ الخُلَفَاءُ من قُرَيْشٍ، وَهُمْ أَئِمَّةُ النَّاسِ، إمَامَاً في حُروبِهم، يُقَدِّمونَهُ إلى من يَحْذَرُونَ نِفَاقَهُ[12]، وَيَتَوَقَّعُونَ خِلاَفَه، فَيَذِلُّ لهم عِزُّهُ، ويَسْهُلُ عليهم صَعْبُهُ.

١٨ ـ يَكُـونُ لَهُمْ إذا غَضِبُـوا حُسَـامـاً ولِـلْهَيْـجَـاءِ حِـينَ تَقُـومُ سَـاقَـا

سَاقُ الشَّيءِ: ما قَامَ عليه[13].

---

(١) في ر، ف «رذايانا».

(٢) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فيما».

(٣) في ت «يعودنا».

(٤) في ت «نقلب».

(٥) في ر، ف «طريقاً» وفي ت «في طريق النيران».

(٦) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «تتاملها».

(٧) كذا في ل ورواية الواحدي والتبيان، وفي ر، ف «إمام الأئمة... له نفاقاً» وهي مختلة الوزن.

(٨) «إمام... الخلاف» زيادة في ل.

(٩) في ر «ثم قال».

(١٠) «قال إن» ساقطة من ف.

(١١) في ر، ف «الجلالة» وفي ت «لجلالته».

(١٢) في ت «شقاقه».

(١٣) «ساق... عليه» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: يكونُ لَهُمْ سَيْفاً يَبْطِشونَ به عند غَضَبِهم، وسَاقاً يَعْتَمِدونَ عليها في حَرْبِهم، فَبِمَوْضِعِه يَحْتَمِي[1] سُلْطَانُهُم، وَبِمكانِهِ يَذِلُّ لَهُم أعداؤُهم.

١٩ ـ فلا تَسْتَنْكِرَنَّ لَهُ ابْتِساماً إذَا نَهَقَ المَكَرُّ دَماً وَضاقَا

المَكَرُّ: مَجَالُ الحَرْبِ، وفَهْقُهُ: اتساعُهُ وجريُ الدَّمِ فيه[2]

فيقولُ[3] لِمخاطِبِهِ: فلا تُنْكِرَنَّ اسْتِبْشَارَ سَيْفِ الدَّولةِ بالحَرْبِ، واسْتِسْهَالَهِ[4] لها، وابْتِسَامَهُ عِنْدَ تَضَايُقِ مَجَالِها، وانْسِفَاكِ الدَّمِ في مَكَرِّها، فهو مُتَيَقِّنٌ لِغَلَبَةِ مَنْ نَازَعَه، والظُّهورِ على مَنْ نَاصَبَهُ.

٢٠ ـ فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ المُهَجَ العَوَالي وَحَمَّلَ هَمَّهُ الخَيْلَ العِتَاقَا

يَقولُ[5] فقد ضَمِنَتْ لَهُ رِمَاحُهُ مُهَجَ أَعْدَائِهِ[6]، وتَكَفَّلَ لَهُ بما[7] يَبْغِيهِ منهم، عِتَاقُ خَيْلِهِ، وأَبْطالُ جَيْشِهِ.

٢١ ـ إذَا أَنْعَلْنَ في آثَارِ قَوْمٍ وإنْ بَعِدوا جَعَلْنَهُمُ طِرَاقَا

إنْعَالُ الخيلِ: تَصْفِيحُ أَيْديها بالحديدِ، والطِّرَاقُ: تَضْعِيفُ جِلْدِ النَّعلِ[8].

ثُمَّ قَالَ: إذا أُنْعِلتْ خَيْلُهُ في آثارِ قَوْمٍ، وحَاوَلَ غَزْوَهم، وقَصَدَ أَرْضَهُمْ، وإن بَعُدوا بِجُهْدِهم وتحرَّزُوا بطاقَتِهم، أَسْرَعَتْ تلكَ الخيلُ في

---

(١) في ت «يقوى».

(٢) «المكر... فيه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «واستهلاله».

(٥) زاد في ر، ف «يقول».

(٦) في ر، ف «أعاديه».

(٧) في ل «ما».

(٨) «إنعال... النعل» زيادة في ل.

قَتْلِهم، واسْتِبَاحَةِ حَرِيْمِهِم[1]، وغادَرتْ[2] أجسادَهُمْ بَعْدَ القَتْلِ كالطِّرَاقِ، يَدُوسُها الحَافِرُ، ويَطَؤُها القَدَمُ[3].

٢٢ - وإن نَقَعَ الصَّرِيخُ إلى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دِقَاقَا

النَّقعُ: ارتفاعُ الصَّوْتِ، والصَّريخُ: المُسْتَغِيثُ، والمؤَلَّلَةُ: المُحَدَّدَةُ، والدِّقاقُ: الرِّقاقُ[4].

فيقولُ[5]: «وإن نَقَعَ الصَّريخُ» أي[6]: ارتفعَ الصوتُ باسْتِغاثَةٍ إلى مَكانٍ قد طَرَقَهُ عَدُوٌّ، أصَاخَتْ خَيْلُهُ إلى ذلكَ الصوتِ إصاخَةَ اسْتِشْعَارٍ لِلْحَذَرِ، وَتَسرُّعٍ إلى الجَرْيِ. والخَيْلُ تُحَدَّدُ[7] آذَانُها عِنْدَ مِثْلِ هذه الحَالِ. فَأَشَارَ[8] بهذا الوَصْفِ إلى تَبَادُرِ هذه الخَيْلِ نَحْوَ الصَّريخِ، وَدَلَّ بانْتِصَابِ آذانِها على حَذَرِها، وَبِدِقَّتِها على كَرَمِهَا.

٢٣ - فَكَانَ الطَّعْنُ بَيْنَهُمَا جَوَاباً وَكَانَ اللَّبْثُ[9] بَيْنَهُمَا فُوَاقَا

الفُواقُ: ما بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ[10]

ثُمَّ قالَ: فكانَ الطَّعنُ بَيْنَهما جَواباً، يُريدُ: بَيْنَ هذه الخيلِ وبَيْنَ العَدوِّ الطَّارِقِ، يَعْنِي أنَّ جوابَ ذلكَ الصَّرِيخِ، كَانَ بِطَعْنِ[11] هذه الخيلِ في نُحورِ

---

(١) في ت «واستباحت حرمهم».

(٢) في ت «وعادت».

(٣) في ت «تدوسها الخوافر، وتطؤها الأقدام».

(٤) «النقع... الرقاق» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) «نقع الصريخ أي:» زيادة في ر، ف.

(٧) في ف «تعدد».

(٨) في ر، ف «وأشار».

(٩) في ر، ف «الليث» وهو تصحيف.

(١٠) «الفواق... الحلبتين» زيادة في ل.

(١١) في ف، ت «يطعن».

الطَّارِقِينَ، وكانَ اللَّبْثُ بَيْنَهما فُوَاقاً، يريدُ: أَنَّها[1] لم تُلْبِثِ العَدوَّ إلاَّ فُوَاقَ نَاقَةٍ، واسْتَبَانَ ظَفَرُها، فَفَرَّ[2] الأَعْدَاءُ عنها ناكِصِينَ، وَوَلُّوا مُنْهَزِمين.

٢٤ ـ مُلاَقِيَةٌ نَواصِيهَا اَلمَنَايَا مُعَاوِدَةٌ[3] فَوَارِسَهَا العِنَاقَا

ثُمَّ قالَ: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ تَلْقَى نَواصِيها اَلمَنايا مُقْدِمَةً عليها، وتُواجِهُهَا مُتَسرِّعةً[4] إليها، وتَعْتَادُ فَوارسُها عِناقَ الأَقْرَانِ في الحَرْبِ، وتلكَ غايَةُ الصَّبرِ، وأبعدُ أَوْصَافِ البَأْسِ؛ لأَنَّ الحَرْبَ أَوَّلُها المُرَامَاةُ، ثُمَّ المُطَاعَنَةُ، ثُمَّ المُجَالَدَةُ ثُمَّ المُعَانَقَةُ.

٢٥ ـ تَبِيْتُ رِمَاحُهُ فَوْقَ الهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ العَجَاجُ لَها رِوَاقَا

هوادي الخيلِ: أَعْنَاقُهَا[5].

فيقولُ[6]: تَبيتُ رِماحُ سَيفِ الدَّولةِ مُعَرَّضَةً على أَعْناقِ خَيْلِهِ في سُرَاهُ إلى عَدوِّهِ، والعَرَبُ تُعَرِّضُ الرِّماحَ على أعناقِ الخيلِ في السَّيْرِ، وتُسَدِّدُها[7] في الحَرْبِ، فَيَقُولُ: إنَّهُ يَبِيْتُ وهذهِ حالُ خَيْلِهِ، وما تُثِيرُهُ[8] من الغُبَارِ

---

(١) في ل «أنه».

(٢) في ت «بفرّ».

(٣) «ملاقيةٌ... معاودةٌ» بالرفع على إضمار الابتداء. وفي رواية الواحدي والعكبري «ملاقيةً... مُعَوِّدَةً» بالنصب على الحال من الخيل والعامل فيها المصدر في قوله «وكان الطعن...» (انظر ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي ص ٤٣٨).
قال المبارك بن أحمد مفضلاً رواية الرفع: «الذي رويته وجدته في غير نسخة ملاقيةٌ ومعاودةٌ، بالرفع على أنهما خبرا مبتدئين محذوفين، وهو أجود، لبعد العامل فيهما إذا كانا حالين» (النظام ج ٢ ورقة ٢٠٦).

(٤) في ت «بوجهها مسرعة».

(٥) «هوادي الخيل: أعناقها» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ل «وتشددها».

(٨) في ف «وما تثير».

والعَجَاج كالرِّواقِ عَلَيْها. يُشيرُ إلى أنَّه يَسْرِي إلى أعَاديه[1]، ويَدَّرِعُ الليلَ نَحْوَهُمْ.

٢٦ - تَمِيلُ كَأَنَّ فِي الأَبْطَالِ خَمْراً عُلِلْنَ بِهِ[2] اصْطِبَاحاً واغْتِبَاقا

الخَمْرُ والخُمَارُ بِمَعْنًى، يُرَادُ بها بَقِيَّةُ السُّكرِ، والعَلُّ: إعادَةُ الشُّرْبِ[3].

ثُمَّ قالَ: تَميلُ فُرْسانُ تلكَ الخيلِ، كأنَّ بها خُماراً من مُدَاوَمَةِ السَّهَرِ، وغَلَبَةِ النَّومِ، وكأنَّ ذلك الخُمارَ يَتَكَرَّرُ لهم اغتباقاً بَعْدَ اصْطِباحٍ، يُشيرُ بهذا إلى مُلاَزَمَةِ هذهِ الخيلِ لِلْغاراتِ.

٢٧ - تَعَجَّبَتِ الْمُدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكَرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا

ثُمَّ قالَ: تعجَّبَتِ الْمُدَامُ وقَدْ شَرِبَهَا، فَعَجَزَتْ عن إحَالَةِ ذِهْنِهِ، وقصَّرتْ عن مُغَالَبَةِ عَقْلِهِ، واسْتَولى عَلَيْهِ جُودُهُ، فلم يُفْق مِنْ طَرَبِهِ له، ولا صَحَا من ارتِياحِهِ بهِ[4].

٢٨ - أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ العَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتِ الأَمْطَارَ فَاقَا

يقولُ[5]: أَقَامَ الشِّعْرُ يَنْتَظِرُ زمانَ[6] الكرمِ، وأوَانَ العَطَاءِ، فلمَّا ظَهَرَ منهُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ ما فَاقَ الأَمْطَارَ بِكَثْرَتِه، ظَهَرَ شِعْرُ أبي الطَّيِّبِ، فَفَاقَ الشِّعرَ ببراعَتِهِ.

٢٩ - وَزَنَّا قِيمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَّيْنَا القِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا

---

(١) في ت «يسير إلى أعدائه».

(٢) في رواية التبيان «بها»

(٣) «الخمر... الشرب» زيادة في ل.

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ر، ف «زمن».

ثُمَّ قالَ: بَعَثَنا منه إلى سَيْفِ الدَّولةِ ما كافأَ[1] قيمةَ الدَّهماءِ، وهي الفَرَسُ التي أَهْداها إليه. وَوَفَّى بِصَداقِ القَيْنَةِ التي بَعَثَ بها مَعَ الفَرَسِ، فأَشارَ إلى أَنَّه قارَضَ[2] بِشِعْرِهِ جُودَهُ، وكافأَ بِمَدْحِهِ هِبَتَهُ.

٣٠ ـ وَحَاشَى لارتِيَاحِكَ أَنْ يُبَارَى ... وَلِلْكَرَمِ الَّذي لَكَ أن يُباقَى

حَاشَى: بِمَعْنَى التَّعويذُ والتَّنْزِيهُ، والارتياحُ: الطَّرَبُ لِفِعْلِ الجميلِ، والمُباقاةُ: المُداوَمَةُ[3].

فيقولُ[4]، مُعْتَذِراً مِمّا قدَّمَهُ في قوله هذا[5]؛ إنَّه كافأَ جُودَ سَيْفِ الدَّولةِ بِشِعْرِه: وأُعِيذُ ارتِيَاحَكَ من أن يُجَارَى[6]، ويُمَاثَلَ، ويُسَاوَى ويُشَاكَلَ، وأعيذُ كَرَمَكَ من أن يُبَاقِيَهُ شَاكِرٌ بِشُكْرِهِ، أو يَسْتَوْفِيَهُ شَاعِرٌ بِشِعْرِهِ.

٣١ ـ ولَكِنَّا نُدَاعِبُ مِنْكَ قَرْماً ... تَرَاجَعَتِ القُرومُ لَه حِقَاقَا

القَرْمُ: الصَّعبُ من الإبلِ، والحِقَاقُ: جَمْعُ حِقَّةٍ، وهي التي اسْتَحقَّتْ أن يُحْمَلَ عَلَيْهَا من النَّوْقِ[7].

يَقولُ[8]: ولكِنَّا فيما قَدَّمْنَاهُ من ذلك مُفَاكهونَ لكَ، مُداعِبونَ منك، لِمِلكٍ قَرْمٍ، عَادَتْ له قُرُومُ المُلُوكِ وصِعَابُها كالحِقَاقِ، تَخْضَعُ لِأَمْرِهِ، وتُسْلِمُ لِحُكْمِهِ. وجَرَى في القُرومِ والحِقَاقِ على سبيلِ الاسْتِعارَةِ.

٣٢ ـ فَتًى لا تَسْلُبُ القَتْلَى يَدَاهُ ... وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الأَسْرَى الوَثَاقَا

---

(١) في ر، ف «كفاء».

(٢) في ت «قايض».

(٣) «حاشى... المداومة» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) «هذا» زيادة في ر، ف

(٦) في كذا في ل، ر، ف، وفي ت «يجازى».

(٧) «القرم... النوق» زيادة في ل.

(٨) زيادة في ر، ف.

يقولُ[1]: إنَّ سَيْفَ الدَّولَةِ يَقْتُلُ الأَقْرَانَ، ولا يَسْلُبُهُمْ، ويُطْلِقُ الأَسْرَى ولا يُوثِقُهم، إيثاراً للإبقاءِ عِنْدَ الغَلَبَةِ، واحْتِمَالاً على العَفوِ عندَ المَقْدِرَةِ.

٣٣ - وَلَمْ تَـأْتِ الجَـمِـيـلَ إليَّ سَـهْـواً ولم أَظْـفَـرْ بِـهِ مِـنْـكَ اسْـتِـرَاقـا

ثُمَّ قالَ[2]: ولم تَأْتِ ما أَوْلَيْتَنِيهِ من الجَميلِ ساهياً في فِعْلِكَ[3]، ولا مُضَيِّعاً في فَضْلِك، ولا ظَفِرْتُ به منكَ ظَفَرَ المُسْتَرِقِ، ولا قَبِلْتُهُ[4] قَبُولَ المُخْتَلِسِ، ولكنِّي كُنْتُ أَهْلاً لما أَسْدَيْتَهُ، وكُنْتَ مُصِيباً فيما أَوْلَيْتَهُ.

٣٤ - فَـأَبْـلِغْ حَـاسِـدِيَّ عَـلَيْـكَ أَنِّي كَـبَـا بَـرْقٌ يُحَـاوِلُ بي لِحَـاقَـا

كَبَا الجاري: إذا سَقَطَ لِوَجْهِهِ[5].

فيقولُ[6]: فَأَبْلِغْ من يَحْسُدُني عَلَيْكَ، أَني السَّابِقُ الذي لا يُدْرَكُ، والمُتَقَدِّمُ[7] الذي لا يُلْحَقُ، وأَن البَرْقَ لو سَابَقَني لَكَبَا وقَصَّرَ، وعَجَزَ وتَأَخَّرَ.

٣٥ - وَهَـلْ تُغْنِي الـرَّسَـائِـلُ في عَـدوٍّ إذا مـا لم يَـكُـنَّ ظُـبَـاً رِقَـاقـا

ثُمَّ قالَ: والرَّسائِلُ في العَدوِّ غَيْرُ مُغْنِيَةٍ، والأَقْوَالُ فيه غَيْرُ مُجْزِيَةٍ[8]، إذا[9] لم تَكُنِ الرَّسائِلُ سُيوفاً ماضِيَةً، والزَّواجِرُ أَفْعَالاً وَاقِعَةً.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) «ثم قال» ساقطة من ف.

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ت «ولا قبله».

(٥) «كبا... لوجهه» زيادة من ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ت «المقدم».

(٨) في ت «مجدية».

(٩) زاد في ر، ف «إذا ما لم»

٣٦ ـ إذَا مَـا النَّـاسُ جَـرَّبَهُـمْ لَـبِـيـبٌ فَـإنِّي قَـدْ أَكَـلْتُـهُـمُ وَذَاقَـا

يَقُولُ[١]: إذا ما النَّاسُ جَرَّبهم لَبيبٌ، عَالِمٌ بأُمورِهم، خَبيرٌ بأَحْوَالِهم، فَمَوْقِعُ ذلكَ مني على ثَبَاتِ مَعْرِفَتِه، مَوْقِعَ الذَّائِقِ من الآكلِ، والمُتَطَرِّفِ[٢] من المُسْتَوْعِبِ[٣]، لإحَاطَتِي بِمَعْرِفَتِهم، وتمكُّني في اختِبارِهِم[٤].

٣٧ ـ فَـلَـمْ أَرَ وُدَّهُـمْ إلاَّ خِـدَاعـاً ولم أَرَ دِيْـنَهُـمْ إلا نِـفَـاقـا

قَالَ[٥]، فَلَمْ أَرَ ما يَتَجازَوْنَ[٦] به من الوُدِّ إلاَّ خِدَاعاً ومُكَادَبةً، وما يُبْدُونَهُ من التَّدَيُّن الا نِفَاقاً ومُظَاهَرَةً.

٣٨ ـ يُـقَصِّر عَـنْ يَمِـيـنِـكَ كُـلُّ بَـحْـرٍ وَعَـمَّا لم تُـلِقْـهُ مـا أَلاَقَـا

لاقَ الشيءُ بالشيءِ: إذا لَصِقَ به وامتَسَك فيه[٧].

فيقولُ[٨]: يُقَصِّرُ كُلُّ بَحْرٍ عن يَمِيْنِك، لِعظمِ جُودِكَ، واتِّساعِ كَرَمِكَ، ويَقِلُّ ما يُمْسِكُهُ البحرُ ويَجْمَعُهُ عِنْدَ ما تَهَبُهُ وَتَبْذُلُه.

٣٩ ـ وَلَـوْلاَ قُـدْرَةُ الخَـلاَّقِ قُـلْنَـا أَعَمْـداً كَـانَ خَلْقُـكَ أَمْ وِفَـاقـا

ثُمَّ قَالَ: ولولا اتِّساعُ قُدْرةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ[٩]، لَقُلْنَا لِما اجتَمَعَ فيكَ من

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) المتطرف: الذي لا يثبت على أمر.

(٣) في ر، ف «المطرف من الموعب».

(٤) في ر، ف «اختيارهم» وهو تصحيف.

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «يتجاوزون» وفي ت «يتجاورون».

(٧) لاق... فيه» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم قال».

(٩) في ر، ف «الله تعالى».

ضُروبِ الخيرِ، وتَكامَلَ لَكَ من صُنوفِ الفَضْلِ، أَتَيَسَّرَ هذا أَمْ قُصِدَ، واتَّفَقَ أَم اعْتُمِدَ، ولكنَّا لا نَقُولُ ذلك لاتِّساعِ القُدْرَةِ عليه.

٤٠ ـ فَلا حَطَّتْ لكَ الهَيْجاءُ سَرْجَاً ولا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنيا فِرَاقا

ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَقَالَ: فلا حَطَّتِ الهَيْجَاءُ سَرْجَكَ، بِفَقْدِهَا لَكَ، ولا زِلْتَ مَالِكاً لِتَدْبِيرِها[1]، ولا ذَاقَتِ الدُّنيا فِرَاقَكَ، وبَقِيْتَ مُصَرِّفاً لِأُمُورِها.

(١) في ف «لتدبيرها».

وقالَ يَمْدَحُهُ، وَيَرْثي أَبَا وائلٍ تَغْلبَ بنِ داودَ بنِ حَمْدانَ، أَنْشَدها إِيَّاهُ في جُمادَى الأُولى من سَنَةِ ثَمانٍ وثلاثينَ وثَلاثِمائةٍ.

١ ـ مَـا سَـدِكَـتْ عِـلَّةٌ بِمَـوْرُودِ[١] أَكْـرَمَ مِـنْ تَـغْـلِبَ بـنِ دَاودِ

السَّدِكُ: المُولَعُ بالشَّيءِ[٢].

فَيقولُ: ما وَلِعتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ نَالَتْهُ، وعَليلٍ دَاوَمَتْهُ، أَكْرَمَ من هذا الهالِكِ تَغْلبَ بنِ دَاودَ.

٢ ـ يَـأْنَفُ[٣] من مِيْتَـةِ الفِـرَاشِ وَقَـدْ حَـلَّ بِـهِ أَصْـدَقُ المَـوَاعِـيـدِ

ثُمَّ قالَ: يأْنَفُ من أَنْ يَموتَ على فِرَاشِهِ، وأَن يَهْلِكَ حَتْفَ أَنْفِهِ[٤]، وقد حَلَّ بِهِ منَ الموتِ ما لا يَدْفَعُهُ بأَنَفَتِهِ، ولا يَرُدُّهُ بِشَجَاعَتِهِ؛ لِأَنَّه أَصدقُ مَوْعودٍ، وحَتْمٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ[٥].

٣ ـ وَمِـثْـلُهُ أَنْـكَـرَ المَـمَـاتَ عَـلَى غَـيْرِ سُرُوجِ السَّـوَابِـحِ القُـودِ

السَّوابحُ في الخَيْلِ: التي تَمُدُّ أَيْدِيَها في الجَرْيِ، والقُودُ: الطِّوالُ الأَعْنَاقِ، واحدُها أَقْوَدُ[٦].

---

(١) في رواية ابن جني «المورود» أيضاً وهو المحموم وفي رواية الواحدي «بمولود».

(٢) «السَّدِك: المولع بالشيء» زيادة في ل.

(٣) في ف «يألف».

(٤) هَلَكَ حَتْفَ أَنْفِهِ: مات على فراشه من غير قتلٍ ولا ضرب ولا غرق، وخص الأنف؛ لأنه أراد أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نَفَسِهِ.

(٥) «حتم غير مردود» زيادة في ل.

(٦) «السوابح... أقود» زيادة في ل.

فيقُولُ[1]: ومِثلُ أبي وائلٍ من المُمارِسين للحَرْبِ، والمتَحقِّقينَ بها[2]، والمُقْدِمينَ[3] على شَدَائِدِها، أنكَرَ الموتَ على غَيْرِ سُروجِ الخَيْلِ[4] السَّوابحِ في طِرادِها، الدَّالَّةِ على الكَرَمِ بِقَوْدِها وحُسنِ خُلُقِها[5].

٤ - بَعْدَ عِثَارِ القَنَا بِلَبَّتِهِ وَضَرْبِهِ أَرؤُسَ الصَّنَادِيدِ

الصَّنَاديدُ: الملوكُ[6].

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: بعد اسْتِهْدَافِهِ للرِّماحِ، وتَعَثُّرِها بِلَبَّتِهِ[7]، واعتِصَامِهِ منها بِحَصَانَةِ سِلاحِهِ، وضَرْبِهِ رؤوسَ الملوكِ في وقَائِعِه، وإقْدَامِهِ عَلَيْهِم في مَلاحِمِهِ.

٥ - وَخَوْضِهِ غَمْرَ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلذِّمْرِ فيها فُؤَادُ رِعْدِيدِ

الغَمْرُ: مُجْتَمعُ الماءِ، فاسْتَعَارَ ذلكَ في الحَرْبِ، والذِّمْرُ: الشُّجاعُ، والرِّعْديدُ: الجَبَانُ[8].

ثُمَّ قالَ[9]: وبَعْدَ خَوْضِهِ من الحربِ أشدَّ مواضِعِها، واقتِحامِهِ على مُجْتَمعِ مَهَالِكِها، حيثُ يكونُ قلبُ الشُّجاعِ الجَرِيءِ، كَقَلْبِ الجَبَانِ الضَّعِيفِ، أَصَابَهُ[10] الموتُ وادِعاً في حَالِهِ، واحتَرَمَهُ آمِناً بَيْنَ أَهْلِهِ.

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) في ر، ف «لها».

(٣) في ر، ف «المتقدمين».

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ر، ف «الدالة على العتق بحسن خلقها».

(٦) «الصناديد: الملوك» زيادة في ل.

(٧) اللَّبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٨) «الغمر... الجبان» زيادة في ل.

(٩) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «أطاف به».

٦ ـ فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّنَا صُبُرٌ وإن بَكَيْنَا فَغَيْرُ مَرْدُودِ

يقولُ[١]: فإن صَبَرْنَا على هذا المُصَابِ، فنحنُ مُتَقَدِّمونَ في الصَّبْرِ، مُسْتَقِلُّونَ بِمُؤْلِمِ الرُّزْءِ، وإن بَكَيْنَا، فَغَيْرُ مَرْدُودٍ مَنْ نَبْكيه، ولا مَرْجُوٌّ[٢] مَنْ نَحْزَنُ عليه.

٧ ـ وَإِنْ جَزِعْنَا لَهُ فَلاَ عَجَبٌ ذَا الجَزْرُ في البَحْرِ غَيْرُ مَعْهُودِ

ثُمَّ قالَ: وإنْ جَزِعْنَا على هَذَا المَفْقُودِ، فلا عَجَبٌ في ذلك، فَفَقْدُهُ جَليلٌ أَمرُهُ، والمُصَابُ بِهِ لم يُعْهَدْ مِثْلُهُ. وضَرَبَ بالجَزْرِ الذي يَنْتَقِصُ البَحْرَ مَثَلاً[٣] في هذا الرُّزْءِ، وكَنَى به عن عَظيمِ هذا الخَطَبِ.

٨ ـ أَيْنَ الهِبَاتُ التي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ والمَوَاحِيدِ

الزَّرافاتُ: الجَماعاتُ، والمواحِيْدُ: الأفرادُ واحِدُهَا مَوْحَدٌ[٤].

فيقولُ[٥]: أينَ كَرَمُ المَفْقُودِ، وهِبَاتُهُ التي كانت تَعُمُّ وَتَخُصُّ، وتَنَالُ الجماعاتِ فَتَعُمُّهُمْ[٦]. والآحادَ فَتَغْمُرُهُم[٧]. ؟

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «وغير موجود».
(٣) في ل «وضرب بجزر البحر مثلاً».
(٤) «الزرافات... موحد» زيادة في ل.
(٥) في ر، ف «ثم قال».
(٦) في ر، ف «فتقنعهم».
(٧) في ر، ف «فتعمهم».

٩ - سَالِمُ أهلِ الوِدَادِ بَعْدَهُمُ يَسْلَمُ لِلحُزْنِ لا لِتَخْلِيدِ

ثُمَّ قالَ: سَالِمُ أهلِ الوِدادِ[١] بعدَ من يَفْقِدُونَهُ مِنْهُمْ، إنما يَسْلَمُ للحُزْنِ والهمِّ[٢] والتَّنْغِيصِ والألمِ، ثُمَّ الموتُ مآلُهم، والخُلودُ مَمْنوعٌ منهم.

١٠ - فَمَا تُرَجِّي النُّفُوسُ مِنْ زَمَنٍ أحْمَدُ حَالَيْهِ غَيْرُ مَحْمُودِ

ثُمَّ قالَ[٣]: فماذا تُرَجِّيه النفوسُ من دَهْرٍ[٤] غَشُومٍ، مُتَعَسِّفٍ ظلومٍ[٥]، أحمد حَالَيْهِ لِلمُتَّمَتِعِ[٦] بالحَيَاةِ فيه مذمومٌ مُنَكَّدٌ[٧]، مَكْروهٌ مُنَغَّصٌ، بَعْدَ[٨] حَتْفٍ يَرْصُدُهُ، وحَمِيمٍ يَفْقِدُهُ.

١١ - إنَّ نُيُوبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي أنَا الَّذي طَالَ عَجْمُها عُودي

نُيوبُ الزَّمانِ: خُطُوبُه، واحِدُها نائِبٌ، والعَجْمُ: العَضُّ والمَضْغُ[٩].

فَيَقولُ[١٠]: إنَّ نُيوبَ[١١] الزَّمانِ تَعْرِفُهُ بتكَرُّرِها عليه، وتَعَرُّضِها كثيراً له، وإنها طَالَ ما عَجَمَتْ عُودَهُ، وَقَصَدَتْ بمكارِهِها نَحْوَه.

---

(١) في ر، ف «المودة».
(٢) في ر، ف «للهم والحزن».
(٣) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «زمان».
(٥) «متعسف ظلوم» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «للمغتر».
(٧) في ر، ف «منكر».
(٨) في ر، ف «بين».
(٩) «نيوب... والمضغ» زيادة في ل.
(١٠) في ر، ف «ثم قال».
(١١) في ر، ف «نائبات».

١٢ ـ وَفِيَّ مـا قَـارَعَ الخُـطُوبَ ومـا أَنْسَـنِي بـالمصـائِبِ[١] السُّـودِ

ثُمَّ قـالَ: وَفِيَّ من الصَّبْرِ والجَلَدِ، والحِفَـاظِ والكَرَمِ، مـا مِثْلُهُ قَارَعَ الخطوبَ فَغَلَبَها، وأَنْسَنِي بِسُودِ المَصَائِبِ[٢] وهَوَّنَها، وحَذَفَ مما ذَكَرْنَاهُ ما في قوَّةِ الكلامِ أن يَدُلَّ عليه[٣].

١٣ ـ مَـا كُنْتَ عَنْـهُ إذا[٤] اسْتَغَـاثَـكَ يـا سَـيفَ بَـنِي[٥] هَـاشِـمٍ بِمَـغْـمُـودِ

وكانَ أبو وائلٍ، هذا المَرْثِيُّ[٦]، قد أَسَرَهُ الخَارجيُّ بالشامِ، واستَغَاثَ سيفَ الدَّولةِ، فأَسْرَى إلى الخارجي فَقَتَلَهُ، واستَنْقَذَ أَبَا وائلٍ، على ما تَقَدَّمَ في القصيدةِ التي أَوَّلُها (إلامَ طَمَاعِيَةُ العاذلِ)[٧]، فيقولُ: مـا كُنْتَ عنهُ إذ اسْتَغَاثَكَ مِنْ أَسْرِ الخارجيِّ، يا سَيْفَ خُلَفَـاءِ[٨] بني هاشمٍ، بِمَغْمُـودٍ عن نَصْرِهِ، ولا بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ[٩]، بَلْ أَصْرَخْتَ دَعْوَتَهُ، وكَشَفْتَ كُرْبَتَهُ.

١٤ ـ يـا أَكْـرَمَ الأَكْـرَمِـينَ يـا أَمْـلَكَ الـ أَمْلاَكِ طُرًّا يـا أَصْيَدَ الصِّيـدِ

الأَصْيَدُ: المَلِكُ المُعَظَّمُ الذي لا يَكَادُ يَلْتَفِتُ لِعِزَّتِهِ[١٠].

ثُمَّ قالَ مُرَفِّعاً بِسيفِ الدَّوْلَةِ؛ يا أَكْرَمَ مَنْ نَذْكُـرُ[١١] من الأَكْرَمِـينَ،

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «آنسني في المصائب».
(٢) في ر، ف «وأنسني بالمصائب السود».
(٣) «وحذف... عليه» زيادة في ر، ف.
(٤) في ر، ف «إذا».
(٥) في ر، ف «في».
(٦) «هذا المرثي» زيادة في ر، ف.
(٧) انظر ص ٤٨ من هذا الشرح
(٨) زيادة في ر، ف.
(٩) ساقطة من ف.
(١٠) في رواية التبيان «ملك الأملاك» وجاءت الإشارة إلى هذه الرواية في هامش ل.
(١١) «الأصيد... لعزته» زيادة في ل.
(١٢) في ر، ف «يذكر».

وأَمْلَكَ المُلوكِ المُعَظَّمينَ، وأَصْيَدَ الصَّيد منهم، وأَعَزَّ ذوي العِزَّةِ فيهم.

١٥ ـ قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشَرَهُ وَقْعُ قَنَا الخَطِّ في اللَّغَادِيدِ

اللَّغادِيْدُ: واحِدِهَا لُغْدودٌ، وهو ما بَيْنَ أَسْفَلِ اللَّحي من آخرِهِ، وَمَوصِلُ العُنُقِ في الرَّأسَ[1].

فيقولُ[2]: قد مَاتَ أبو وَائلٍ قبلَ هذه المِيْتَةِ بالأَسْرِ، فأَحْيَاهُ غِيابُكَ له[3]، وأَنْشَرَهُ[4] إسْرَاعُكَ إليه، وَطَعْنُ فُرْسَانِكَ بِرِمَاحِهم في مَقَاتِلِ الآسِرينَ له. وكَنَى باللغادِيْدِ عَنْ ذلك[5].

١٦ ـ وَرَمْيُكَ اللَّيْلَ بالجُنُودِ وَقَدْ رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَسْهِيدِ

ثُمَّ قالَ: وإنَّكَ رَمَيْتَ اللَّيْلَ سَارِياً إليهم بِجُنُودِكَ، وقد أَسْكَنْتَ السُّهَادَ جُفُونَهم، مُسْرِعاً بهم غَيْرَ مُتَوَقفٍ، ومُقْدِماً غَيْرَ مُتَخَوِّفٍ، فلو دُوفِعَ[6] المَوْتُ لَدافَعْتَهُ عنه على عَادَتِكَ، ولو غُولِبَ لاسْتَنْقَذْتَهُ منه على سَجِيَّتِكَ. وهذه العِبَارَةُ وإنْ لم تَكُنْ في لَفْظِهِ، فَقَدْ دَلَّ عليها بإشارَتِهِ.

١٧ ـ فَصَبَّحَتْهُ[7] رِعَالُها شُزَباً بَيْنَ ثُبَاتٍ إلى عَبَادِيدِ

الرِّعَالُ: قِطَعُ الخَيْلِ، والشُّزَّبُ: الضَّامِرَةُ، والثُّبَاتُ: الجَماعاتُ المُتَآلِفَةُ، واحِدَتُها ثُبَةٌ، والعَبَاديدُ: الجَماعَةُ المُتَفَرِّقَةُ[8].

---

(١) «اللغاديد... الرأس» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) ساقطة من ل.

(٤) «وأنشره» زيادة في ر، ف

(٥) في ر، ف «وأشار باللغاديد إلى ذلك».

(٦) في ر، ف «دفع».

(٧) كذا في ل، وفي ر، ف «فَصَبَّحَتها» وفي رواية الواحدي والتبيان «فَصَبَّحَتْهُمْ».

(٨) «الرعال... المتفرقة» زيادة في ل. والشُّزَّب: جمع شازب

فيقول[1] واصفاً لاستِنْقَاذِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لأبي وائلٍ، وإيقاعِهِ[2] بالخارجيِّ وأَصْحَابِه: فَصَبَّحَتْهُم رِعَالُ الخيلِ ضَامِرَةً، لِطولِ الرَّكضِ[3]، منها كَتَائِبُ[4] ثُبَاتٌ[5] مُجْتَمِعَةٌ، وعَبَادِيدُ مُفْتَرِقَةٌ.

١٨ ـ تَحْمِلُ أَعْمَادُهَا الفِدَاءَ لَهُم فَانْتَقَدوا الضَّرْبَ كالأَخَادِيدِ

الأخاديدُ: حُفَرٌ في الأَرْضِ[6].

ثُمَّ قالَ: تَحْمِلُ[7] إليهم عن الفِدَاءِ الذي طَلَبُوه من أبي وائلٍ، سُيُوفاً مُصْلَتَةً، وَمَنايا حَاضِرَةً، فانتَقَدَ[8] أصحابُ الخارجيِّ عمَّا طَلَبُوه من الفِدَاءِ، ضَرْباً أَبْقَى في أَجْسَادِهم جِرَاحاً كالأَخادِيدِ. يُشِيرُ إلى شِدَّتِهِ وَثَبَاتِهِ وقُوَّتِهِ.

١٩ ـ مَوْقِعُهُ في فَرَاشِ هَامِهِمُ وَرِيحُهُ في مَنَاخِرِ السِّيدِ

الفَراشُ: طرائِقُ في بَاطنِ عَظْمِ الرَّأسِ، والسِّيدُ: الذِّئبُ، وأشارَ به إلى النَّوعِ[9].

ثُمَّ قالَ: مَوْقِعُ ذلك الضَّرْبِ في فَراشِ رُؤوسِهِمْ، وريحُهُ في أنوفِ الذِّئابِ التي تَقْصِدُهم. يُشِيرُ إلى أنَّ هذا الضَّرْبَ لم يُقَصِّرْ بهم عن القَتْلِ[10]،

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) في ر، ف «وإيقاعها».
(٣) «ضامرة لطول الركض» زيادة في ر، ف.
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) زيادة في ر، ف.
(٦) الأخاديد... الأرض» زيادة في ل.
(٧) في ل «وقد حملوا».
(٨) في ر، ف «فما انتقد».
(٩) «الفراش... النوع» زيادة في ل.
(١٠) «أن هذا... القتل» زيادة في ر، ف.

وأنَّ هذهِ الوَقْعَةَ[1] غادَرَتْهُم جَزَرَ السِّباعِ ، تَنْهَشُ أجسادَهُمْ، وتَتَقَوَّتُ لُحُومَهم.

٢٠ ـ أَفْنَى الحَياةَ الَّتي وَهَبْتَ[2] لَهُ في شَرَفٍ شَاكِراً وَتَسْوِيدِ

يقولُ[3]: أَفْنَى أبو وَائِلٍ حياتَهُ، التي كَانَتْ هِبَتَكَ لَهُ، في شَرَفٍ بكَ[4] وتَسْويدٍ منكَ، شَاكِراً لكَ على نِعْمَتِكَ، قائلاً بِفَضْلِ مِنَّتِكَ.

٢١ ـ سَقيمَ جِسْمٍ ، صَحيحَ مَكْرُمَةٍ مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ

المَنْجُودُ: المُغَاثُ، يُقالُ نَجَدْتُ الرَّجُلَ وأَنْجَدْتُهُ: إذا أَغَثْتُهُ، والمَنْجُودُ: المَكْروبُ[5].

سَقِيْمَ الجِسْمِ[6] بما شَكاهُ من عِلَّتِهِ، صَحِيْحَ الكَرَمِ بما استبَانَ[7] من سِيَادَتِهِ، مَنْجُوداً بكَ[8] عِنْدَ[9] كَرْبِهِ، غِيَاثَ مَنْجودٍ يَسْتَغِيثُ به.

٢٢ ـ ثُمَّ غَدَا قِدَّهُ الحِمَامُ وما تَخْلُصُ[10] مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ

القِدُّ: سَيْرٌ من جِلْدٍ غَيْرِ مَدْبوغٍ يُصَفَّدُ به الأسيرُ، والتَّصفيدُ: رَبْطُ اليدِ إلى العُنُقِ[11].

---

(١) «أن هذه الوقعة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «وُهِبَتْ».

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «المنجود... المكروب» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «جسم».

(٧) في ر، ف «أبان».

(٨) ساقطة من ف.

(٩) في ف «عن».

(١٠) في ر، ف «يخلص».

(١١) «القد... العنق» زيادة في ل.

ثُمَّ غـدا المَوْتُ لـه كالقِـدِّ الذي يَمْلِكُ الأَسـيرَ، فلم[1] يُمْكِنْكَ فَكُّـهُ بِقُدْرَتِكَ، ولا تَأْتِّى لك غِيَاثُهُ مَعَ عظيمِ مَمْلَكَتِكَ، والموتُ قِدٌّ[2] لا يَتَخَلَّصُ المَصْفُودُ به، وأَسْرٌ لا يَتَمَكَّنُ غِيَاثُ المُعَرَّض لَهُ. وَجَرَى في هذا الكلامِ على الاستِعارَةِ، وذلك على ما قَدَّمْناهُ[3] من بَديعِ الكلامِ.

٢٣ ـ لا يَـنْقُصُ الهَـالِكُـونَ مِـنْ عَـدَدٍ مِـنْـهُ عَـلِيٌّ مُـضَـيِّـقُ الـبِـيْـدِ

يقولُ[4]: لا يَنْقُصُ الهالِكُونَ وإن جَلَّ أَمْرُهُم، وعَزَّ فَقْدُهم، من عَدَد قومٍ، عليٌّ سَيْفُ الدَّولةِ منهم، وهـو المَلِكُ[5] الذي تَضِيْقُ البِيْـدُ بِجَمْعِهِ، وَتَغَصُّ بِجَيْشِهِ. وكانَ أَبو وائلٍ ابنَ عَمِّه، فَيُرِيدُ[6]: أَنَّ مَوْتَهُ لا يُوجِبُ[7] نَقْصاً في عَشِيْرَتِهِ، وسَيْفُ الدَّولةِ رئيسُ جَمْعِهِم، وَمُؤَثِّلُ مَجْدِهم.

٢٤ ـ تَهُـبُّ في ظَـهْـرِهَـا كَـتَـائِـبُـهُ هُـبُـوبَ أَرْوَاحِـهـا المَـرَاوِيـدِ

الرِّياحُ المَراوِيدُ: التي تَـطْلُبُ غاياتِها، واحِـدُها مِـرْوَادٌ. والرِّيـادةُ: الطلبُ[8].

ثُمَّ قالَ: تَهُبُّ كتائِبُهُ في ظهورِ تلكَ البِيْدِ، مُمْتَثِلَةً لأَوامِرِهِ، فَتُشْبِهُ الرِّيَاحَ بِسُرْعَتِها، وتُغَالِبُها بِكَثْرَتِها.

---

(١) في ر، ف «فلا».
(٢) ساقطة من ر، ف.
(٣) «وذلك على ما قدمناه» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم قال».
(٥) زيادة في ر، ف.
(٦) في ر، ف «يريد».
(٧) في ر، ف «لا يدخل».
(٨) «الرياح... الطلب» زيادة في ل.

٢٥ ـ أَوَّلَ حَـرْفٍ مِـنِ اسمِـهِ كَـتَـبَـتْ سَنَـابِـكُ الخَيْـلِ في الجَـلاَمِيـدِ

السَّنابِكُ: جَمْعُ سُنْبُكٍ، وهو مُقَدَّمُ حافِرِ الفَرَسِ[١].

ثُمَّ قالَ: أَوَّلُ حُروفِ[٢] اسْمِهِ، صُورَتُهُ[٣] صُورَةُ ما تُثْبِتُهُ سَنابِكُ[٤] الخَيْلِ في ظُهورِ الجَلاَمِيدِ.

يُشيرُ إلى أَوَّلِ حُروفِ[٥] عَلِيٍّ، وهو العَيْنُ، فَيَقولُ: إنَّه كانَ فَأْلاً يُؤْذِنُ بانقِيادِ الخَيْلِ[٦] لِأَمْرِهِ، وَتَصَرُّفِها على حُكْمِهِ.

٢٦ ـ مَـهْـمَـا يُعَـزَّ[٧] الـفَـتَى الأَمـيرُ بـه فـلا بـإِقْـدَامِـهِ ولا الجُـودِ

الفَتَى: الشَّابُّ المُقْتَبَلُ[٨].

فيقولُ[٩]: مَهْمَا فَقَـدَهُ الفتى[١٠] الأميرُ فَعُـزِّيَ به، يُشيرُ إلى رئاسَتِهِ واقتِبَالِ شَبِيبَتِهِ، فلن يَفْقِدَ إقدامَه وكَرَمَه، وفيهما الخَلَفُ الكريمُ ممن يَفْقِدُه، والعِوَضُ الجَميلُ ممَّن يُعَزَّ به.

---

(١) «السنابك... الفرس» زيادة في ل.

(٢) في ل «حرف».

(٣) «صورته» زيادة في ر، ف.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) في ل «حرف».

(٦) في ل «الخيول».

(٧) في رواية الواحدي «يُعَزِّي» بالكسر، فالفتى فاعل، والأمير مفعول به منصوب، وتقدير الكلام «مهما يعز معز الأمير، والضمير في به للميت.

وأما رواية الرفع عند الأفليلي بالبناء للمجهول، فالفتى نائب فاعل، والأمير صفة.

(٨) «الفتى: الشاب المقتبل» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «ثم قال».

(١٠) «الفتى» زيادة في ر، ف.

٢٧ ـ وَمِـنْ مُـنـانـا بَـقـاؤُه أَبـداً حـتى يُـعَـزَّى بِـكُـلِّ مَـوْلُـودِ

ثُمَّ قالَ: ونَحْنُ نَتَمَنَّى له بَقَاءَ الخُلودِ، حَتَّى يُعَزَّى في[1] كُلِّ كريمٍ يُولَدُ[2]، ويُغْنَى[3] عن كلِّ فاضلٍ يَفْقدُ.

(١) في ر، ف «بكل».

(٢) زاد في ر، ف «من».

(٣) في ف «وتغنى».

ورَكِبَ سَيْفُ الدَّولةِ لتَشْييعِ عَبْدِهِ يَمَاكَ، لَمَّا نَفَذَ في مُقَدَّمتِهِ[١] إلى الرَّقَّةِ[٢]، وهاجت ريحٌ شَديدةٌ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - لا عَدِمَ المُشَيِّعَ المُشَيِّعُ لَيْتَ الرِّيَاحَ صُنِّعُ ما تَصْنَعُ

يَقُولُ: لا عَدِمَ سَيْفُ الدَّولةِ هذا العَبْدَ المُحِبَّ، والوالي النَّاصِحَ[٣]، ثُمَّ أَقْبَلَ على سَيْفِ الدَّولةِ، فقالَ: لَيْتَ هذه الرِّيحَ تَحْذُو[٤] حَذْوَكَ، وتَفْعَلُ فِعْلَكَ.

٢ - بَكَرْنَ ضَرًّا وَبَكَرْتَ تَنْفَعُ وَسَجْسَجٌ أَنْتَ وهُنَّ زَعْزَعُ

٣ - وواحِدٌ أَنْتَ وهُنَّ أربَعُ وأَنْتَ نَبْعٌ والمُلُوكُ خِرْوَعُ

السَّجْسَجُ: الرِّيحُ الطَّيِّبةُ ما بَيْنَ الحَرِّ والبردِ، والزَّعْزَعُ: الرِّيحُ الشَّدِيْدَةُ المُؤْذِيَةُ، والنَّبْعُ: شَجرٌ صُلْبُ العُودِ يُصْنَعُ منه القِسِيُّ، والخِرْوَعُ: شَجَرٌ ضَعِيْفُ العُودِ[٥].

ثُمَّ قالَ[٦]: فقد بَكَرَتْ[٧] بِضَرِّها، وبكَرْتَ بِنَفْعِك[٨]، وآذَتْ بِشِدَّتِها، وأَحْسَنْتَ بِرِفْقِكَ، فَقَصَّرَتْ عَنْكَ، وهي أَرْبَعٌ، وأنتَ واحِدٌ، وهي كَثِيرَةٌ

(١) كذا في ل وشرح الواحدي وفي ر، ف «المقدمة». ومُقَدِّمةُ الجيش، بكسر الدال، وعن ثَعْلَب بفتح داله: مُتَقَدِّموه.

(٢) الرَّقَّةُ: وأصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها الماء، وهي مدينة على الفرات من الجانب الشرقي.

(٣) في ر، ف «العبد النجيب، والولي النصيح».

(٤) في ر، ف «ليت أن الرياح تحتذي».

(٥) «السجسج... العود» زيادة في ل.

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر، ف «بكرن».

(٨) في ف «بنفسك».

وأنتَ مُفْرَدٌ[1]، فمن شَبَّهَ الرِّيحَ بك في كَرَمِكَ، فَقَدْ ظَلَمَكَ، ومَنْ أَضَافَها إليك في فَضْلِكَ، فقد جَهِلَكَ، وكذلكَ أَنْتَ، إذا قُرِنَتِ الملوكُ بكَ، كالنَّبعِ إذا قُرِنَ الخِرْوَعُ به، تَضْعُفُ[2] عِنْدَ صَلابَةِ عُودِكَ، وَتَصْغُرُ[3] عِنْدَ جَلالَةِ أَمْرِكَ[4].

(١) في ر، ف «ينفرد».

(٢) في ر، ف «يضعف».

(٣) في ر، ف «ويصغر».

(٤) في ر، ف «قدرك».

وسَايَرَهُ وهو يُريدُ الرَّقَّةَ، واشتَدَّ المَطَرُ في مَوْضعٍ يُعْرَفُ بالثَّدْيَيْن، فقالَ:

١ - لِعَيْنِي كُلَّ يومٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ في أمْرٍ عُجَابُ
٢ - جَمَالَةُ ذا الحُسامِ على حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذا السَّحابِ على سَحَابِ

وزَاد المطرُ، فقالَ:

٣ - تَجِفُّ الأرضُ من هذا الرَّبابِ وَيُخْلِقُ[1] ما كَساهَا من ثِيَابِ
٤ - وما يَنْفَكُّ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْباً وَلاَ يَنْفَكُّ غَيْثُكَ في انسِكَابِ
٥ - تُسَايِرُكَ السَّوَاري والغَوادي[2] مُسَايَرةَ الأَحِبَّاءِ الطِّرابِ
٦ - تُفِيدُ الجودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيه وَتَعْجِزُ عن خلائِقِكَ العِذَابِ

الجَمَالَة: عِلاَقَةُ السَّيفِ، والرَّبَابُ: السَّحَابُ، والسَّوَاري من السَّحَابِ: التي تَطْرُقُ باللَّيلِ، والغَوادِي التي تَنْشَأُ بالصَّباحِ[3].

فيقولُ: في كلِّ يَوْمٍ أُرَدِّدُ عَيْنِي مِنكَ في مَنْظَرٍ يُعْجِبُ بِحُسْنِه، ويَعْجِزُ اللِّسَانُ عن وَصْفِه، ولا يُحيطُ العَقْلُ بِحَقِيْقَتِهِ[4]؛ لأَنَّك أَجَلُّ السُّيوفِ، وتُشَرِّفُ[5] السَّيْفَ بِحَمْلِهِ، وَجُودُكَ أَنْفَعُ[6] من السَّحابِ. ويَعْتَادُكَ السَّحَابُ بِوَبْلِهِ[7]، فَحَمْلُكَ للسَّيفِ إفْضَالٌ عليه؛ لأنك غَنِيٌّ عنه، واستِصْحَابُكَ للسَّحَابِ إزْراءٌ عليه[8]، لأَنَّكَ أَعَمُّ نَفْعاً منه.

---

(١) في رواية الواحدي «ويَخْلَقُ» وفي رواية التبيان «وتُخْلِقُ».
(٢) في ر، ف «القوادي والسواري».
(٣) «الحمالة... بالصباح» زيادة في ل.
(٤) «لا يحيط العقل بحقيقته» زيادة في ر، ف.
(٥) في ف «ويرف».
(٦) في ر، ف «أعم».
(٧) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر.
(٨) في ر، ف «به».

ثمَّ قالَ في الزِّيادةِ[1]:

إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ يَعْمُرُ السَّحابَ بِجُودِهِ، ويَعْلُوهُ بِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ السَّحابَ يُمْطِرُ وَيُقْشِعُ، ويَسْكُبُ[2] ويُقْلِعُ، وما يَظْهَرُ على الأَرْضِ من زَهَراتِهِ يَذوي ويَذْبُل، ويَحُلُّ ويَرْحَلُ، وجُودُ سَيْفِ الدَّولةِ لا يُقْلِعُ وَبْلُهُ، ولا يَفْتُرُ سَكْبُهُ، وآثَارُ إحسانِهِ ظاهِرةٌ لا تُعْدَمُ[3]، وشواهِدُهُ[4] دائِمَةٌ لا تَنْصَرِمُ، ثُمَّ قالَ[5]: تُسايِرُكَ السَّحَابُ على اختلافِ[6] أَوْقَاتِها، وتَصَرُّفِ أحوالِها، مُسَايَرةَ من يَطْرَبُ لِصُحْبَتِكَ، ويَشْتَاقُ إلى غُرَّتِك. ثُمَّ قالَ: فَتَشْهَدُ من جُودِك ما لا تَعْلَمُهُ[7]، ويتبيَّن لها من كرَمِك ما لا[8] تَبْلُغُهُ، فَتَتْلُوكَ مُمْتَثِلَةً لك، وتَحكِيْكَ مُقْتَدِيَةً بكَ، وتَعْجِزُ عن شَرَفِ خَلاَئِقِكَ، ولا تَبْلُغُ عِذَابَ شَمَائِلكَ.

---

(١) «ثم قال في الزيادة» زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «ويسكت».

(٣) في ف «لا يعدم».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «أخلاف».

(٧) في ر، ف «وتشهد السحاب من جودك ما لم تعهده».

(٨) في ر، ف «ما لم».

وأَجْمَلَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ ذِكْرَهُ، فقال أبو الطَّيِّبِ:

١ ـ أَنَـا بـالـوُشـاةِ إذا ذَكَرْتُـكَ أَشْبَـهُ تَـأتي النَّـدَى وَيُـذَاعُ[١] عَنْـكَ فَتَكْـرَهُ
٢ ـ وإذَا رَأَيْتُـكَ دُونَ عِرْضٍ عَـارِضـاً أَيْـقَـنْـتُ أنَّ الـلَّه يَـبْـغِـي نَـصْـرَهُ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أَنَا فيما أَنْشُرُهُ من فَضْلِك، وأقولُ به من كَرَمِكَ، شَبِيهٌ بالواشِي بك؛ لِأَنِّي أُظْهِرُ ما تَبْغِي سِتْرَهُ، وأَنْشُرُ ما تَأْبَى[٢] ذِكْرَهُ، وأنتَ لا تُبَاهِي بإنْعَامِكَ، ولا تُرِيدُ سُمْعَةً بإحسَانِكَ، وإنَّما كَرَمُكَ طَبِيْعَةٌ مِنْـكَ، وفَضْلُكَ جِبْلَةٌ[٣] فيكَ، ثمَّ قالَ: وإذا رَأَيْتُكَ مُعْتَرِضاً[٤] دونَ عِرْضٍ تَحْفَظُ حُرْمَتَه، وتَحْمِي جِهَتَهُ، أَيْقَنْتُ أنَّ اللَّهَ يَحْمِيهِ وَيَحْفَظُهُ ويَقِيهِ؛ لأَنَّه[٥] ناصِرُ مَنْ تَنْصُرُهُ، حافِظٌ[٦] من تَحْفَظُهُ[٧].

(١) في رواية الواحدي «فيشاعُ».
(٢) في ر، ف «تأتي».
(٣) الجِبْلَةُ: الخِلْقَةُ والطبيعة.
(٤) زيادة في ر، ف.
(٥) في «لأن الله».
(٦) في ر، ف «وحافظ».
(٧) كذا في ر، ف «تنصره... تحفظه» بالتاء، وفي ل بالتاء والياء.

وأَجْمَلَ أيضاً ذِكْرَهُ، فَقَالَ:

١ ـ رُبَّ نَجِيْعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ انْسَفَكا وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاظَتْ [٢] بِهِ مَلِكَا
٢ ـ مَنْ يَعْرِفِ الشَّمْسَ لا يُنْكِرْ مَطَالِعَهَا أَوْ يُبْصِرِ الخَيْلَ لا يَسْتَكْرِمِ الرَّمَكَا
٣ ـ تَسُرُّ بِالمالِ بَعْضَ المالِ تَمْلِكُهُ إنَّ البِلادَ وإنَّ العَالَمِينَ لَكَا

النَّجيعُ: الدَّمُ، والرَّمَكُ: جَمْعُ رَمَكةٍ، وهي الفَرَسُ التي تُتَّخَذُ للنِّتَاجِ دونَ الرُّكوبِ[٣].

فيقولُ: رُبَّ مخالفٍ عَصى[٤] سَيْفَ الدَّولةِ، فَسَفَكَ دَمَهُ، وربَّ مُعَانِدٍ لَهُ من الملوكِ سَمِعَ شِعري فيه، فَغَاظَهُ حُسْنُهُ، ثُمَّ ضَرَبَ لِسَيفِ الدَّولةِ مَثَلاً في اختِيارِهِ لِقَصْدِهِ، ومَعْرِفَةِ سيفِ الدَّولةِ بِقَدْرِهِ، فقالَ: مَنْ عَرَفَ الشَّمسَ لم يُنْكِرْهَا، لاختِلافِ مَطَالِعِها، ومَنْ عَرَفَ سَيْفَ الدَّولةِ لم يُنْكِرْهُ، لِاختِلافِ[٥] مَقَاصِدِهِ، وتَبَايُنِ مواضِعِهِ[٦]، ومَنْ أبصَرَ عِتَاقَ الخيلِ لم يَسْتَكْرِمْ هِجَانَ الرَّمَكِ، وذلك شَأْنُ سَيْفِ الدَّولةِ في اصْطِنَاعِهِ لِأَبِي الطَّيِّبِ، وإعْرَاضِهِ عن حُسَّادِهِ؛ لِأَنَّ مَوْقِعَهُ منهم هذا الموقِعُ.

---

(١) في قوله رب نجيع زحاف. قال أبو العلاء المعري: «من أول البسيط، لم يزاحف أبو الطيب زحافاً تنكره الغريزة إلا في هذا الموضع، ولا ريب أنه قال على البدء، ولو أن لي حكماً في هذا البيت لجعلت «كم من نجيع» لأن رب تدل على القلة، وإنما يجب أن يصف سفك دماء الأعداء، ويحسن ذلك لأن رب جاءت في النصف الثاني» (النظام ج ٢ / ورقة ٢٣٢).

(٢) في ف «غاضت».

(٣) «النجيع... الركوب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «خالف».

(٥) في ر، ف «باختلاف».

(٦) «وتباين مواضعه» زيادة في ل.

ثم قالَ: تَسُرُّ بما تُهينُهُ مِنْ مَالِكَ مَنْ تَهَبُهُ له مِنْ قُصَّادِكَ وخَوَلِهِم، وهُمْ في وقوعِهِمْ تَحْتَ مُلْكِكَ، وتَصرُّفِهِم تَحْتَ أَمْرِكَ، على حَسَبِ نَهْيِكَ وأَمْرِكَ، كمالِكَ الذي تَنْفَرِدُ بِمِلْكِهِ، وتَتَحكَّمُ في أَمْرِهِ، فأنت تَسُرُّ بمالِكَ مَالَكَ، ويُوَقِّرُكَ مَن لا يَخْرجُ عن مِلْكِكَ، فالأَرْضُ في قَبْضَتِكَ، وعامِرُوها أهلُ طَاعَتِكَ[1].

(١) في ر، ف «ثم قال: تسر بمالك من يملكه كملكك له، وتصرفه كتصريفك إياه، فكأنك إنما تُسرُّ بمالك مالك، وتهب لمالك مالك، والبلاد طاعتك، وأهلها رعاياك، والعالمون ممتثلون لأمرك، متصرفون على حكمك».

وسَايَرَهُ وهو يُرِيدُ آمِدَ[١]، وتَوَسَّطَ الأَجْبَالَ[٢]، فقالَ لهُ:

١ - يُـؤَمِّـمُ ذا الـسَّـيْـفُ آمـالَـهُ فَـلاَ يَـفْعَلُ الـسَّـيْـفُ أَفْـعَـالَـهُ
٢ - إِذَا سَـارَ فِي مَـهْـمَـهٍ عَـمَّـهُ وإِنْ سَـارَ فِي جَـبَـلٍ طَـالَـهُ
٣ - وأَنْـتَ بِمَـا نِـلْـتَـنَـا مَـالِـكٌ يُـثَـمِّـرُ مِـنْ مـالِـهِ مـالَـهُ
٤ - كَـأَنَّـك مـا بَـيْـنَـنَـا ضَـيْـغَـمٌ يُـرَشِّـحُ لِـلْـفَـرْسِ أَشْـبَـالَـهُ

المَهْمَهُ: القَفْرُ، والضَّيْغَمُ: الأسَدُ، والفَرْسُ: دَقُّ العُنُقِ، والأشبالُ: جَمْعُ شِبْلٍ، وهو وَلَدُ الأَسَدِ، والتَّرشِيحُ: التَّهْيِئَةُ[٣].

فيقولُ: يَقصِدُ هـذا المِلكُ، الذي يُشَبِّهُهُ السَّيفُ به، إلى ما يُرِيدُهُ ويَأْمُلُهُ، ويَنْوِيهِ ويَعْتَقِدُهُ[٤]، فلا يَفْعلُ السَّيْفُ في اسْتِعْجَالِ[٥] ذلكَ فِعْلَهُ، ولا يَلْحَقُ في إِدْرَاكِهِ كَشَأْوِهِ[٦]، فإنْ سَارَ في مَهْمَهٍ عَمَّهُ بِكَثْرَةِ جَيْشِهِ، وإنْ سَارَ في جَبَلٍ طَالَهُ بِعُلُوِّ مَجْدِه.

ثمَّ قالَ، مُخَاطِباً لهُ: وأنت بما نِلْتَنَا به[٧] من فَضْلِكَ، وتابَعْتَه لنا[٨] من بَذْلِكَ، مَالِكٌ يُثَمِّرُ مَالَه بِمَالِه، وَيَحوطُ[٩] مِلْكَهُ بِمِلْكِه؛ لأَنَّنا لَكَ في وُقُوعِنَا

(١) آمد: من مدائن ديار ربيعة.
(٢) في ر، ف «أجبالاً».
(٣) «المهمة... التهيئة» زيادة في ل.
(٤) «ويأمله وينويه ويعتقده» زيادة في ل وت.
(٥) «استعجال» زيادة في ر، ف.
(٦) في ر، ف «ثناؤه».
(٧) ساقطة من ر، ف.
(٨) في ت «الدنيا».
(٩) في ف «ويحيط» وفي ت «تثمر... وتحوط».

تَحْتَ أَمْرِكَ، وما يُحيطُ[1] بنا من مِلْكِكَ، كالمالِ الذي تَحْوِيهِ وتَضْبِطُهُ، وتحوزُهُ وتَمْلِكُهُ.

ثُمَّ قَالَ: كَأَنَّكَ فيما تَسْبِقُنَا إليهِ من مُقَارَعَةِ الأَبْطالِ، وما تَنْفَرِدُ به دُونَنَا من مُغَازَلَةِ الأَقْرَانِ، أَسَدٌ يَنْهَجُ[2] لِأَشْبَالِهِ ما يَفْعَلُهُ، ويُضْرِيها[3] على ما تَأْتِيهِ[4] وتَمْتَثِلُهُ[5].

(١) في ر، ف «تحيط».
(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «يبهج».
(٣) كذا في ل، ت وفي ر، ف «يحملها».
(٤) الواو ساقطة من ل.
(٥) في ت «يأتيه ويمتثله».

وَدَخَلَ على سَيْفِ الدَّوْلَةِ بِمَيَّافارِقِينَ في يَوْمٍ شَديدِ المَطَرِ والبَرْدِ، وهو على الشَّرَابِ، فقالَ له سَيْفُ الدَّولةِ: عَابَ عَلَيكَ يا أبا الطَّيِّبِ إنسانٌ قولَك[1]:

لَيْتَ أَنَّا إذا ارتَحَلْتَ لَكَ الخَيْلُ وأَنَّا إذا نَزَلْتَ الخِيامُ

وقالَ: إنه جَعَلَ الخيامَ فَوقَكَ، وأَوْمَأَ إلى بَعْضِ مَنْ حَضَرَ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ؛ وأرادَ قَطْعَ الكَلامِ:

١ - لقد نَسَبُوا الخِيامَ إلى عَلاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الإبَاءِ
٢ - وما سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للثُّريا ولا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للسَّمَاءِ

يَقُولُ: لَقَدْ نَسَبوا الخِيامَ مِنَ الرِّفْعَةِ، وأوجَبوا لها من عُلوِّ الرُّتْبَةِ، ما أَأْبَاهُ[2] ولا أُسَلِّمُهُ، وأَنْفيهِ ولا أُثْبِتُه، ثُمَّ قالَ: وما[3] سَلَّمتُ للثُّريا أن لا تَفُوقَها[4] بِمَجْدِكَ، ولا لِلسَّماءِ[5] ألاَّ تَبْلُغَها بِشَرَفِكَ وفَضْلِكَ.

٣ - وقد أَوْحَشْتَ أرضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ البَهاءِ
٤ - تَنَفَّسُ والعَواصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ فَيُعْرَفُ طِيْبُ ذَلِكَ في الهَواءَ

يَقُولُ[6]: وقد أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ بِرَحِيْلِكَ عنها، وسَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ[7] البهاءِ بِخُرُوجِكَ منها.

---

(١) في ر، ف «عاب عليك إنسان يا أبا الطيب».
(٢) في ر، ف «أدفعه».
(٣) في ف «ولا».
(٤) في ر، ف «تفوتها».
(٥) في ف «السماء».
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) ساقطة من ف.

ثُمَّ قالَ: تَتَنَفَّسُ[1] وأنْتَ بأرْضِ الجَزيرَةِ، والعَواصِمُ[2] منك على سَيْرِ عَشْرِ[3] لَيالٍ، فَيَعْرِفُ ذلكَ أهلُ الشَّامِ في هَوائِهم، ويَتَبَيَّنونَ الفَوْحَ في بِلادِهم، ويُؤَكِّدُ لهم أمْثالَ ذلك[4] اسْتِشْرافُهُمْ إلى أوْبَتِكَ[5]، واشْتِياقُهُمْ إلى غُرَّتِكَ.

---

(١) في ر، ف «تَنَفَّسُ».

(٢) العواصم: حصون موانع وولاية تحيط بها، موقعها بين حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية، كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال، وسمّاها المسلمون بذلك لأنهم كانوا يعتصمون بها من الأعداء إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر، وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي (انظر معجم البلدان ٤/١٦٥).

(٣) في ر، ف «عشرة». وهو لحن

قال الواحدي: «والعواصم منك عشر، على مسيرة عشر، فحذف حتى أخل باللفظ» ٢/٤٣٧.

(٤) في ر، ف «ويؤكد ذلك» و«لهم أمثال» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ارتياحهم لأوبتك».

وذَكَرَ سَيْفُ الدَّولةِ لأبي العَشائِرِ جَدَّهُ وأَباهُ، وَجَدُّ أبي العَشائِرِ الحُسَينُ ابنُ حَمْدانَ، عَمُّ سَيْفِ الدَّولةِ[1]، فقالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ ـ أَغْلَبُ الحَيَّـزَيْنِ مـا[2] كُنْـتَ فيـه وَوَلِيُّ الـنِّـعـاءِ مَـن تَـنْـمِـيـهِ
٢ ـ ذا الَّـذي أَنـتَ جَـدُّهُ وأَبـوه دِنْـيَـةً دونَ جَـدِّهِ وأَبـيـهِ

يقولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: أَغلَبُ فُروعِ نَسَبِكَ عَلَى الشَّرفِ الحَيِّزُ[3] الَّذي أَنْتَ فيهِ، وَوَلِيُّ الكَثْرَةِ في المَفاخِرِ[4] والحَسَبِ مَنْ تَنْمِيه، يُريدُ بذلك: ما عَرَّفَ به سَيْفُ الدَّولةِ أبا العَشائِرِ من شَرفِ أبيهِ وَجَدِّهِ. ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: هـذا أبو العَشـائِرِ، أنت جَـدُّهُ وأبوهُ، لأَنَّ شَـرَفَك أَنْهَضُ بـه من شَـرَفِهما، وسُلطَانَـك أَظْهَرُ عَلَيْـهِ[5] من سُلْطَانِهما، فَأنت بِمَـا أَحاطَ بـهِ من فَضْلِك، وتجدَّدَ له منَ الشَّرَفِ بكَ، جدُّهُ وأَبوهُ دِنْيَةٌ[6]، دونَ جَدِّهِ وأَبِيْهِ[7].

(١) «وجد أبي... الدولة» زيادة في ل.
(٢) كذا في ر، ف، ورواية الواحدي، وفي ل «من».
(٣) في ر، ف «التحيز».
والحيّز: الجانب الذي يحوز الشيء.
(٤) في ر، ف «والمفاخر».
(٥) في ر، ف «أقرب إليه».
(٦) الدُّنْيَةُ: القرابة.
(٧) في ر، ف «فأنت أقعد به منهما، وما يشهد منك يعلى على ما تقدم لهما».

وسَأَلَهُ سَيْفُ الدَّولةِ إجَازَةَ بَيْتٍ، وهو[١]:

وإني الممنـوعُ المقـاتِـلِ في الـوغَى وإن كُنْتُ مَبْـذُولَ المقـاتِـلِ في الحُبِّ

فقالَ:

١ - فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْماً إلى قَلْبِ وأَقْتَلَهُمْ للدَّارعِينَ بـلا حَـرْبِ
٢ - تَفَـرَّدَ بـالأَحكَـامِ في أَهْلِهِ الهَـوَى فأَنْتَ جَميلُ الخُلْفِ مُسْتَحْسَنُ الكِذْبِ

الكِذْبُ، والكِذَابُ والكِذَّابُ والكَذِبُ كُلُّ ذلكَ بِمَعْنًى واحِدٍ[٢].

فيقولُ: فَدَيْنَاكَ وإن كُنتَ أَثْبتَ النَّاسِ إصابةً لِلقُلُوبِ بِسهَامِكَ دونَ رَمْيٍ، وأَقْتَلَهُمْ للدَّارعِيْنَ[٣] بحبِّكَ دونَ حَرْبٍ. ثُمَّ قَالَ: وكـذلكَ الهَـوَى مُنْفَـرِدٌ بالحُكْمِ في أَهْلِهِ، فمن هُـوِيَ كان جَمِيـلاً خُلْقُـهُ، ومن عُشِقَ كـان مُسْتَحْسَناً[٤] كِذْبُهُ.

٣ - وإني لَمَمْنُـوعُ المقـاتِـلِ في الـوغى وإن كُنْتُ مَبْـذُولَ المقَاتِـلِ في الحُبِّ
٤ - ومَنْ خُلِقَتْ عَيْنَـاكَ بَـيْنَ جُفُـونِـهِ أَصَابَ الحَذُورَ[٥] السَّهلَ في المُرْتَقَى الصَّعْبِ

يَقُولُ[٦]: وإنِّي وإن استُضْعِفْتُ في الحُبِّ فأُصيبَتْ مَقَاتِلي بِهِ[٧]، وقَلَّتْ

---

(١) في رواية المعري والواحدي والتبيان «وأنشده سيف الدولة بيتاً هو:
خَرَجْتُ غداة النَّفْـرِ أعترضُ الـدُّمَى فلم أرَ أحلى منك في العَيْنِ والقَلْبِ
(٢) «الكذب... واحد» زيادة في ل.
(٣) الدارعون: ذوو الدروع الذين يلبسون الحديد في الحرب.
(٤) في ر، ف «فمن هوى استطرف خلقه، ومن عشق استحسن كذبه».
(٥) في ل «الحذور» وهو تصحيف، والحَذْرُ: الحط من عُلْوٍ إلى سُفْل.
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) في ر، ف «فيه».

مُدَافَعَتِي فيهِ[1]، لَظَاهِرَةٌ في الحَرْبِ قُوَّتي، وشَدِيْدَةٌ فيهِ[2] مَنَعَتي، وبَعيدَةٌ عَلَى الأَقْرَانِ إصابَتِي[3]. ثُمَّ خَاطَبَ مَحْبُوبَهُ[4]، فقالَ: ومنْ خُلقَتْ بَيْنَ جُفُونِهِ[5] عَيْنَاكَ، وَرَشَقَ القُلُوبَ بِسِهَامِكَ، سَهُل عَلَيْهِ[6] ما يَصْعُبُ مِثْلُهُ، وقَرُبَ له ما يَبْعُدُ تَنَاوُلُه[7] .

---

(١) في ر، ف «له».

(٢) في ر، ف «فيها».

(٣) في ر، ف «إصابة مقاتلي».

(٤) في ر، ف «محبوبته».

(٥) «بين جفونه» ساقطة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «عليك».

(٧) قال أبو العلاء المعري: «والأبيات ليست بجيدة في الإجازة، لأنها لا تتضمن مع البيت الذي أجازه، غير أنها على وزنه ورويه، وهذا القدر لا يكفي في الإجازة، بل لا بد من أن يكون له تعلق بالمعنى الذي في البيت الأول».
شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) ورقة رقم ٢٣.

- ٢٤ -

وأذَّن المُؤَذِّنُ، فَوَضَعَ سَيْفُ الدَّولَةِ القَدَحَ مِنْ يَدِهِ، فقالَ أبو الطَّيِّب[١]:

١ - إلا أَذِّنْ فَمَا أَذْكَرْتَ نَاسِي ولا لَيَّنْتَ قَلْباً وَهُوَ قَاسِي

٢ - ولا شُغِلَ الأَمِيرُ عَنِ المَعَالِي وَلا عَنْ حَقِّ خَالِقِهِ بِكَاسِ[٢]

- ٢٥ -

وَرَكِبَ سَيْفُ الدَّولةِ، وَرَكِبَ الجَيْشُ مَعَهُ بالتَّجافِيفِ[٣] والسِّلاحِ، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ يَمْدَحُهُ، ويَصِفُ الجَيْشَ[٤]:

١ - إذا كَانَ مَدْحٌ فالنَّسيبُ المُقَدَّمُ أَكُلُّ فَصِيحٍ قَالَ شِعْراً مُتَيَّمُ

يقولُ: إنَّ الشُّعَرَاءَ مُجْمِعونَ[٥] على تَقْديمِ النَّسيبِ في أَشْعَارِهم، والاسْتِفْتَاحِ بِهِ في مَدَائِحِهم، وليسَ كُلُّ فصيحٍ مِنْهُم عَاشِقاً، ولا كُلُّ شَاعِرٍ

---

(١) «أبو الطيب» زيادة في ل.

(٢) لا شرح لهذين البيتين في جميع النسخ.

قال الواحدي في شرح البيت الأول: «يقول للمؤذن أذّن فلم تذكر بتأذينك ناسياً يعني أنه لم ينس الصلاة حتى يتذكرها بالتأذين، وكان حقه أن يقول ناسياً لأنه في موضع النصب، لكنه جعل الياء في موضع النصب مثله في موضع الخفض والرفع، وقوله وهو قاسي جملة في موضع الحال كأنه قال: ولا لينت قلباً قاسياً.

وفي البيت الثاني «يقول الكاس ليست شاغلة له عن حق الله تعالى ولا عن مراعاة أسباب المعالي، يعني لم يستهلك وقته فيغفل عما يلزمه من أداء فرض أو مراعاة حق».

(شرح الواحدي ٢/٤٣٨).

(٣) التجافيف: جمع تجفاف، وهو ما يجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح، وهو ضرب من السلاح يلبسه الرجال أيضاً.

(٤) وذلك في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بميافارقين (انظر شرح الواحدي ٤٣٩ والتبيان ٣/٣٥٠).

(٥) في ر، ف «مجتمعون».

سَلَفَ لهم مُتَيَّماً، وَلَكِنْ آخرُهُمْ في ذلك يَتْلو أَوَّلَهم، حَتَّى كأَنَّ ما يتواصَفُونَهُ من الحُبِّ قد جَعَلوهُ فاتِحَةَ الشِّعْرِ.

٢ ـ لَحُبُّ ابنِ عَبْدِاللهِ أَوْلَى فإنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الجَمِيلُ وَيُخْتَمُ

ثُمَّ قالَ[١]: وإذا كانَ هذا[٢]، فَلَحُبُّ[٣] ابنِ عَبْدِاللهِ، يُريدُ: سيفَ الدَّولةِ، أَحَقُّ ما استُفْتِحَ الشِّعْرُ به، وأَوْلَى[٤] ما قُدِّمَ الذِّكْرُ[٥] له، فَبِسَيْفِ الدَّولةِ يُبْدأُ الذِّكرُ الجَميلُ ويُخْتَمُ، وبِمَجْدِه يُفْتَحُ[٦] ويُتَمَّمُ.

٣ ـ أَطَعْتُ الغَوَاني قَبْلَ مَطْمَحِ نَاظِري إلى مَنْظَرٍ يَصْغُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ

ثُمَّ قالَ: أَطَعْتُ الغَوَانيَ في التَّشْبيبِ[٧] بِهِنَّ، والإيثارِ لَهُنَّ، قَبْلَ أن يَطْمَحَ ناظِري إلى ما شَهِدْتُهُ من مَمْلَكَةِ سَيْفِ الدَّولةِ، التي يَقِلُّ حُسْنُهُنَّ عِنْدَ حُسْنِها، ويَصْغُرُ شَأْنُهُنَّ عِنْدَ شَأْنِها. والطُّمُوحُ: الارتِفاعُ[٨].

٤ ـ تَعَرَّضَ سَيْفُ الدَّولَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ في أَوْصَالِهِ[٩] وَيُصَمِّمُ

التَّطْبِيقُ: إبانةُ القَطْعِ، والتَّصميمُ: النَّفاذُ في الأَمْرِ[١٠].

---

(١) «ثم قال» زيادة في ر، ف.
(٢) ساقطة من ف.
(٣) في ر، ف «فحبُّ».
(٤) في ر، ف «وأول».
(٥) في ر، ف «من الذكر».
(٦) في ر، ف «يفتتح».
(٧) في ف «التشبيه».
(٨) «والطموح: الارتفاع» زيادة في ل.
(٩) في ر، ف «أوصافه».
(١٠) «التطبيق... الأمر» زيادة في ل.

فيقولُ[1]: تَعرَّضَ سَيْفُ الدولةِ الدَّهرَ كُلَّهُ مُتَحَكِّماً فيهِ، مُسْتَوْلياً عليهِ، يُطَبِّقُ مِنْهُ فيما يَقْطَعُهُ، ويُصَمِّمُ إليه فيما يَقْصِدُهُ. يُشيرُ[2] إلى أنَّ أُمورَهُ فيه جَائِزَةٌ، وأَحْكَامَهُ عليه نَافِذَةٌ، وذَكَرَ التَّطْبِيقَ والتَّصْمِيمَ على سَبيلِ الإِبْدَاعِ فيما استَعَارَهُ لَهُ من ذلِكَ.

٥ ـ فَجَازَ له حَتَّى عَلَى الشَّمْس حُكْمُهُ وَبَانَ له حَتَّى عَلَى البَدْرِ مَيْسَمُ

المَيْسَمُ: العَلامَةُ التي يَضَعُها المالِكُ على ما يَمْلِكُهُ[3].

ثُمَّ قالَ: فَجَازَ حُكمُهُ حَتَّى حَكمَ على ما لا يَجُوزُ الحُكْمُ عليهِ، وبانَ وَسْمُهُ حَتَّى وَسَمَ ما لا يَبِيْنُ الوَسْمُ فيه، وجَعَلَ ذِكْرَ[4] الشَّمْس والبدرِ كِنَايةً عن هذهِ العِبَارَةِ[5]، والعَرَبُ تَفْعَلُ ذلكَ، تَصِفُ الممدوحَ بالقُدْرَةِ على ما لا يَقْدِرُ أحدٌ عليهِ في الحَقِيْقَةِ، لِيُوجِبَ[6] له بِذَلِكَ غَايَةَ القُوَّةِ، وأبعَدَ نِهَاياتِ القُدْرَةِ.

٦ ـ كَأَنَّ العِدَى في أَرْضِهم خُلَفَاؤُهُ فإنْ شَاءَ حَازُوها وإن شَاءَ سَلَّموا

يَقُولُ[7]: كأَنَّ أعاديَهُ مِنَ الرُّومِ وغَيْرِهم، خُلَفَاؤُهُ في بِلادِهم، وعُمَّالُهُ في قواعِدِهم، فإن أَعْرَضَ عَنْهُمْ، اسْتَمْتَعوا بالبَقاءِ فيها، وإنْ غَزَاهُم[8]

---

(١) في ر، ف «ثم قال».

(٢) ساقطة من ف.

(٣) «الميسم... يملكه» زيادة في ل.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) قال صاحب التبيان: «قال ابن الأفليلي: أراد البدر والشمس، والعرب تفعل مثل ذلك، تذكر واحداً وتريد ضدّه أو صاحبه» ٣/٣٥١.

(٦) في ر، ف «التوجب».

(٧) في ر، ف «ثم قال».

(٨) في ف «وإن أغراهم» وفي ت «عزلهم».

سَلَّمُوها إليهِ بالخُروجِ عَنْهَا. يُشيرُ بهذا إلى تَصَرُّفِ أَعَاديهِ تَحْتَ أَمرِهِ، وعَجْزِهِمْ عن التَّعَرُّضِ لِحَرْبِهِ.

٧ ـ ولا كُتْبَ إلاَّ المُشْرَفِيَّةُ عِنْدَه ولا رُسْلٌ إلا الخَمِيسُ العَرَمْرَمُ

اَلمُشْرَفِيَّةُ: سيوفٌ مَنْسوبةٌ إلى اَلمَشارفِ[١]، وهي مواضعُ تُطْبَعُ فيها السُّيوفُ، والخميسُ: الجيشُ، والعَرَمْرَمُ: الكثيرُ[٢].

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ، من اقتدَارِه عليهم: إنه[٣] لا كُتُبَ يَسْتَعمِلُها إليهم غيرَ سُيوفِهِ، ولا رُسُلَ يُوَجِّهها نَحْوَهم غَيْرَ جُيُوشِهِ، فَهُمْ مُتَصَرِّفونَ على حُكْمِهِ، عاجِزُونَ عن المُخَالَفةِ لأَمْرِهِ.

٨ ـ فَلَمْ[٤] يَخْلُ من نَصْرٍ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ولم يَخْلُ من شُكْرٍ لَهُ مَنْ لَه فَمُ

يقولُ[٥] مُخْبِراً عن عَظِيمِ[٦] مُلْكِهِ، وما ظَهَرَ[٧] من عُمومِ فَضْلِهِ: فَلَمْ يَخْلُ من نَصْرِهِ أحدٌ لَهُ يَدٌ يَبْطِشُ بها؛ لِوقُوفِ جَمِيعِ النَّاسِ عِنْدَ أَمْرِهِ، ووقُوعِهِم تَحْتَ طاعَتِهِ ومُلْكِهِ، ولم يَخْلُ من شُكْرِهِ أحدٌ له فَمٌ يَنْطِقُ به، لِما شَمِلَهُمْ من إحسَانِه، وأحاطَ بهم من إنْعَامِه. فَبَيَّنَ أَنَّ طاعَةَ الجميعِ له طاعةَ وِدَادٍ ومَحبَّةٍ، لا طَاعَةَ اسْتِكراهٍ وغَلَبةٍ.

٩ ـ ولم يَخْلُ من أَسْمَائِهِ عُودُ مَنْبَرٍ ولم يَخْلُ دِينَارٌ ولم يَخْلُ دِرْهَمُ

---

(١) المشارف: قرى من أرض العرب تدنو من الريف في مشارف الشام.

(٢) «المشرفية... الكثير» زيادة في ل.

(٣) في ل «لأنه».

(٤) في رواية الواحدي «ولم».

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) كذا في ر، ف، ت وفي ل «عظم»

(٧) «وما ظهر» ساقطة من ف.

ثُمَّ قالَ: ولم يَخْلُ من أَسْمَائِهِ عُودُ مِنْبَرٍ؛ يُرِيدُ: أَنَّ بِلادَ الأَرْضِ مُضَافَةٌ إلى وِلايَتِهِ، مُخْتَطَبٌ على مَنَابِرها له[1] بِلُزومِ طَاعَتِهِ، ولم يَخْلُ دِيْنَارٌ، ولم يَخْلُ دِرْهَمٌ؛ يُرِيدُ: أَنَّ دَنانيرَ الآفاقِ ودَرَاهِمَها مَطْبُوعةٌ باسْمِهِ، مُسَكَّكَةٌ بِذِكْرِهِ. يُشيرُ إلى عِظَمِ شَأْنِهِ، واتِّساعِ أَعْمَالِ سُلْطَانه.

١٠ ـ ضَرُوبٌ وَمَا بَيْنَ الحُسَامَيْنِ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ مُظْلِمُ

يَقُولُ[2]: إنَّه شَديدُ الضَّربِ، رابِطُ الجَأْشِ، إذا ضَاقَ ما بَيْنَ الحُسَامَيْنِ بِتَجَالُدِ الأَبْطَالِ، وتَقَارُبِ ما بَيْنَ الأَقْرَانِ، وإنَّهُ بَصِيرٌ إذا أَظْلَمَ ما بَيْنَ الشُّجَاعَيْنِ، بِتَمَثُّلِ الموتِ لهما، وتيَقُّنِ المَنِيَّةِ عِنْدَهُمَا، فَهُنَالِكَ[3] يَثْبُتُ نَظَرُهُ لِقُوَّةِ نَفْسِهِ، ولا يَشْخَصُ بَصَرُهُ لتمكُّنِ بَأْسِهِ.

١١ ـ تُبَاري نُجُومَ القَذْفِ في كُلِّ لَيْلَةٍ نُجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وأَدْهَمُ

نُجومُ القَذْفِ: الشُّهبُ التي تُرْمَى بها الشَّيَاطِينُ[4].

ثُمَّ قالَ: تُبَاري نُجُومَ القَذْفِ مَعَ سُرْعَةِ انصِبَابِها، وشِدَّةِ انحِدَارِها، خُيُولٌ لهُ كالنُّجومِ في شِدَّةِ عَدْوِها، وسُرْعَةِ جَرْيِها، مِنْهُنَّ الوَرْدُ والأَدْهَمُ[5].

١٢ ـ يَطَأْنَ من الأَبْطَالِ مَنْ لا حَمَلْنَهُ وَمِنْ قِصَدِ المُرَّانِ مَا لاَ يُقَوَّمُ

المُرَّانُ: الرِّماحُ، وقِصَدُها: قِطَعُها[6].

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «ثم قال».

(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «فهناك».

(٤) «نجوم... الشياطين» زيادة في ل.

(٥) الورد: الفرس الأحمر، والأدهم: الأسود.

(٦) «المران... قطعها» زيادة في ل.

ثُمَّ قَالَ: يَطَأْنَ من الأبطالِ من لا حَمَلْنَهُ؛ يُريدُ: أَنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدَّولةِ تَطَأُ من الأبطالِ المَقْتُولين[1] في وَقَائِعِه مَنْ لا جَعَلَها اللَّهُ أن تَحْمِلَ[2] مَنْ يَصيرُ في حَالِهِ[3]، وَيَؤُولُ إلى مَآلِه[4]، وكَذا[5] تَطَأُ في تِلْكَ الوَقَائعِ مِنْ قِطَعِ الرِّماحِ ما قد تَدَقَّقَ[6] فلا يُمْكِنُ تَقْويمُهُ، وتكَسَّرَ فَلا يُحَاوَلُ تَعْدِيلُهُ.

١٣ ـ فَهُنَّ مَعَ السِّيدَانِ في البَرِّ عُسَّلٌ وَهُنَّ مَعَ النِّيْنَانِ في الماءِ[8] عُوَّمُ

السِّيدانُ: الذِّئابُ، واحدُها سِيدٌ، والعُسَّلُ: المُسْرِعَةُ، واحدها عاسِلٌ، والنِّينانُ: الحِيْتَانُ، واحِدُها نُونٌ[9].

فيقولُ: إنَّ خَيْلَ سَيْفِ الدولةِ لِكَثْرَةِ غَاراتِهِ[10]، واتِّصالِ غَزَواتِهِ[11]، تَقْطَعُ الفَلَواتِ نَحْوَ أعادِيه عُسَّلاً مَعَ الذِّئَابِ التي الفَلَواتُ مُسْتَقَرُّها، وتَعبُرُ الأَنْهَارَ نحوَهُم عَائِمَةً مَعَ الحِيتَانِ التي الأنهارُ مَوَاضِعُها.

١٤ ـ وَهُنَّ مَعَ الغِزْلاَنِ في الوادِ كُمَّنٌ وَهُنَّ مَعَ العِقْبَانِ في النِّيْقِ حُوَّمُ

النِّيْقُ: ما اسْتَعْلَى مِنْ حُروفِ الجَبَلِ، والوَشِيْجُ: الرِّماحُ[12].

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «المفتولين». وهو تصحيف

(٢) في ف «يحمل». وفي ت «تحمله»

(٣) في ت «رجاله».

(٤) في ت «آماله».

(٥) في ر، ف «وكذلك».

(٦) في ر، ف «تدفق» وفي ت «تقوس».

(٧) في ر، ف «النيران».

(٨) في ر، ف «في البحر» والوزن واحد.

(٩) «السِّيدان... نون» زيادة في ل.

(١٠) في ر، ف «غاراتها».

(١١) في ف «غزالته».

(١٢) «النيق... الرماح» زيادة في ل.

وكَـذَلِكَ تَكْمُنُ عليهم مَعَ الغِـزْلانِ في الأَوْدِيَةِ التي فيهـا كُنُسُها[1]، وتَقْتَحِمُ عَلَيْهِم رُؤوسَ الجِبَالِ مَعَ العِقْبَانِ التي فيها وُكُورُهَا، فَأَشَارَ إلى أَنَّ سيفَ الدَّولةِ لِقُـوَّةِ عَزَائِمِـه، ونَفَاذِهِ في مَقَـاصِدِه، قـد اسْتَوى عِنْـدَ خَيْلِه، وفُرسانِ جَيْشِه؛ البَرُّ والبَحرُ، والسَّهْلُ والوَعْرُ، لا يَبْعُدُ عَلَيه مَـطْلَبٌ، ولا يَمْتَنِعُ منه مَوْضِعٌ.

١٥ ـ إِذَا جَلَبَ النَّـاسُ الـوَشِيـجَ فـإِنَّـه بِهِـنَّ وفي لَـبَّـاتِهِـنَّ يُحَـطِّمُ[2]

ثُمَّ قالَ: إذا جَلَبَ[3] النَّاسُ الرِّماحَ على سَبِيْلِ الجَمْعِ لَهَا، وحَمَلُوهَا على طريقِ التَّزَيُّنِ بها، فإنَّ سيفَ الدَّولةِ في نُحُورِ الخيلِ يَكْسِرُها، وبوقائِعِهِ يُفْنِيَها[4] ويَحْطِمُها.

١٦ ـ بِغُـرَّتِـهِ في الحـرْبِ وَالسِّلمِ والحِجَى وَبَـذْلِ اللُّهَى والحَمْدِ والمَجْـدِ مُعْلِمُ

المُعْلِمُ: الذي يَسِمُ نَفْسَهُ بِعَلامةٍ يُعْرَفُ بها، واللُّهى: العَطَايا، واحِدَتُها لُهْوَةٌ[5].

فَيَقـولُ[6]: إنَّ سيفَ الدَّولـةِ مُعْلِمٌ بِجَمَـالِ وَجْهِـهِ، ووفـورِ عَقْلِهِ، وعُمُومِ جُودِهِ، وجَلالَةِ مَجْدِهِ، وإجماعِ النَّاسِ على حَمْدِهِ، وإنَّ هذه الخِلالَ

---

(١) الكُنُس: جمع كِنَاسٍ، وهو مدخل الظباء والبقر، أو مُسْتَتَرُها في الشجر، تستكن فيه من الحرّ.

(٢) الوَشِيجُ: شجر الرماح، واللَّبَّاتُ: جمع لَبَّة، وهي المنحر أو موضع القلادة من الصدر. والضمير في «فإنه» للوشيج.

وفي رواية التبيان «يُحَطِّم» بكسر الطاء، وعلى ذلك فالضمير في فإنه يعود إلى سيف الدولة.

(٣) في ف «جلس».

(٤) في ت «يفتها»، وهو تحريف.

(٥) «المعلم... لهوة» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

تَسِمُهُ[1] في سَلْمِهِ وحَرْبِهِ، ويَنْفَرِدُ بها مِنْ بَيْنِ أبناءِ دَهْرِهِ.

١٧ ـ يُقِرُّ لَهُ بالْفَضْلِ مَنْ لا يَوَدُّهُ ويَقْضِي لَهُ بالسَّعْدِ مَنْ لا يُنَجِّمُ

ثُمَّ قالَ: إنَّ مَنْ لا يَوَدُّهُ يُقِرُّ بفَضْلِهِ، ولا يَدْفَعُهُ لِبَيَانِه، ومَنْ لا يُنَجِّمُ يَقْضِي بِسَعْدِه، ولا يُنْكِرُهُ لاتِّصَالِهِ.

١٨ ـ أَجَارَ عَلَى الأَيَّامِ حتَّى ظَنَنْتُهُ تُطَالِبُه بالرَّدِّ عادٌ وَجُرْهُمُ

ثُمَّ قالَ: إن سَيْفَ الدَّولةِ أجارَ على الأيامِ بِكَفِّهِ لِحَوَادِثِها[2]، وأَنْصَفَ مِنْهَا بإنقاذِهِ[3] من مَكَارِهِها[4]، حَتَّى حَسِبْتُ عَاداً وجُرْهُماً[5]، هَاتَيْنِ القَبِيْلَتَين الفَانِيَتَيْنِ، والجَمَاعَتَيْنِ الهالِكَتَيْنِ، سَيَسْتَلانِه[6] رَدَّهُمَا، على بُعْدِ العَهْدِ، وما انْصَرَمَ عَلَيْهما من تَقَادُمِ الدَّهرِ، وأَنَّ سَعَادَتَهُ إذا قَرَّبتْ ما كان يَبْعُدُ، وسَهَّلَتْ ما كان يَعْسُرُ، فما تَمَكَّنَ له من ذلكَ يُوجِبُ عليهِ أَنْ يُطْلَبَ بما لا يُمْكِنُ فِعْلُهُ[7]، ويُسْأَلَ ما[8] يَمْتَنِعُ مِثْلُهُ.

١٩ ـ ضَلالاً لِهذي الرِّيحِ ماذا تُرِيدُهُ وهَدْياً لِهذا السَّيلِ ماذا يُؤَمِّمُ

---

(١) في ف «تسيمه» وفي ت «وإن هذه الجلالة شيمته».

(٢) في ت «كفه حوادثها».

(٣) كذا في ل وت وفي ر، ف «بإنفاذه».

(٤) في ف «مارمها».

(٥) في ر «وجرهمَ» بعدم الصرف.
ويجوز في أسماء القبائل والأرضين الصرف على تأويلها بالحي والمكان وعدمه على إرادة القبيلة والبقعة، إلا إذا سمع أحدهما كما سمع في صرف كلب، ومعد، أو تحقق مانع غير التأنيث المعنوي كتغلب وباهلة... الخ.
وقد جاءت عاد في القرآن الكريم مصروفة قال تعالى ﴿وإلى عادٍ أخاهم هودا﴾ ومن العرب من يدع صرف عاد وجرهم حيّ من اليمن تزوج فيهم اسماعيل عليه السلام.

(٦) في ف «سيسقلانه» وفي ت «سيطالبانه بالرد»

(٧) ساقطة من ر، ف.

(٨) في ف «عما».

ثُمَّ[1] دَعَا على الرِّيحِ، ولم يَدْعُ لَها، وَدَعَا للسَّيْلِ، ولم يَدْعُ عليهِ؛ لأَنَّ الرِّيحَ أعترَضَتْ سيفَ الدَّولَةِ في مَسِيْرِهِ، ولم تُسْعِدْه على شَيْءٍ من أُمُورِهِ، والسَّحَابُ وإنْ كَانَ رام ثَنْيَهُ بِوَبْلِهِ[2]، وَوَعَّرَ طَرِيْقَهُ بِسَيْلِهِ، فإنَّما تَلاَهُ مُتَعَلِّماً من جُودِهِ، وَصَحِبَهُ مُسْعِداً لهُ على رَأْيِهِ، قَاضِياً لِذِمَامِ القَبْرِ الذي قَصَدَهُ، ومُرَوِّضاً بُسُقْيَاهُ للرَّبْعِ الذي اعْتَمَدَهُ. فَيَقُولُ: ضَلَّ سَعْيُ هذه[3] الرِّيحِ، وَوُفِّقَ لِهُدَاهُ هَذَا السَّيْلُ، ماذا[4] تريدُهُ هذِهِ، وماذا يَقْصِدُهُ هذا، حين يَعْتَرِضَانِ[5] سَيْفَ الدَّولةِ في مَسيرِهِ[6]، ويُجَاهِرانِ[7] بالخِلافِ على أَمْرِهِ.

٢٠ ـ أَلم يَسْأَلِ الوَبْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الحَدِيدُ المُثَلَّمُ

ثُمَّ قال: أَلَمْ يَسْأَلِ الوَبْلُ الذي رَامَ ثَنْيَنَا بِسَكْبِهِ، واعتَرَضَنَا في طَرِيقِنَا بَسَيْلِهِ، كَاشِفاً عن أَمْرِ سَيْفِ الدَّولَةِ، ومُسْتَفْهِماً عن حالِهِ، فَيُخْبِرَهُ الحَدِيدُ الذي ثَلَمَتْهُ وقائِعُهُ، وكَسَرَتْهُ بالجِلادِ كَتَائِبُهُ، وَيَعْلِمُهُ بِأَنَّه الذي لا تُرَدُّ عَزَائِمُهُ، ولا تُوَاجَهُ بالاعتراضِ[8] مَطَالِبُهُ.

٢١ ـ وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ تَلَقَّاهُ أَعْلى منه كَعْباً وَأَكْرَمُ

٢٢ ـ فَبَاشَرَ وَجْهاً طَالَ ما بَاشَرَ القَنَا وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَ ما بَلَّها الدَّمُ

---

(١) زيادة من ر، ف.

(٢) ساقطة من ف.

(٣) في ر، ف «هذا».

(٤) في ر، ف «ما».

(٥) في ر، ف «حتى يعترضا».

(٦) في ر، ف «سيره».

(٧) في ر، ف «ويجاهرا».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «الأعراض».

يقول[1]: ولَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ[2]، واعتَرَضَكَ في طَرِيقِكَ بِسَكْبِهِ[3]، تَلَقَّاهُ مِنْكَ مَنْ يَعْلُوهُ بِرِفْعَتِهِ، ويُزْرِي عَلَيْهِ بِكَرَمِ رَاحَتِهِ، فَبَاشَرَ وَجْهاً طالَ مَا بَاشَرَ الرِّماحَ، فلم تَثْنِهِ[4] مُبَاشَرَتُهَا، وَبَلَّ ثِيَاباً طَالَ ما بَلَّها الدَّمُ، ولم يَعُقْهُ[5] بَلَلُها، فكيفَ يَهَابُ وَقْعَ المَطَرِ مَنْ لاَ يَهَابُ وَقْعَ الرِّمَاحِ، وَيَتَأَلَّمُ بَلَلَ الماءِ من لاَ يَتَأَلَّمُ بَلَلَ الدَّمِ؟

٢٣ ـ تَـلاَكَ وَبَعْضُ الغَيْثِ يَتْبَعُ بَعْضَـهُ[6] مِنَ الشَّـامِ يَـتْلو الحَـاذِقَ المُـتَعَـلِّمُ

يَقولُ[7]: تَلاَكَ الغَيْثُ والبَعْضُ يَتْبَعُ كُلَّهُ، والشَّكْلُ يَأْلَفُ شَكْلَهُ، وأنتَ الغَيْثُ بِعُمُومِ جُودِكَ، وسابِغِ فَضْلِكَ، فَقَفَا أَثَرَكَ من الشَّامِ، يَتْلُوكَ[8] كما يَتْلُو المُتَعَلِّمُ الحاذِقَ، ويَقْفُوكَ كما يَقْفُو المُتَأَخِّرُ الأَوَّلَ.

٢٤ ـ فَـزَارَ التي زَارَتْ بِكَ الخَيْـلُ قَـبْرَهـا وَجَشَّمَـهُ الشَّـوقُ الـذي تتجَشَّمُ[9]

التَّجَشُّم: التكلُّف[10].

ثُمَّ قالَ: فَزَارَ الغَيْثُ المُتَوَفَّاةَ التي زَارَتْ الخيلُ بِكَ[11] قَبْرَهَا؛ يُرِيدُ: أُمَّ

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) الصوب: الانصبابُ بالمطر.
(٣) في ت «سكبه».
(٤) في ر، ف «يثنه».
(٥) في ر، ف «يعقها».
(٦) في ر، ف «كلّه».
(٧) في ر، ف «ثم قال».
(٨) ساقطة من ر، ف.
(٩) في ر، ف «يَتجشَّمُ».
(١٠) «التجشم: التكلف» زيادة في ل.
(١١) في ر، ف «زارت بك الخيل».

سَيْفِ الدَّولَةِ، وَجَشَّمَهُ شوقُهُ إلى ذلك كالذي جَشَّمَكَ شَوْقُكَ، وأَسْعَدَكَ الغَيْثُ قاضِياً لِحَقِّكَ[1]، وَتَبِعَكَ مُعَظِّماً لِقَدْرِكَ، وعَلِمَ أَنَّ المُتَوَفَّاةَ تَلْزَمُ السَّحابَ زِيَارَتُها، وتَحِقُّ عليه كَرَامَتُها؛ لأَنَّها كانَتْ تَخْلُفُهُ بجُودِها، وَتَزِيدُ على صَوْبِهِ[2] بِكَرَمِهَا.

٢٥ ـ وَلَمَّا عَرَضْتَ الجَيْشَ كانَ بَهَاؤُهُ عَلى الفَارِسِ المُرْخِي الذُّؤَابَةِ مِنْهُمُ

الذُّؤابَةُ: الضَّفِيْرَةُ من شَعَرِ الرَّأْسِ، ويُسَمَّى بِذلكَ ما سُدِل من فَضْلِ العَمَامَةِ، وإلى هذا قَصَدَ أبو الطَّيِّبِ[3].

فيقولُ[4] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: ولَمَّا عَرَضْتَ الجيشَ وتَصفَّحْتَهُ[5]، كانَ بَهَاؤُهُ على عِظَمِ شَأْنِهِ، وتَكَاثُرِ شُجْعَانِهِ، على الفَارِسِ المُعْتَمِّ بَيْنَ جَمَاعَةِ المُتَجَفِّفِينَ، المُرخِي ذُؤَابَةَ عَمَامَتِهِ من بَيْنِ سَائِرِ المُغْتَفِرِينَ[6]. وهذا زِيُّ أُمَراءِ العَرَبِ في الحَرْبِ، وأَشَارَ بذلكَ إلى سَيْفِ الدَّولةِ.

٢٦ ـ حَوَالَيْهِ بَحْرٌ للتَّجافِيفِ مائِجٌ يَسِيرُ بِهِ طَوْدٌ من الخَيْلِ أَيْهَمُ

التَّجافِيفُ: جَمْعُ تِجْفَافٍ، وهو ضَرْبٌ من السِّلاحِ تَلْبَسُهُ الرِّجالُ والخَيْلُ، والطَّودُ: الجبلُ، والأَيْهَمُ: الطَّويلُ[7].

---

(١) «يريد... لحقك» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «بصوبها».

(٣) «الذؤابة... أبو الطيب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وصَفَّحْتَه».

(٦) كذا في ت، وفي ل، ر، ف «المُتَغَفِّرين»، والمغتفر المتخذ المِغْفَر وهو زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حَلَقٌ يتقنَّعُ بها المتسلح.

(٧) «التجافيف... الطويل» زيادة في ل.

ثُمَّ قالَ: حَوَالَيهِ من تَلأْلُؤِ السِّلاحِ، ولمَعَانِ التَّجافِيفِ، ما يُشْبِهُ البَحْرَ بِكَثْرَتِهِ، ويَحْكِيهِ ببَرِيقِ جُمْلَتِهِ، ويَسِيرُ بذلكَ البَحْرِ مَوْكِبٌ من الخَيْلِ كالجَبَلِ الأَيْهَمِ في اعتلائِهِ وازْدِحَامِهِ، واكتِنَازِهِ[1] واتِّصالِهِ.

٢٧ ـ تَسَاوَتْ بِهِ الأَقْتَارُ[2] حَتَّى كَأَنَّهُ يُجَمِّعُ أَشْتَاتَ الجِبَالِ وَيَنْظِمُ

القَتْرُ: الغُبارُ[3].

فيقولُ[4]: تَسَاوَتْ بِهذا الجيشِ العَجَاجاتُ، فَصَارَ ما يَثُورُ منها في الجَبَلِ الصَّلْدِ، كالَّذي يَثُورُ منها في القَرارِ الرَّخوِ، يُشِيرُ إلى أن[5] هذا الجَيْشَ يَسْحَقُ الجِبَالَ بِكَثْرَتِهِ، ويَحُطُّها[6] بِعِظَمِهِ، فَيَسْتَوِي الرَّهَجُ في السَّهْلِ والوَعِرِ، وفي الصُّلْبِ والرَّخوِ، ويَشْتَمِلُ العَجَاجُ على الجَمِيعِ، حَتَّى تَصِيرَ الجِبَالُ كأَنَّها في ذلكَ العَجَاجِ مُنْتَظِمَةٌ، وبما غَشِيَها[7] من الجَيْشِ مُتَّصِلَةٌ، وأَلَمَّ بقولِ النَّابِغَةِ[8]:

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الفَضَاءُ مُعَضَّلاً[9] يَدَعُ الإِكَامَ كأَنَّهُنَّ صَحَارى

٢٨ ـ وَكُلُّ فَتًى للحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ من الضَّربِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ

---

(١) في ر، ف «واكتناره».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «الأقطار».

(٣) في «القتر: الغبار» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يشير إلى هذا الجيش وأنه يَسْحق».

(٦) في ت «ويحطّمها» وهو تحريف.

(٧) في ت «عشيها» وهو تصحيف.

(٨) ديوانه: ص ٩٩.

(٩) في ت مُعَطَّلاً. وفي رواية ابن السكيت «جمع يظل به الفضاء مُعَضَّلاً» ومعنى «معضل» غاص، وهو مستعار من قولهم: عضلت المرأة بولدها، إذا تعسر خروجه حين الولادة.

العَجْمُ: الشَّكْلُ والنَّقْطُ[1].

ثُمَّ قالَ: وكُلُّ فَتًى؛ يُرِيدُ: حَوَالَيهِ كُلُّ فَتًى، قَدْ جَرَحَتْهُ[2] الحَرْبُ، وَوَسَمَهُ الطَّعْنُ والضَّرْبُ، ففي جَبِيْنِهِ للسُّيُوفِ آثارٌ مُسْتَطِيلَةٌ تُشْبِهُ[3] السَّطْرَ، وللأسِنَّةِ فيه نُكَتٌ[4] مُجْتَمِعَة تُشْبِهُ العَجْمَ، وأَشَارَ باعتِمَادِ الجِراحِ لوجوهِهِمْ، إلى شَجَاعَتِهم وبَأْسِهم، وإقْدَامِهم وصَبْرِهم.

٢٩ ـ يَمُـدُّ يَـدَيْـهِ فِي المُفَـاضَـةِ ضَيْغَمٌ وَعَيْنَيْـهِ مِنْ تَحْـتِ الـتَّرِيكَـةِ أَرْقَـمُ

المُفَاضَةُ: الدِّرعُ، والضَّيْغَمُ: الأسدُ، والتَّرِيكَةُ: البَيْضَـةُ، والأَرْقَمُ: الحَيَّةُ[5].

فيقولُ[6]: إنَّ هؤلاءِ الفِتْيَانَ الَّذينَ ذَكَرَهُمْ، كُلُّهُمْ أَسَدٌ[7] في شِدَّتِهِ، أَرقَمُ أُفعوانٌ في بَسَالَتِهِ، يَمُدُّ في دِرْعِهِ يَدَيْ أسدٍ؛ قُوَّةً وَشِدَّةً، ويَمُدُّ من تَحْتِ تَرِيْكَتِهِ عَيْنَيْ أَرقَمَ[8]؛ إقداماً وشَجَاعَةً.

٣٠ ـ كَـأَجْنَـاسِهـا رَايَـاتُهَـا وَشِعَـارُهـا وَمَـا لَبِسَتْـهُ والسِّـلَاحُ المُسَمَّـمُ[9]

الشِّعارُ: علامةٌ يُنَادَى بها في الحَرْبِ، والمُسَمَّمُ المُحسَّنُ المُزَيَّنُ[10].

---

(١) «العجم... والنقط» زيادة في ل.
(٢) في ت «قد خدد به».
(٣) في ر، ف «يشبه».
(٤) في ف «نكث». والنُّكَتَةُ: النقطة.
(٥) «المفاضة... الحيّة» زيادة في ل.
(٦) في ر، ف «ثم قال».
(٧) في ر، ف «أشد».
(٨) في ت «ويفتح من تحت تركته عينا أرقم».
(٩) في ر، ف «المتسمم».
(١٠) «الشعار... المزين» زيادة في ل.

ثُمَّ أشارَ إلى الخَيْلِ التي قَدَّمَ ذِكْرَها، فَقالَ: كأَجْنَاسِها[1] في الفَضْلِ والكَرَمِ أَجْنَاسُ راياتِها المؤَيَّدَةِ، وشِعَارُها المَنْصُورُ[2]، وما لَبَسَتْهُ من سِلاَحِها الشَّاكِ، وحَمَلَتْهُ من حَدِيْدِها الصَّقِيلِ المُحَسَّنِ.

٣١ ـ وأَدَّبَهَا طُولُ القِتَالِ فَطَرْفُهُ يُشِيرُ إليها من بَعِيدٍ فَتَفْهَمُ

يقولُ[3]: وأدَّبَ هذه الخيلَ طولُ ممارسَةِ[4] القِتَالِ، والتَّقَلُّبُ في شَدَائِدِ الحروبِ[5]، فَفارسُها يُشيرُ إليها على بُعْدٍ بما يَقْصِدُهُ[6] فَتَفْهَمُهُ، ويُومِىءُ إليها بما يُرِيدُه فَتَفْعَلُهُ[7].

٣٢ ـ تُجَاوِبُهُ فِعْلاً وَمَا تَسْمَعُ[8]الوَحَى[9] وَيُسْمِعُهَا لَحْظاً وَمَا يتكَلَّمُ

الوَحَى: الاسْتِعجالُ[10].

ثُمَّ قالَ: يُسْمِعُها فارسُهَا بِلَحْظِهِ دونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وتُجاوِبُهُ بِفِعْلِها دونَ أن تُسَتَعْجَلَ.

٣٣ ـ تَجَانَفُ عن ذَاتِ اليَمِينِ كَأَنَّها تَرِقُّ لَمِيَّافارِقَيْنَ وَتَرْحَمُ

---

(١) كذا في ر، ف، ت وفي ل «كأن أجناسها».

(٢) في ت «المنصورة».

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ت «ممارستها».

(٥) في ف «الحرب».

(٦) «بما يقصده» زيادة في ل.

(٧) في ت «وقال ابن الافليلي: أدب هذه الخيل... ففارسها يشير إليها من بعيد فتفهم، ويومىء إليها بما يريد فتفعل».

(٨) في رواية التبيان «وما تعرف».

(٩) في ر، ف «الوحي» بالياء.

(١٠) «الوحى: الاستعجال» زيادة في ل.

التَّجانُفُ: المَيْلُ والعُدُولُ[1] وَمَيَّافَارقينَ: مَدِيْنَةٌ من العَوَاصِمِ، كانَ عَسْكَرُ سيفِ الدَّولةِ بقُرْبِها، فَيَقولُ: إنَّ هذه الخيلَ تتجانَفُ عن ذاتِ اليمينِ، وهُنَاكَ كانَتْ هذهِ المَدِينةُ المذكورةُ، فكأنَّها تَعْدِلُ عَنْها مُشْفِقَةً، وتُجَانِبُها في سَيْرِها مُتَرَحِّمةً.

٣٤ - وَلَوْ زَحَمَتْهَا بِالمَنَاكِبِ زَحْمَةٌ دَرَت أَيُّ سُوْرَيْهَا[2] الضَّعيفُ المُهَدَّمُ

ثُمَّ قالَ: ولو زاحَمَتْهَا هذه الخَيْلُ بِمَناكِبِها، وصَادَمَتْهَا بمَوَاكِبِها؛ لأَيْقَنَتْ أَنَّ سُورَ هذه المَدِيْنَةِ مَعَ شِدَّةِ قُوَّتِه، وشُهْرَةِ مَنْعَتِهِ، كان يَعْجَزُ عن زِحَامِ[3] سُورِ هذه الخَيْلِ ويَنْخَرُ[4]، وَيَضْعُفُ دونَ ذلك وَيَتَهَدَّمُ. وأَشَارَ بهذا الوَصْفِ إلى عِظَمِ هذا الجيشِ، وجَعَلَ لِلْخَيلِ سُوراً، أَخبرَ عنهُ على طريقِ الاستِعَارةِ.

٣٥ - عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنَ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنَ اللَّحْمِ يُطْعَمُ

الطَّاوي: الضَّامِرُ البَطْنِ[5].

فَيقولُ[6]: إنَّ فُرْسانَ هَذا الجَيْشِ، كُلُّهم طَاوٍ في خَلْقِهِ، ضَرْبٌ[7] في

---

(١) «التجانف... العدول» زيادة في ل.

(٢) في رواية التبيان «سورَيْنا» وهي رواية ابن جني أيضاً، وسورَيْنا: يعني «سور الخيل وسور البناء، ومن روى بالهاء عادت الكناية إلى الخيل والبلدة جميعاً، واستعار لقوة الخيل اسم السور لما كانت قوة البلدة بالسور» (انظر شرح الواحدي ص ٤٤٤ والتبيان ٣/٣٥٩).

(٣) كذا في ل وت، وفي ر، ف «حزام».

(٤) في ر، ف «وينخرب» وهو تحريف.

(٥) «الطاوي الضامر البطن» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) الضَّرْب: الرجل الخفيف اللحم.

جِسْمِهِ، على خَيْلٍ كلُّها طاوٍ بَطْنُهُ، مَجْدولٌ خَلْقُهُ، كأنَّما يُسْقَى من[1] الدَّمِ، فهو يَتَجَرَّعُهُ ولا يَسْتَكْثِرُ، ويُطْعَمُ اللَّحمَ، فهو يَتَبَلَّغُ به ولا يَسْتَبْطِنُ[2].

٣٦ ـ لها في الوَغَى زِيُّ الفوارسِ فَوْقَها ... فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَلَثِّمُ

٣٧ ـ وَمَا ذاكَ بُخْلاً بالنُّفوسِ عَلَى القَنَا ... وَلَكنَّ صَدْمَ الشَّرِّ بالشَّرِّ أَحْزَمُ

الحِصَانُ: الذَّكَرُ من الخَيْلِ[3].

ثُمَّ قالَ: وهذه الخيلُ بالدُّروعِ مُشْمِلَةٌ، وفي الجَوَاشِنِ[4] مُتَلَثِّمَةٌ، وفي[5] زِيِّ فُرْسَانِها، وعَلَى حالِ رُكْبَانِها، وَلَيْسَ ذلك فَرَقاً من المَوْتِ، وتَهَيُّباً للسِّلاحِ، ولكنَّ الحزمَ أن يُصْدَمَ الشَّرُّ بِمِثْلِهِ، وَيُتَقَدَّمَ إليهِ بِشَكْلِهِ.

٣٨ ـ أَتَحْسِبُ بِيضُ الهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَها ... وَأَنَّكَ مِنها؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ

يقولُ[6]: أتحْسِبُ سُيوفُ الهِندِ مَعَ جَلاَلَتِها ورِفْعَتِها، ونَفَاذِها وهَيْبَتِها، أَنَّكَ منها، بِمُشَاكَلَتِها[7] لكَ في الاسمِ، وَمُوافَقَتِها لكَ في اللَّقَبِ؟ ساءَ[8] ما ظَنَنْتَهُ، وخَابَ سَعْيُها فيما تَوَهَّمْتَهُ! إنَّ[9] السُّيوفَ بَعْضُ آلاتِكَ؛ تُصَرِّفُها ولا تُصَرِّفُكَ، وَتَسْتَعْمِلُها ولا تَسْتَعْمِلُكَ.

---

(١) ساقطة من ر، ف.

(٢) في ف «ولا يتبطر» وفي ر «يستبطر».

(٣) «الحصان: الذكر من الخيل» زيادة في ل.

(٤) الجواشن: جمع جوشن وهو الصدر والدرع.

(٥) الواو ساقطة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «لمشاكلتها».

(٨) كذا في ر، ف، ت وفي ل «لقد ساء».

(٩) في ر، ف، ت «والسيوف».

٣٩ ـ إذا نَحنُ سَمَّينَـاكَ خِلْنَـا سُيُـوفَنَـا مِـن التِّيـهِ في أَغْمَـادِهـا تَـتَبَسَّمُ

ثمَّ قَالَ: إذا نحنُ سَمَّينَاكَ بِسَيْفِ الدَّولةِ، خِلْنَا سُيُوفَنَا في أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ، مُزْدَهِيَةً[1] بكَ، وتتكبَّرُ بادِّعائِها لكَ.

٤٠ ـ ولم نَـرَ مَلْكـاً قَطُّ يُـدْعى بِـدونِـهِ فَيَـرْضَى وَلَكِـنْ يَجْهَـلُونَ وَتَحْلُمُ[2]

يقولُ[3]: ولم نَرَ مَلْكاً قَبْلَكَ يُدْعَى بدونِهِ، ويُلَقَّبُ بما يَتواضَعُ عن قَدْرِهِ، فَيَرْضَى ويَصْبِرُ، ويُغْضِي ويَغْتَفِرُ، ولكنَّهم يجهلُونَ وتَحْلُمُ، ويُقَصِّرونَ عن حَقِيْقَةِ وَصْفِكَ فَتَكْرُمُ.

٤١ ـ أَخَـذْتَ عـلى الأرواحِ[4] كُـلَّ ثَنِيَّـةٍ مِنَ العَيْشِ تُعْـطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْـرِمُ

الثَّنِيَّةُ: الطَّريقُ في رَأْسِ الجَبَلِ[5].

فيقولُ[6]: أَخَذْتَ على نفوسِ[7] النَّاسِ بمجامِعِ الطُّرقِ. يُشيرُ بذلكَ إلى قُوَّةِ مُلْكِهِ، وتَمَكُّنِ أَمْرِهِ. فَأَنْتَ تُعْطِي مَنْ أَطَاعَكَ ورَجَاكَ[8]، وتَحْرِمُ مَنْ خَالَفَكَ وعَصَاكَ، عَالِماً بما تَفْعَلُهُ، قَادِراً على ما تَقْصِدُه، تُسْعِدُكَ[9] الأَقْدَارُ على إرادَتِكَ، وتُسَهِّلُ لكَ وجُوهَ رَغْبَتِكَ.

---

(١) في ر «من وهيه» وهو تحريف.

(٢) ي ر، ف «ويحلم».

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في رواية التبيان «الأعداء».

(٥) «الثَّنِيَّةُ... الجبل» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم قال».

(٧) في ر، ف «أنفس».

(٨) كذا في ر، ف، ت، وساقطة من ل.

(٩) في ل «وتسعدك».

٤٢ ـ فَلاَ مَوْتَ إلاَّ مِنْ سِنَانِكَ[1] يُتَّقَى ولا رِزْقَ إلاَّ من يَمِينِكَ يُقْسَمُ

ثُمَّ قَالَ: فَلَسْنَا[2] نَعْلَمُ قَتْلاً يُتَّقَى[3]، إلاَّ من[4] سِلاحِكَ في وَقَائِعِكَ[5]، ولَسْنا[6] نَعْلَمُ عَطَاءَ يُقْصَدُ[7]، من[8] غَيْرِ هِبَاتِكَ ومَكَارِمِكَ.

---

(١) في ر، ف «سنامك».

(٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «لا نعلم».

(٣) في ر، ف «يحذر».

(٤) ساقطة من ر، ف.

(٥) في ل «ووقائعك» وفي ت «في وقعك».

(٦) كذا في ر، ف، ت، وفي ل «ولا نعلم».

(٧) كذا في ر، ف ت. وفي ل «يقسم».

(٨) ساقطة من ر، ف، وفي ل «إلاَّ من هباتك».

وضُرِبَ[١] لِسَيْفِ الدَّولةِ بَيَّافَارقينَ خَيْمَةٌ كَبيرةٌ، وأَشَاعَ الناسُ أن المُقَام يَتَّصِلُ[٢] . وَهَبَّتْ ريحٌ شَدِيدَةٌ، فَسَقَطَتِ الخَيْمَةُ، وتَكَلَّمَ الحُسَّادُ عِنْدَ سُقُوطِها، فَقَالَ أبو الطَّيِّبِ:

١ - أَيَنْفَعُ في الخَيْمَةِ العُذَّلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهْرَها يَشْمَلُ

يقولُ: أَيَنْفَعُ في[٣] الخَيْمَةِ أن تُلامَ بِفِعْلِها، وتُعْذَلُ على سُقُوطِها؟ وعُذْرُها بَيِّنٌ، والمُوجِبُ لِفِعْلِها ظَاهِرٌ. وكَيْفَ لها أن تَشْمَلَ[٤] مَنْ يَشْمَلُ الدَّهرَ بِسُلْطَانِهِ، وَيُجِيرُ عليهِ بِإِحْسَانِهِ!

٢ - وتَعْلُو الذي زُحَلٌ تَحْتَهُ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ ما تُسْأَلُ[٥]

ثُمَّ قالَ[٦]: وكَيْفَ تَعْلُو مَنْ يتواضَعُ زُحَلٌ عن رِفْعَتِهِ، ويَقْصُرُ دُونَ بُلوغِ مَنْزِلَتِهِ؟ مُحَالٌ[٧] ما تَسْأَلُهُ، وممْتَنِعٌ ما تَحْمِلُهُ.

٣ - فَلِمْ لا تَلُومُ الذي لامَها وَمَا فَصُّ خَاتِمِهِ يَذْبُلُ

ثُمَّ قالَ: و[٨]لِمَ لا تَلُومُ هذه الخَيْمَةُ لائِمَها على سُقُوطِها، والرَّئيسُ

---

(١) في ر، ف «وضربت».

(٢) «وأشاع... يتصل» زيادة في ل، وكذا في شرح الواحدي، وزاد في ت «بها».

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) كذا في ر، ف، ت وفي ل «تشتمل».

(٥) كذا في رواية التبيان أيضاً وفي رواية الواحدي «تَسْأَلُ» بفتح التاء وأشار إلى رواية ضم التاء بقوله «ومن ضم التاء أراد ما تسأل الخيمة من ذلك» (٢/٤٤٦).

(٦) «ثم قال» زيادة في ر، ف.

(٧) في ت «فحال».

(٨) في ت «قال ابن الأفليلي: لم لا تلوم من لامها، وتقول له: إن الرئيس تَهَيَّبْتُه، واعجزني الاشتمال عليه، يقصر...»

الذي تَهَيَّبْتَهُ، وأَعْجَزَها الاشْتِمالُ عليه، يُقَصِّرُ يَذْبُلُ[1] مَعَ عِظَمِهِ عَنْ فَصِّ خَاتِمِهِ، وَيَخِفُّ عِنْدَ رِكابَتِهِ[2] كخِفَّتِهِ، وَيَقِلُّ عِنْدَ جَلالَتِهِ كَقِلَّتِهِ؟

٤ ـ تَضِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُها وَيَرْكُضُ في الوَاحِدِ الجَحْفَلُ

ثُمَّ قالَ، مُخَاطِباً لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَضِيْقُ أَرْجَاءُ[3] هذه الخَيْمَةِ بِشَخْصِكَ إِعْظَاماً له، وفي الوَاحِدِ من تِلْكَ[4] الأَرجاءِ يَرْكُضُ الجَيْشُ العَظيمُ، ويتصرَّفُ الجَمْعُ الكَبِيرُ، فإنما ضَاقَتْ بكَ على طريقِ الإجلالِ لَكَ.

٥ ـ وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ في جَوْفِها وَيُرْكَزُ[5] فِيها القَنَا الذُّبَّلُ

ثمَّ قالَ: وتَقْصُرُ عِنْدَ كَوْنِكَ في جَوْفِها، مُكْبِرَةً للاشْتِمالِ عليكَ، وتَضْطَرِبُ مُسْتَعْظِمَةً للاسْتِعْلاءِ فَوْقَكَ، وذلك لِجَلالَتِكَ لا لِصِغَرِها وقِصَرِها[6]، ولِهَيْبَتِكَ لا لِتَطَأْطُؤِها؛ لِأَنَّ القَنَا الذُّبَّلَ تُرْكَزُ فيها لِعُلُوِّها، وتَقْصُرُ عنها لارتِفَاعِها.

٦ ـ وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى راحةٍ كَأَنَّ البِحَارَ لها أَنْمُلُ

ثُمَّ قَالَ، باسِطاً لِعُذْرِ الخَيْمَةِ في سُقُوطِها: وكيفَ تَقُومُ هذه الخَيْمَةُ[7] مُشْتَمِلَةً على مَنِ البحارُ كالأَنْمُلِ لِرَاحَتِه، يَعُمُّها[8] بأَيْسَرِ جُودِهِ، ويَزيدُ عليها بأَقلِّ بَذْلِهِ؟

---

(١) يَذْبُلُ: جبل مشهور الذكر بنجد، ويقال إنه جبل لباهلة، وله ذكر في شعر العرب، ذكره امرؤ القيس والنابغة الجعدي.

(٢) في ت «رزانته».

(٣) الأرجاء: النواحي، واحدها رجا ويمدُّ رجاء، والتثنية رَجَوان.

(٤) في ف «وفي الواحد منك الأرجاء».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «وتُرْكَزُ».

(٦) كذا في ف وت وساقطة من ر.

(٧) «هذه الخيمة» ساقطة من ت.

(٨) في ت «يغمرها».

٧ ـ فَلَيْتَ وَفَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَّلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ

ثُمَّ قالَ: فَلَيْتَكَ أَيُّها الرَّئيسُ فَرَّقْتَ وفَارَكَ وقَسَّمْتَهُ، وشارَكْتَ فيهِ وَبَعَّضْتَهُ[١]، وحَمَّلْتَ الأَرْضَ منه[٢] ما تَحْمِلُهُ، وكَلَّفْتَها ما تَبْلُغُه!

٨ ـ فَصَارَ الأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدْتَهُمُ بالذي تَفْضُلُ[٣]

ثُمَّ قالَ: فَكَانَ في ذَلكَ ما يَصِيرُ الأَنَامُ به سَادةً بِمِثْلِهِ، ورؤَسَاءَ[٤] بما يَصِلُ إليهم من فَضْلِهِ، وكَانَ فيما يَفْضُلُ عَنْهُمْ ما تَسُودُ به جَمَاعَتُهُمْ، وَتَسْتَحِقُّ مَعَه رِيَاسَتُهم.

٩ ـ رَأَتْ لَوْنَ وَجْهِكَ[٥] في لَوْنِهَا كَلَوْنِ الغَزَالَةِ[٦] لا يُغْسَلُ

ثُمَّ قالَ: رَأَتْ هذه الخيمةُ لَوْنَ وَجْهِ سَيْفِ الدَّولةِ في لَوْنِها، وتَلأْلُؤَ حُسْنِهِ في حُسْنِها، كَنُورِ الشَّمسِ يُشْرِقُ[٧] ولا يُغْسَلُ، ويُضِيءُ ولا يُغَيَّرُ[٨].

١٠ ـ وَأَنَّ لها شَرَفاً بَاذِخاً وَأَنَّ الخِيَامَ بها تَخْجَلُ

ثُمَّ قالَ: وَرَأَتْ أَنَّ لَهَا بِهِ شَرَفاً بَاذِخاً[٩]، واعتلاءً ظَاهِراً، وأنها تُخْجِلُ الخيامَ بِعَجْزِها، وتَحْقِرُها بِجَلالةِ قَدْرِها.

---

(١) ساقطة من ت.

(٢) «منه» ساقطة من ت.

(٣) في رواية الواحدي والتبيان «يَفْضُل» ـ وفَضَل فيه لغات، أفضلها بفتح العين ماضياً، ومثله: دَخَل يَدْخُل.

(٤) في ر، ف «وروسا».

(٥) في رواية الواحدي والتبيان «نُورِكَ».

(٦) الغزالة: الشمس لأنها تمد حبالاً كأنها تغزل، أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها.

(٧) في ت «تشرق».

(٨) في ت «يتغير».

(٩) الباذخ: العالي.

١١ ـ فـلا تُـنْـكِـرَنَّ لهـا صَـرْعَـةً فَمِنْ فَـرَحِ[1] النَّفْسِ مـا يَـقْـتُـلُ

ثمَّ قالَ: وغَيْرُ بَدِيعٍ أَنْ يَصْرَعَهَا طَرَبُها، وَيسْتَخِفَّها فَرَحُها، فَمِنَ الفَرَحِ ما يَقْتُلِ بِشِدَّته[2]، ومن الطَّربِ ما يَضُرُّ بِزِيَادَتِه.

١٢ ـ وَلَـوْ بُـلِّغَ النَّـاسُ مَـا بُـلِّغَـتْ لَخَـانَـتْهُـمُ حَـوْلَـكَ الأَرْجُـلُ

ثُمَّ قالَ: ولو بُلِّغَ النَّاسُ العُقَلاءُ ما بُلِّغَتْهُ هذه الخَيْمَةُ، من الصِّيانَةِ لكَ، والاتِّصالِ بك، والاشْتِمالِ عليكَ، لخَانَتْهُم أَرْجُلُهم، فَلَمْ تَحْمِلْهُم[3]، وصَرَعَهُم فَرَحُهم، ولم[4] يُمْهِلْهُم.

١٣ ـ وَلَـمَّـا أَمـرتَ بِـتَـطْنِـيْـبِـهـا أُشِـيْـعَ بِـأَنَّـكَ لا تَـرْحَـلُ

ثُمَّ قـالَ لِسَيْفِ الدَّولـةِ: ولما أَمَرْتَ بِنَصْبِ هـذه الخَيْمَـةِ، ومـدِّ[5] أَطْنَابِها[6]، أَشَاعَ النَّاسُ أَنَّ ذلكَ لِأَمرٍ وَقَّفَكَ عن الرَّحيلِ، وعُذْرٍ ثَبَّطَكَ عن الغَزْو.

١٤ ـ فـمـا اعْـتَـمَـدَ الـلَّهُ تَـقْـويـضَـهـا وَلَـكِـنْ أَشَـارَ بِـمـا تَـفْـعَـلُ

فَلَمْ يَكُنْ سُقُوطُها إِرَادةً من اللهِ، لِحَطِّ ما رَفَعْتَهُ مِنْها، ولَكِنْ نَبَّهَكَ على الرَّحيلِ الذي أَعْرَضْتَ عنـه، وأَرَاكَ[7] رُشْدَكَ في النُّهـوضِ الذي أَخَّـرْتَ أَمْرَه.

---

(١) في ر، ف «شرف» وهو تحريف.

(٢) في ت «لشدّته».

(٣) كذا في ت وفي ر، ف «يحملهم».

(٤) في ت «فلم».

(٥) في ت «ولما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمدّ أطنابها».

(٦) الأَطْنَابُ: جمع طُنُب. وهي حبال البناء الطويلة، التي يُشَدُّ بها سرادق البيت أو الوتد.

(٧) في ت «وأراد».

١٥ ـ وَعَـرَّفَ أَنَّـكَ مِـنْ هَمِّـه وَأَنَّـكَ فِي نَـصْـرِهِ تَـرْفُـلُ

ثُمَّ قالَ: وأَبانَ أَنَّه يَذْكُرُكَ رَاضِياً عنكَ، وَيَنْصُرُكَ مانعاً منكَ، ففي نَصْرِهِ تَرْفُلُ[١]، وفي تَأْييدِهِ تَتَقَلَّبُ.

١٦ ـ فـما الـعَـانِـدُونَ ومـا أَثَّـلُوا[٢]؟ وَمَـا الحاسِـدونَ ومـا قَـوَّلُـوا؟

ثُمَّ قالَ: وما قَدْرُ العانِدينَ وما جَمَعُوهُ، وما بَلْغُ حَسَدِهم، ومَبْلَغُ ما اختَلَقُوهُ، إذا اقتَرَنَ ذلك بِجَلالَةِ سُلْطَانِكَ، واستَضَافَ[٣] إلى عُلوِّ مَكَانِكَ.؟

١٧ ـ هُـمُ يَـطْلُبـونَ فَـمَـنْ أَدْرَكـوا؟ وَهُـمْ يَكْـذِبُـونَ فـمن يَـقْـبَـلُ؟

ثُمَّ قالَ: هم يَجْتَهِدُونَ في الطَّلَبِ، فَسَلْهُم أينَ مَنْزِلَةُ مَنْ أَدْرَكوه مِنْ نُظَرَائِهم مِنْ مَنْزِلَتِكَ؟ وأينَ مَحَلُّهم مِنْ عُلوِّ رُتْبَتِكَ؟ وهم يَكْذِبُونَ، فَسَلْهُمْ عَمَّن يَقْبَلُ كَذِبَهم، ويَسْمَعُ إفْكَهُمْ، هل أُولَئِكَ إلاَّ طَغَامُ[٤] لا يُحْفَلُ بهم، وَهَمَجٌ لا يُعَرَّجُ عليهم؟

١٨ ـ وَهُـمْ يَـتَـمَـنَّـوْنَ مـا يَـشْـتَـهُـونَ وَمِـنْ دُونِـهِ جَـدُّكَ المُـقْـبِـلُ

ثُمَّ قالَ: وهم يَتَمَنَّونَ من الظُّهورِ عَليكَ، بِحَسَبِ ما تَبْلُغُهُ شَهَواتُهم، ويَعْتَرِضُهُم دونَ ذلكَ، إقبالُ جَدِّكَ، وتَمَكُّنُ سَعْدِكَ، وما يَتَكَفَّلُ[٥] اللَّهُ به من إعلاءِ أَمْرِكَ.

---

(١) ترفل: تتبختر.

(٢) كذا في رواية الواحدي أيضاً، وفي رواية التبيان «وما أَمَّلوا»
أَثَّلوا: جمعوا

(٣) في ت «واستطاف».

(٤) الطَغَامُ: أوغادُ الناس، والهَمَجُ: الحمقى من الناس الذين يغلب عليهم سوء التدبير.

(٥) في ت «وما تكفل».

١٩ ـ وَمَـلْمـومَـةٍ[١] زَرَدٌ ثَـوْبُهـا ولـكِـنَّـهُ بـالـقَـنَـا مُخْـمَـلُ

يَقُولُ لِسَيْفِ الدَّولةِ: وربَّ كَتيبةٍ لكَ، لِباسُ فُرْسَانِها الـدُّروعُ، حَتَّى كَأَنَّها منها في ثَوْبٍ شَامِلٍ، ولِباسٍ سَابِغٍ، إلا أن ذلكَ الثَّوبَ مُخْمَلٌ بالرِّمَاحِ البَادِيةِ منه[٢]، مُشَعَّبٌ[٣] بالقَنا المُتَشَاجِرةِ[٤] فيه.

٢٠ ـ يُـفَـاجِـىءُ جَـيْـشَـاً بِـهَـا حَـيْـنُـهُ وَيُـنْـذِرُ جَيْـشَـاً بِـهَـا الْـقَـسْـطَلُ

ثُمَّ قالَ: إذا فَاجَأَتْ[٥] تلكَ الكَتِيبَةُ جَيْشَاً فاجَأَهُ بها حَيْنُهُ، وقابَلَهُ منها حَتْفُه، ويَقْدُمَها عند إيقاعِها به من عَجَاجِ خَيْلِها، ورَهَجِ غُبَارِها، ما يُنْذِرُ غَيْرَ ذَلِكَ الجَيْشِ بأمرِها، ويَهْزِمُهُ بِتَوَقُّعِ بأسِهَا.

٢١ ـ جَـعَـلْتُـكَ بِـالـقَـلْبِ لي عُـدَّةً لِأَنَّـك بـالْـيَـدِ لا تُجْـعَـلُ

ثُمَّ قالَ: جَعَلْتُكَ بالقَلْبِ لي[٦] عُدَّةً أعتَدُّها، وعِصْمَةً أعتَقِدُهَا؛ لِأَنَّك أَرْفَعُ من أن تُصَرَّفَ فتُنْقَلُ، وتُتَنَاوَل باليَدِ فَتُجْعَلُ.

٢٢ ـ لَـقَـد رَفَـعَ الـلَّهُ مـن دَوْلَـةٍ لَهَـا مِـنْـكَ يـا سَيْـفُهـا مُـنْصُـلُ

---

(١) في رواية الواحدي والتبيان «وملمومةً» بالرفع عطفاً على المبتدأ في قوله «وجدّك المقبل». وأشار صاحب التبيان إلى رواية الأفليلي بالخفضُ بقوله: «وروى ابن **الأفليلي** وملمومةٍ بالخفض، قال: ورب ملمومة لك لباس أهلها الحديد».
(التبيان ٣/٧١).

(٢) في ت «ومتنه».

(٣) في ت «متشعب».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ق «المتشاجر».

(٥) في ف «فاجت».

(٦) ساقطة من ت.

ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ شَأْنَ دَوْلَةٍ صَيَّرَكَ سَيْفَهـا، وأَنْتَ مَلِكُ الْمُلُوكِ [وجَعَلَكَ][1] مُنْصُلُها، وأنتَ أميرُ الأُمَراءِ[2].

٢٣ ـ فـإن طُبِعَتْ قَبْلَكَ[3] الْمُرْهَفَـاتُ فـإنَّـك مِـنْ قَـبْـلِهـا الْمُفْـصَـلُ

يقولُ: فإن تَقَدَّمَتْكَ السُّيوفُ بِزَمَانِ طَبْعِها، وَسَبَقَتْكَ بِوَقْتِ صِنَاعَتِها، فَأَنْتَ تَسْبِقُها[4] بِنَفَاذِ أَمْرِكَ، وَتَتَقَدَّمُها[5] بِمَضَاءِ عَزْمِكَ.

٢٤ ـ وإن جَـادَ قَـبْـلَك قَـوْمٌ مَـضَـوْا فـإنَّـكَ في الـكَـرَمِ الأَوَّلُ

ثُمَّ قالَ: وإن تَقَدَّمَكَ أَجْوَادٌ سَلَفَتْ أعمَارُهُم، وَتَرَاخَتْ مُدَدُهُم، فَأَنْتَ تَتَقَدَّمُهم[6] بِعُمُومِ جُودِكَ، وتَسْبِقُهُم[7] بِسُبُوغِ كَرَمِكَ، فـإنْ[8] تَقَدَّمـوكَ بالزَّمانِ، فَأَنْتَ تَتَقَدَّمُهُم[9] بالإحْسَانِ.

ثُمَّ قالَ: وكَيْفَ تُقَصِّرُ[10] عن غَايةٍ من الفَضْلِ، ومَنْزِلَةٍ من الكَرَمِ والبَأْسِ، والأُسْدُ وَلَدَتْكَ، وثُدِيُها أَرْضَعَتْكَ؟

٢٥ ـ وَكَـيْـفَ تُـقَصِّرُ عـن غَـايـةٍ وأُمُّـكَ مِـنْ لَـيْـثِـهـا مُـشْـبِـلُ

---

(١) لعل هذه الكلمة أقرب ما يكون إلى السياق، إذ هي في الأصل ملغاة في المتن، ورسمها هكذا «ويعلك و» ومشار إلى تصويبها في الهامش ولكنها ساقطة منه.

(٢) في ت «لقد رفع الله دولة، يريد الخلافة، جعلتك سيفها وأنت ملك الملوك، وجعلتك منصلها وأنت أمير الأمراء» (٣/٧١).
والمنصل: السيف.

(٣) في ر، ف «طَبِعَتْ قلبك» وهو تحريف.

(٤) في ت «سبقتها».

(٥) في ت «وتقدّمتها».

(٦) في ت «تقدمتهم».

(٧) في ت «وسبقتهم».

(٨) في ت «وإن».

(٩) في ت «تقدمتهم».

(١٠) كذا في ت وفي ر، ف «يقصر».

٢٦ ـ وَقَـدْ وَلَـدَتْـكَ فَـقَـالَ الـوَرَى أَلم تَـكُـنِ الـشَّـمْسُ لا تَـنْـجُـلُ[١]

ثُمَّ قالَ: وَقد[٢] وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وهي الشَّمسُ في رِفْعَةِ قَدْرِها، وجَلاَلَةِ أَمْرِها، فاستَعْظَم النَّاسُ أن يَكُونَ مِثْلُها يَلِدُ، ومن صَارَ في مِثْلِ مَنْزِلَتِها يَنْسِلُ[٣]، فكيفَ بكَ وأُمُّكَ الشَّمْسُ جَلاَلَةً ورِفْعَةً، وأبوكَ[٤] الأَسَدُ صَرَامَةً وشِدَّةً؟

٢٧ ـ فَـتَـبًّـاً لِـديـنِ عَبِـيـدِ الـنُّـجـومِ وَمَـنْ يَـدَّعِـي أَنَّها تَـعْـقِـلُ

ثُمَّ يَقُولُ: فَأَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحَابَ النُّجُومِ، والمُصَدِّقينَ بها، وعَبِيدَها المُعَظِّمِينَ لها، وأبعدَ اللَّهُ[٥] القائلينَ: إنَّها عَاقِلَةٌ مُمَيِّزَةٌ، وعالِمَةٌ مُدَبِّرَةٌ.

٢٨ ـ وَقَـدْ عَـرَفَـتْـكَ فَـمَا بَـالُهَـا تَـرَاكَ تَـرَاهَـا ولا تَـنْـزِلُ

وقد عَرَفَتْكَ وشَاهَدَتْكَ، وأَبْصَرَتْكَ وتَبَيَّنَتْك، فما بَالُها تَراكَ تَنْظُرُ إليها ولا تَنْزِلُ خَاضِعةً لك، وَتَنْحَطُّ من أماكِنها مُتَوَاضِعَةً عَنْكَ؟ وهي في الحَقِيقةِ لا تَبْلُغُ رُتْبَةَ فَضْلِكَ، ولا تُقَارِبُ جَلاَلَةَ قَدْرِكَ.

٢٩ ـ وَلَـوْ بِـتُّـمَا عِـنْـدَ قَـدْرَيْـكُـمَا لَـبِـتَّ وأَعْـلاكُـمَا الأَسْـفَـلُ

يقولُ: وَلَو بِتُّمَا، ومَوْضِعُ كُلِّ واحدٍ مِنكُمَا على حَسَبِ فَضْلِهِ، ومَكَانُهُ حَيْثُ يَسْتَحِقُّ بِقَدْرِهِ، لِبتَّ في مَوَاضِعِ النُّجومِ، وبَاتَتْ في مَوْضِعِكَ، تَعْلُوها وتَسْفُلُ مِنْكَ، وَتَسْبِقُهَا وتَتَواضَعُ عَنْك.

---

(١) في رواية الواحدي «تُنْجَلُ» وقال في شرح ذلك «يقول لما ولدتك أمك كنت شمساً في رفعة المحل ونباهة الذكر فقال الناس ألم تكن الشمس لا تولد وكيف ولدت هذه المرأة شمساً ومن روى «لا تَنْجلُ» جعل أمّه الشمس والمعنى فقالوا ولدت الشمس وهي لا تلد جعل الممدوح لعلو قدره كأنه نجل الشمس، والأول أجود وأمدح.

(٢) في ت «ولما».

(٣) في ت «استعظم الناس أن يلد مثلُها، ومن صار في عظم منزلتها نسلاً».

(٤) كذا في ت، وفي ر، ف «وآباؤك».

(٥) ساقطة من ف.

٣٠ ـ أَنَلْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَّلَتْ[1] أَنَالَكَ رَبُّكَ مَا تَأْمُلُ

ثُمَّ قَالَ: أَنَلْتَ عَبِيْدَكَ، وَهُم العِبَادُ، ما أَمَّلُوهُ من فَضْلِكَ، وحَقَّقْتَ رَجَاءَهُم فيما اسْتَدْعَوْهُ من كَرَمِكَ، أَنَالَكَ رَبُّكَ[2] ما تَأْمُلُهُ، وأَيَّدَكَ على ما تَقْصِدُهُ، وتَكَفَّلَ لك بِتَقْرِيبِ ما تُرِيدُهُ.

(١) في رواية الواحدي والتبيان «ما أمَّلوا».

(٢) كذا في ل، ت، وفي ر، ف «الله».

وَرَكِبَ سَيْفُ الدَّولَةِ في بَلَدِ الرُّومِ، من مَنْزِلٍ يُعْرَفُ بالسَّنَبُوسِ[١]، في جُمادَى الأُولى سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثِينَ وثَلاثِمائةٍ. وأَصْبَحَ وقد صَفَّ الجَيْشُ قاصداً سَمَنْدو[٢]، وكانَ أَبو الطَّيِّبِ مُتَقَدِّماً، فالتَفَتَ فرآهُ وقد خَرَجَ من الصُّفوفِ يُدِيرُ[٣] رُمْحاً بِيَدِهِ، فَرَجَعَ إليه، فَسايَرَهُ، وأَنْشَدَهُ:

١ - لِهذا اليومِ بَعْدَ غدٍ أَرِيجُ ... وَنارٌ في العَدُوِّ لها أَجِيجُ

الأَرِيجُ: الفَوْحُ، وأَجِيجُ النَّارِ: اشْتِعالُها[٤].

فيقولُ[٥]: لهذا اليومِ بَعْدَ غدٍ، بِطِيِّبِ ذِكرِهِ، وكريمِ خَبَرِهِ، ومَشْكورِ أَثَرِ سَيفِ الدَّولةِ فيه، فَوْحٌ يَتَضَوَّعُ، وَطِيْبٌ يَعْبَقُ، وَنَبأٌ[٦] مَحْمودٌ يُؤْثَرُ.

٢ - تَبِيْتُ بِهِ الحَواصِنُ آمِناتٍ ... وَتَسْلَمُ في مَسالِكِها الحَجِيجُ[٧]

الحَواصِنُ: العَفائفُ، واحِدَتُهُنَّ حَصانٌ[٨].

ثُمَّ قالَ: يُشيرُ إلى ما يُوْقِعُهُ سيفُ الدَّولةِ في ذلكَ اليومُ بالعَدوِّ، وأَنَّ ذلك يُوجِبُ لَهُ[٩] من قوَّةِ سُلْطانِه، ما[١٠] تَأْمَنُ به الحَواصِنُ من نِساءِ

---

(١) السَّنَبُوس: موضع في بلاد الروم قرب سمندو (معجم البلدان ٣/٢٦١).

(٢) سمندو: حصن متوسط في بلاد الروم، وهو منها في أولها.

(٣) في ف «يريد».

(٤) «الأريج... اشتعالها» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «يقول».

(٦) في ر، ف «وثناء».

(٧) في رواية الواحدي «بها» وفي رواية التبيان «الحواضن». وفي ر، ف «وَيَسْلَمُ».

(٨) «الحواصن... حصان» زيادة في ل.

(٩) في ر، ف «فيوجب ذلك».

(١٠) في ر، ف «وما».

الثُّغورِ، وما[1] يَسْلَمُ مَعَهُ السَّالِكُونَ لِطُرقِ الحَجِّ.

٣ - فَلاَ زَالَتْ عُدَاتُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرائِسَ أَيُّها الأَسَدُ المَهِيجُ

فَرِيْسَةُ الأَسَدِ: ما دَقَّ عُنُقَهُ[2].

فَيَقولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولةِ: فلا زَالَتْ أَيُّها الرَّئيسُ، الذي يُشْبِهُ اهْتياجُهُ في حَرْبِهِ اهتِيَاجَ الأَسَدِ عِنْدَ غَضَبِهِ، عُدَاتُكَ حَيْثُ تَصَرَّفَتْ من الجِهَاتِ، وأينَ كانَتْ من البِلادِ، فَرائِسَ تَصْرَعُهُم وقَائِعُكَ، وَتَتَحَكَّمُ فيهم صَوَارِمُكَ.

٤ - عَرَفْتُكَ والصَّفوفُ مُعَبَّآتٌ وأنتَ بغَيْرِ سَيْرِكَ[4] لا تَعِيْجُ

العَائِجُ: المُكْتَرِثُ، يُقالُ: عَاجَ يَعِيجُ إذا اكتَرثَ، وعَاجَ يَعُوجُ إذا انعَطَفَ[5].

ثُمَّ قالَ: عَرَفْتُكَ مَعَ كَثْرَةِ[6] عَسَاكِرِكَ، وازدِحَامِ كَتَائِبِكَ، والصُّفوفُ مُعَبَّئاتٌ لِلحَرْبِ، مُهَيَّئاتٌ[7] للطَّعنِ والضَّربِ، وأنتَ لا تَحْفَلُ بغَيْرِ سَيْرِك، ولا تَكْتَرِثُ لِلِقَاءِ عَدُوِّك.

٥ - وَوَجْهُ البحرِ يُعْرَفُ بَعِيدٍ إذا يَسْجُو فكيفَ إذا يَمُوجُ

---

(١) «ما» ساقطة من ر، ف.

(٢) «فريسة... عنقه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في رواية الواحدي والتبيان «وأنت بغير سيفك» وقد أشار الواحدي إلى أن رواية «سيرك» تصحيف لا وجه له ولا معنى (٢/٤٥٠).

(٥) «لعائج... انعطف» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «بكثرة».

(٧) في ل «مهيأة».

يُقَالُ: البَحْرُ يَسْجو إذا سَكَنَ، ويَموجُ إذا ارتَجَّ[1].

ثُمَّ ضَرَبَ مثلاً، فَقالَ: وكذلِكَ البحرُ لا يَخْفَى مَوْضِعُهُ[2] مَعَ سُكُونِهِ، ولا يَغِيبُ عن الأَبْصَارِ مَعَ قَرَارِهِ، فكيفَ إذا هَاجَ وزَخَر، وارْتَجَّ وطَمَحَ؟! وأَنْتَ كَذَلِكَ، لا يَخْفَى على البَعِيدِ مَوْضِعُكَ مَعَ[3] السِّلم، فَكَيْفَ بكَ عِنْدَ تَأَهُّبِكَ لِلحَرْبِ؟!

٦ ـ بأرضٍ تَهْلِكُ الأَشْوَاطُ فيها إذا مُلِئَتْ من الرَّكْضِ الفُرُوجُ

الأَشْوَاطُ: جَمْعُ شَوْطٍ، وهو ما بَيْنَ أَوَّلِ الطَّلَقِ وآخرِهِ[4].

فيقولُ[5]: إنَّ هذا الجيشَ يَسيرُ[6] من أرضِ الرُّومِ في أرضٍ بَسِيْطَةٍ، بَعِيدٌ آخرُها، نائِيَةٌ نِهَايَتُها، وإنَّ ذَلك البُعْدُ يَقْرُبُ على هذا الجَيْشِ بِشِدَّةِ رَكْضِهِ، وسُرْعَةِ سَيْرِه، فَتَهْلِكُ الأَشْوَاطُ عِنْدَ ما هو بِسَبِيْلِهِ من الإسْراعِ إلى العَدوِّ، والجِدِّ في قَصْدِه.

٧ ـ تُحَاوِلُ نَفْسَ مَلْكِ الروم مِنْهَا فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ العُلُوجُ[7]

ثُمَّ قالَ: تُحَاوِلُ مِنْ هَذه الأرضِ نَفْسَ مَلِكِ الرُّوم، فَيَتَّقِينا بِفِرارِهِ، ويَعْتَصِمُ مِنَّا[8] بِهَرَبِه، ويَجْعَلُ فِدَاءَهُ رَعِيَّتَهُ المَغْنُومَةَ، وعَسَاكِرَهُ المَهزُومَةَ.

---

(١) «يقال... ارتج» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «مكانه».

(٣) في ر، ف «من».

(٤) «الأشواط... وآخره» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ر، ف «يصير».

(٧) العلوج: جمع عِلْج وهو العَيْرُ والحمار، والرجل من كفار العجم.

(٨) في ر، ف «منها».

٨ ـ أبا الغَمَراتِ تُوْعِدُنَا النَّصَارَى وَنَحْنُ نُجُومُها وَهِيَ البُرُوجُ

غَمَراتُ الحَرْبِ: شَدَائِدُها[١].

فَيقولُ[٢]: أبِشَدائِدِ الحربِ تَوَاعَدُنا النَّصَارَى، وهي أَوْطَانُنَا التي نَأْلَفُها، ومَوَاضِعُنَا التي نَسْكُنُها؟ فانتِقَالُنَا[٣] فيها كانتِقَالِ النُّجوم في بُرُوجِها، وتَصَرُّفِها في مَنَازِلها، فَكَيْفَ نَهابُ ما لا نَعْدَمُه، ونَتَوَقَّعُ ما لا نَفْقِدُهُ؟!

٩ ـ وَفِينَا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدُوقٌ إِذَ لاَقَى وَغَارَتُهُ لَجُوجُ

ثُمَّ قالَ، مُؤكداً لما قَدَّمَهُ: وفِيْنَا سَيفُ الدَّوْلَةِ، وهو السَّيفُ صَرَامةً وشِدَّةً، ونَفَاذاً وعَزِيمةً، إنْ حَمَلَ صَدَقَتْ حَمْلَتُهُ، وإنْ أَغَارَ أَبْعَدَتْ[٤] في المَقْصَدِ غَارَتُه.

١٠ ـ نُعَوِّذُهُ[٥] من الأَعيانِ بَأْساً وَيَكْثُرُ بالدُّعاءِ لَهُ الضَّجِيجُ

ثُمَّ قالَ[٦]: نُعَوِّذُه من بَأْسِ العُيونِ مَخَافَةً أن تَلْقَعَهُ[٧]، ويَكْثُرُ الضَّجِيجُ بالدُّعَاءِ لَهُ شُكراً على ما يَفْعَلُهُ.

١١ ـ رَضِينَا والدُّمُسْتُقُ غَيْرُ راضٍ بِمَا حَكَمَ القَواضِبُ والوَشِيجُ

الدُّمُسْتُقُ بالرُّومِيَّةِ: قائِدُ جُيوشِ الرُّومِ، والقَوَاضِبُ: السُّيوفُ، والوَشِيْجُ: الرِّماحُ[٨].

---

(١) «غمرات... شدائدها» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) في ر، ف «وانتقالنا».

(٤) في ر، ف «أنفذت»

(٥) في ر، ف: «نُعَوِّذُهُ».

(٦) في ر، ف «ثم يقول».

(٧) ساقطة من ر، ف، ولَقَعَهُ بعينه: أصابه بها.

(٨) «الدمستق... الرماح» زيادة في ل.

ورتبة الدمستق العسكرية رئيس حرس القصر أو فرقها (انظر الأمبراطورية البيزنطية ص ١٧٧).

فيقولُ[1]: رضِيْنا بما حَكَمَتْ بهِ السيّوفُ والرِّماحُ، من استباحةِ بلادِ الرُّومِ، وسَبْيِ نِسَائِهم، وقَتْلِ رِجَالِهم، والدُّمُسْتُقُ لا يَرْضَى بِذَلِكَ الحُكْمِ؛ لما فِيهِ من هَتْكِ مُلْكِهِ، وإذْلاَلِ عِزِّهِ.

١٢ ـ فإنْ يُقْدِمْ فَقَدْ رُزْنَا سَمَنْدُو وإن يُحْجِمْ فَمَوْعِدُه الخَلِيجُ

سَمَنْدو: حِصْنٌ يتوسطُ بلادَ الرومِ، والإحجامُ: التَّأَخُّرُ، والخَلِيْجُ: ما انجَرَّ إلى القُسْطَنْطِيْنِيَةِ مِنَ البَحْرِ[2].

ثُمَّ قالَ: فإن يُقْدِمْ فَها نَحْنُ اؤُلاءِ بِسَمَنْدُو، وهي من وَسَائِطِ أَرْضِهِ، فَلْيُقْدِمْ إنْ كانَتْ بهِ على ذلكَ قُوَّةٌ، وإنْ يُحْجِمْ فَنَحنُ على أَثَرِهِ لا نَنْصَرِفُ عن الخَلِيْجِ حَتَّى نَرِدَهُ، ولا نَتَأَخَّرُ عَنْهُ[3] حَتَّى نَبْلُغَهُ.

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) «سمندو... البحر» زيادة في ل.

وجاء في ر، ف بعد شرح البيت.

قال الواحدي إن الخليج نهر بقرب القِسطنطِيْنِيَة (ص ٤٥١).

(٣) ساقطة من ر، ف.

شَرْحُ غَزَاةِ ٱلْمُصِيْبَةِ[١] سَنَةَ تِسْعٍ وثَلاثِيْنَ وثَلاثِمائةٍ.

ومرَّ سَيْفُ الدَّولةِ في هذه الغَزَاةِ بِسَمَنْدُو، وعَبَرَ آلِسَ[٢]، وهو نَهْرٌ عَظِيمٌ، ونَزَلَ على صَارِخَةَ[٣] فأحرَقَ رَبَضَها وكَنَائِسَها، ورَبَضَ خَرْشَنَةَ[٤] وما حَوْلَها، وأكثَرَ القَتْلَ وأقَامَ بِمكانِهِ أيَّاماً، ثُمَّ رَحَلَ حَتَّى عَبَرَ آلَسَ رَاجِعاً، فلمَّا أمْسَى تَرَكَ السَّوادَ وأكْثَرَ الجيشِ، وسَارَ[٥] حَتَّى جَازَ خَرْشَنَةَ، وانتهى إلى بَطْنِ اللُّقَانِ[٦] في غَدٍ ظُهْرَاً، فَلَقِيَ[٧] الدُّمُسْتُقَ، وكانَ في أُلوفٍ[٨] من الخَيْلِ، فلما نَظَرَ إلى أوائِلِ خَيْلِ ٱلْمُسْلِمِيْنَ ظَنَّها سَريَّةً، فَثَبَتَ لها، وقَاتَلَ أوائِلَ النَّاسِ حَتَّى هَزَمَهُمْ، وأشْرَفَ عليه سَيْفُ الدَّولةِ فانهَزَمَ[٩]، وقُتِلَ من فُرْسَانِهِ خَلْقٌ [كثيرٌ][١٠]، وأُسِرَ من بَطَارِقَتِهِ نَيِّفٌ[١١] على ثمانينَ، وَأُفْلِتَ الدُّمُسْتُقُ، ولِذَلِكَ قالَ أبو الطَّيِّبِ:

---

(١) في ر، ف «شرح سنة المَصِّيصة في سنة...» والمَصِّيصَةُ بالفتح ثم الكسر والتشديد: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس. والمصيصة أيضاً قرية من قرى دمشق، والأولى هي المقصودة (انظر المشترك وضعاً والمفترق صنعاً ص ٣٩٨).

(٢) آلس: بمَدِّ أوله وكسر ثانيه: نهر ببلاد الروم.

(٣) بلدة أو مدينة في بلاد الروم.

(٤) خرشنة: بلد قرب مَلَطية من بلاد الروم، وقالوا سمِّي خرشنة باسم عامره وهو خرشنة بن الروم ابن اليقين بن سام بن نوح عليه السلام، والربض: سور المدينة ومأوى الغنم فيها.

(٥) في ر، ف «وصار» وفي ديوان المتنبي المخطوط (مجهول الشارح) ورقة ١١٠ «وسرى».

(٦) اللقان: موضع من الثغور الشامية تلقاء خرشنة أو وراءها على مسيرة يومين (معجم ما استعجم ٤/١١٦٠ ومعجم البلدان ٥/٢١).

(٧) في ف «فدخل».

(٨) في نخب تاريخية.. «في ألف»، وفي شرح ابن جنى ورقة ٣٤٦ «وكان الدمستق في ألوف».

(٩) زاد في الديوان المخطوط ورقة ١١٠ «فانهزم الدمستق».

(١٠) زيادة في الديوان المخطوط ورقة ١١٠ ويقتضيها السياق.

(١١) في ل «نيفاً» وزاد في الديوان المخطوط «وأسر من بطارقته وزراورته ووجوه رجاله نيف على ثمانين» وفي شرح ابن جنى «وقتل من فرسانه خلقاً وأسر من بطارقته وزراورته نيفاً على ثمانين».

ذَمَّ الـدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْـهِ وَقَـدْ طَـلَعَتْ سُـودُ الـغَـمَـامِ فَـظَنُّـوا أَنَّها قَـزَعُ

وَعَادَ سَيْفُ الدَّولةِ إلى عَسْكَرِهِ وسَوَادِه، وقَفَلَ غَانِماً، فلما وَصَـلَ إلى عَقَبةٍ تُعْرَفُ بِمُقَطَّعَةِ الأَثْفَارِ[1]، صَافَّهُ العَدوُّ على رَأْسِها، فأَخَذَ[2] سَيْفُ الدَّولةِ ساقَةَ النَّاسِ يَحْمِيهِم، فلما انحَدَرَ بَعْدَ عُبُورِ النَّاسِ، رَكِبَهُ العَدُوُّ، فَجَرحَ[3] من الفُرسَانِ جَمَاعَةً، وفي ذلك قالَ[4] أبو الطَّيِّبِ:

وَفَـارِسُ الخَيْـلِ مَنْ خَفَّتْ فَـوَقَّـرَهَـا في الـدَّربِ والـدَّمُ في أَعْـطَافِهـا دُفَـعُ

ونَـزَلَ سَيْفُ الدَّولـةِ على بَـرَدَان[5]، وهـو نهرٌ، وَضَبَطَ العَـدوُّ عَقَبَـةَ السَّيرِ[6]، وهي عَقَبَةٌ صَعْبَةٌ طَوِيْلَةٌ، فَلَمْ يَقْدِرْ على صُعُودِها لِضِيْقِها، وكَثْرَةِ العَدوِّ بِهَا، فَعَدَلَ[7] مُتَيَاسِراً في طَرِيقٍ وَصَفَهُ[8] له بَعْضُ الأَدِلَّةِ، وأخذ سَاقَةَ النَّاسِ، وكَانَتْ الإبلُ كَثِيرَةً مُثْقَلَةً مُعْبِيَةً[9]، واعْتَرَضَهُ[10] العَدوُّ آخرَ النَّهارِ من

(١) كذا في ر، ف والديوان المخطوط وفي ل «يقال لها مقطعة الأثفار».
والعقبة: الجبل الطويل يعرض الطريق فيأخذ فيه، وهو طريق صعب إلى صعود الجبل (معجم البلدان ٤/١٣٤) والأثفار جمع ثفر، وهو مأخوذ من ثَفَرِ الدابة وهو السير الذي يجعل تحت ذنبها (اللسان مادة ثفر).

(٢) كذا في ر، ف وفي شرح ابن جنى أيضاً لوحة ٣٤٧ وفي ل «وأخذ».

(٣) في ر، ف «فخرج».

(٤) في ر، ف «يقول».

(٥) في جميع النسخ والديوان المخطوط وشرح ابن جنى «بردا» ولعل ما أثبته الصواب. لأن بردان نهر بثغر طرسوس مجيئه من بلاد الروم ويصب في البحر على ستة أميال من طرسوس، وهناك «نهر بردان» يسقي بساتين مرعش وضياعها منبعه من جبل مرعش (معجم البلدان ١/٥٥٥ ط ١٨٦٦).

(٦) عقبة السير بالثغور قرب الحدث وهي عقبة ضيقة طويلة (معجم البلدان ٣/٦٩٢) وفي الديوان المخطوط «عقبة الشير» بالشين.

(٧) في ف «فعل» وفي شرح ابن جنى ورقة ٣٤٨ «فعدل مياسراً»

(٨) كذا في ر، ف والديوان المخطوط ورقة ١١٠، وفي ل «وصفها»،

(٩) معبية: معبأة بالمتاع وفي شرح ابن جنى «مُعْبية» من الإعياء والتعب.

(١٠) في الديوان المخطوط «وجاءه».

خَلْفَه، فَقَاتَلَهُ إلى العِشَاءِ، وأَظْلَمَ اللَّيْلُ، وتَسَلَّلَ أَصْحَابُ سَيْفِ الدَّولةِ يَطْلُبونَ سَوَادَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، وَبَقِيَ[1] وَحْدَهُ مَعَ نَفَرٍ يَسيرٍ[2]، سَارَ حَتَّى لَحِقَ بالسَّوادِ تَحتَ عَقَبَةٍ قَرِيْبَةٍ من بُحَيْرَةِ الحَدَثِ[3]، فَوَقَفَ وَقَدْ أَخَذَ العَدوُّ الجَبَلَيْنِ من الجَانِبَيْنِ، وجَعَلَ سَيْفُ الدَّولةِ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ، فلا يَنْفُرُ أَحَدٌ[4]، ومن تَخَلَّص[5] من العَقَبَةِ نَهَاراً لم يَرْجِعْ، ومن بَقِيَ تَحْتَها لم تَكُنْ فِيهِ نُصْرَةٌ، وتَخَاذَلَ النَّاسُ، وكانوا قد مَلُّوا[6] السَّفَرَ، فَأَمَرَ سَيفُ الدَّولةِ بِقَتْلِ البَطَارِقَةِ الزَّرَاوِرَةِ[7] وكُلِّ مَنْ كَانَ[8] في السَّلاسلِ[9]. وسَارَ سيفُ الدَّولةِ واجتَازَ أبو الطيب العَدُوَّ[10] آخرَ الليلِ بجمَاعَةٍ من المُسْلِمينَ، بَعْضُهم نَائِمٌ[11] بَيْنَ القَتْلَى من التَّعَبِ، وَبَعْضُهُمْ يُحَرِّكونَهُمْ فَيُجْهِزونَ[12] على مَنْ تَحَرَّكَ[13]، فَلِذَلِكَ قَال أبو الطَّيِّب[14]:

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامَاً في دِمَائِكُمُ كَأَنَّ قَتْلاَكُمُ إِيَّاهُمُ فَجَعُوا

---

(١) في ف «وهي».

(٢) وفي الديوان المخطوط: «فلما خفَّ عنه أصحابه سار حتى...».

(٣) بحيرة الحدث: ـ قرب مَرْعَش من أطراف بلاد الروم، أولها عند قرية تعرف بابن الشيعي على اثني عشر ميلاً من الحدث نحو مَلَطية ثم تمتد إلى الحدث، والحدث قلعة حصينة.

(٤) في الديوان المخطوط «فلا ينفر أحد منهم».

(٥) في الديوان المخطوط «ومن نجا».

(٦) كذا في ر، ف والديوان المخطوط وشرح ابن جنى، وفي ل «وقد كانوا أمّلوا».

(٧) ساقطة من ل.

(٨) ساقطة من ل.

(٩) زاد في الديوان المخطوط «وكان فيها مئات» وكذلك في شرح ابن جنى ورقة ٣٤٩

(١٠) كذا في ر، ف، وشرح ابن جنى والديوان المخطوط وفي ل «واجتاز العدو»

(١١) في الديوان المخطوط «نيام».

(١٢) في ر، ف «فيجيزون».

(١٣) في نخب تاريخية «ترك».

(١٤) «أبو الطيّب» زيادة في ل.

وَرَجَعَ سيفُ الدولةِ إلى حَلَبَ، فقالَ أبو الطَّيِّبِ بَعْدَ القفولِ يَصِفُ الحالَ، أَنْشَدَهَا سيفَ الدَّولةِ في جُمادَى الآخِرَةِ سنةَ تِسْعٍ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ[1]:

١ ـ غَيْري بأكثرِ هذا النَّاسِ يَنْخَدِعُ إن قاتَلُوا جَبُنُوا أو حَدَّثوا شَجُعُوا

النَّاس: اسمٌ من اسماء الجُموعِ يُخْبَرُ عَنْهُ بالإفرادِ على لَفْظِهِ، وبالجَمْعِ على مَعْنَاهُ[2].

فَيَقُولُ: غَيْري مِمَّن يَجْهَلُ النَّاسَ ولا يَعْرِفُهُم، يَغْتَرُّ بأكثرِهم فَيَخْدَعُونَهُ بالادِّعاءِ، ويَغُرُّونَهُ بالكَذِبِ، وشَأْنُهمْ وحِيلَتُهُمْ، وحالُهمْ وحقيقَتُهم، أنَّهم يَشْجُعُون[3] في حَديثهم وما يَعِدُون به من أَنْفُسِهِمْ، ويَجْبُنُونَ في قِتالِهِمْ، ويَضْعُفُونَ عِنْدَ اختِبَارِهم. وأَشَارَ إلى ما ظَهَرَ من عَجْزِ أَصْحَابِ سَيْفِ الدَّولةِ في هذه[4] الغَزَاةِ[5] التي سُمِّيَتْ بغَزَاةِ المُصِيْبَةِ[6]، التي تَقَدَّمَ ذِكْرُها[7].

٢ ـ أَهْلُ الحَفِيْظَةِ إلاَّ أَنْ تُجَرِّبَهُمْ وَفي التجارِبِ بَعْدَ الغَيِّ ما يَزَعُ

الحَفِيظَةُ: الأَنَفَةُ، والوَزَعُ: الكَفُّ[8].

---

(١) «فقال أبو الطيب... الدولة» زيادة في ل.
وزاد في شرح أبي العلاء لوحة ٣٦ «ويقال إنه قد قتل في هذه الغزاة من المسلمين زهاء مائة ألف فارس، ولم ينج سيف الدولة إلا في شرذمة منه يسيرة».

(٢) «الناس... معناه» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «يسخفون».

(٤) هذه زيادة في ر، ف.

(٥) في ف «الغرانة» وهو تحريف.

(٦) «التي سميت بغزاة المصيبة» زيادة في ر، ف.

(٧) في ر، ف «ولها شرح في الأصل تقدمه».

(٨) «الحفيظة... الكف» زيادة في ل.

ثمَّ قالَ[1]: يُظهرونَ الحَفِيظَةَ والصَّبْرَ، والإقدامَ والجَلَدَ، ويَتزَيَّنونَ بذلكَ، ما لم تَقَعِ التَّجْرِبَةُ لهم، وفي تَجْرِبَتِهم ما يَمْنَعُ مِن الاغترار بِكِذْبِهم، وَيَزَعُ[2] عن الغَيِّ في حُسْنِ الظَّنِ بهم.

٣ - وما الحَياةُ وَنَفْسِي بَعْدَمَا عَلِمَتْ أنَّ الحَياةَ كما لا تَشْتَهي طَبَعُ

الطَّبَعُ: الدَّنَسُ[4].

فيقولُ[5]: وما لِنَفْسِي والرُّكُونَ إلى الحياةِ، والحرصَ عليها، والاغترارَ بها، وهي تَعْلَمُ أن حياةَ الإنسانِ على حَالٍ يَكْرَهُهَا، وطَريقةٍ لا[6] يَسْتَحْسِنُها؛ دَنَسٌ ودَنَاءَةٌ، وسقوطٌ وضَعَةٌ.

٤ - لَيْسَ الجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مارِنُهُ أنْفُ العَزِيزِ بِقَطْعِ العِزِّ يُجْتَدَعُ

المارِنُ: مُقَدَّمُ الأنفِ وهو ما لانَ مِنْهُ[7].

ثُمَّ قالَ: لَيْسَ الجمال لِوَجْهٍ صَحَّ ظاهِرُهُ، وسَلِمَ مَارِنُه[8]، واعْتَمَدَ المارِنَ من بَيْنِ سائِرِ الوَجْهِ؛ لأنَّ العربَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَتَقولُ: أَرغَمَ اللَّهُ أَنْفَ فلانٍ، فَتَقْصِدُ الأنْفَ من بَيْنِ سَائِرِ الوَجْهِ.

فَيُرِيدُ: أنَّ جَمَالَ الوجهِ لَيْسَ بِسَلامَةِ ظَاهِرةٍ، فَأَنْفُ العَزيزِ يُجْتَدَعَ بالإذْلالِ، وَحُسْنُهُ يُسْتَلَبُ بالإخلالِ بِهِ.

---

(١) في ر «ثم يقول»

(٢) في ف «يقع».

(٣) في ر، ف «ما يزع عن الاغترار... ويمنع من الغي».

(٤) «الطبع: الدنس» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) «المارن... منه» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «صح مارنه، وسلم ظاهره».

٥ ـ أَأَطْرَحُ المَجْدَ عَنْ كِتْفِي[١] وأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الغَيْثَ في غِمْدِي وأَنْتَجِعُ

الانتِجاعُ: طَلَبُ الكلأ[٢].

فيقول[٣]: أأَدَعُ أنْ أحوزَ[٤] المجدَ بالسَّيْفِ، وأكْتَسِبَ[٥] المالَ من طريقِ الحربِ، وأتَناوَلَ ذلكَ بالطَّلبِ، وأتَكَلَّفَ فيه[٦] أشدَّ التَّعبِ، فأكونَ كَمَنْ طَرَحَ عن كَتِفِهِ ما يَطْلُبُهُ، وتَرَكَ في غِمْدِهِ ما يَنْتَجِعُهُ.

٦ ـ وَالمَشْرَفِيَّةُ لازَالَتْ مُشَرَّفَةً دَوَاءَ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهِيَ الوَجَعُ

ثُمَّ قَالَ: والمَشْرَفِيَّةُ لازَالَتْ مُشَرَّفَةً، فَأَبْدَعَ في المُجَانَسةِ، وَدَعَا للسُّيوفِ بدَوَامِ الرِّفْعَةِ؛ لأَنَّها دَوَاءُ الكريمِ الذي يَسْتَشْفِي به إذا أَسْعَدَتْهُ، أَوْ وَجَعُهُ الذي يَتَشَكَّاهُ إذا خَذَلَتْهُ.

٧ ـ وَفَارِسُ الخَيلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا في الدَّرْبِ والدَّمُ في أَعْطَافِها دُفَعُ

الدَّرْبُ: المَدْخَلُ إلى بلادِ العَدوِّ، والعِطْفُ: الجانِبُ[٧].

فيقولُ[٨]: وفارِسُ الخيلِ مَنْ وَقَّرَها[٩] وقد اسْتَفَزَّها الخوفُ، وَثَبَّتَها

---

(١) كِتْفي: تخفيف كَتِف، وكان قياسه كما يقول ابن جني إذا آثر التخفيف «أن يحذف كسرة التاء ويترك الكاف مفتوحة بحالها، لأن المسموع هذا، دون كِتْف».
((النظام ج ٢ ورقة ١٥٤).

(٢) «الانتجاع... الكلأ» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «أحوي».

(٥) في ت، ف «واكسب».

(٦) كذا في ل، ت وفي ر، ف «به».

(٧) «الدرب... الجانب» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم يقول».

(٩) في ر، ف «من خفت فوقرها».

وقد اسْتَولى عليها الوَجَلُ، فاقْتَدَتْ بِصَبْرِهِ، وشَجُعَتْ بِمَوْضِعِهِ، والدَّمُ دُفَعٌ في جَوَانِبِها، قد عَضَّتْهَا الحَرْبُ، ونَهَكَهَا الطَّعْنُ والضَّربُ[1]، وأَشَارَ إلى سيفِ الدَّولةِ وما ظَهَر من جَلَدِهِ في هذه الوَقْعَة.

٨ ـ وَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ وأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ

القَذَعُ: السَّبُّ[2].

ثُمَّ قالَ: وَأَوْحَدَتْهُ، يُريدُ: أنَّ الخيلَ[3] أَفْرَدَتْهُ بتَوَلِّيها عَنْهُ، فلم يُحْدِثْ ذلِك قَلَقاً في قَلْبِهِ، وأَغْضَبَتْهُ بما ظَهَرَ عليها من قِلَّةِ الصَّبرِ، فلم يُوجِبْ ذَلِكَ قَذَعاً[4] في لَفْظِهِ، بل ثَبَتَ عِنْدَ اضطِرابِها[5] ثَبَاتَ الواثِقِ بِنَفْسِهِ، وأَقْدَمَ المعَوَّلِ على شَجَاعَتِهِ وَبَأْسِهِ.

٩ ـ بالجَيْشِ تَمْتَنِعُ[6] السَّادَاتُ كُلُّهُمُ والجَيْشُ بابن أبي الهيجاءِ يَمْتَنِعُ

يَقُولُ[7]: إنَّ السَّاداتِ كُلَّهُمْ، إنما يُعِدُّونَ الجيوشَ لِيَمْتَنِعُوا بها، وَيَتَعَزَّزوا[8] بكَثْرَتِها، وسَيْفُ الدولة يَمْنَعُ جَيْشَهُ، ويُعِزُّ جَمْعَهُ، وَيَحْميهِ ولا يَحْتَمِي به، ويُشَجِّعُهُ ولا يَشْجُعُ بِمَوْضِعِهِ.

١٠ ـ قَادَ المَقَانِبَ أقصَى شُرْبِها نَهَلٌ على الشَّكيمِ وأدنى سَيْرِها سِرَعُ

---

(١) ساقطة من ر، ف.

(٢) «القذع: السبُّ» زيادة في ل.

(٣) في ل «أنها».

(٤) زاد في ل «قذعاً عليه»

(٥) في ر، ف «انصرافها».

(٦) في رواية الواحدي «يَمْتَنِعُ».

(٧) في ر، ف «ثم يقول».

(٨) في ر، ف «ويعتزوا».

المِقْنَبُ: ثلاثُ مائةٍ مِنَ الخَيْلِ أو نَحْوَ ذلكَ، والجَمْعُ مقانِبُ، والنَّهَلُ: الشُّرْبُ الأَوَّلُ والشَّكِيْمُ: جَمْعُ شَكِيْمَةٍ، وهي حَدِيْدَةُ اللِّجامِ المُعْتَرِضَةُ في فَمِ الدَّابةِ، والسَّرَعُ: شِدَّةُ الإسراع[1].

ثُمَّ قالَ، مُبَيِّناً لما ذَكَرَهُ عنه: قَادَ مَقَانِبَ الخَيْلِ[2] إلى أرضِ العدوِّ مجتهداً في سَيْرِه، مُقْتَحِماً على تلك البلادِ في غَزْوِه، فَسَارَ وَأَقْصَى شُرْبِ خَيْلِهِ النَّهَلُ على الشَّكِيمِ، لا يُوجِدُهَا السَّبِيلُ إلى نَزْعِ لُجُمِها، واستيفاءِ الرِّيِّ في شُرْبِها، وأَدْنَى ما تتكَلَّفُهُ[3] من السَّيرِ والسَّرَعُ الذي هو غَايَةُ الجَرْي، وأَقْصَى ما تُحاوِلُ من العَدْوِ، يُشِيْرُ إلى ما كَانَ عليه سيفُ الدولةِ في هذه الغَزَاةِ من الجِدِّ، وما احتَمَلَ عليه من قُوَّةِ العَزْمِ.

١١ ـ لا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْراهُ عن بَلَدٍ كالموتِ لَيْسَ لـه رِيٌّ ولا شَبَعُ

يَعْتَقِي: بمعنى يُحْبَسُ، وهو مقلوبٌ من عَاقَ يَعوقُ، كانَ أصلهُ يَعْتَاقُ، فُقُلِبَ إلى يَعْتَقِي. وخَرْشَنَةُ: اسمُ مَدِيْنَةٍ من مدائنِ الرُّوم[4].

فيقولُ[5]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ سَارَ[6] مُجِدًّا في سَيْرِه، مُقْتَحِماً على الرُّومِ في غَزْوِهِ، لا يَعُوقُهُ بَلَدٌ عَمَّا بَعْدَهُ، ولا يُقْنِعُهُ حِصْنٌ يَفْتَتِحُهُ[7] عن التماسِ ما خَلْفَهُ، كالموتِ الذي لا يُرْوِيه ولا[8] يُشْبِعُهُ كَثْرَةُ مَنْ يُفْنِيهِ وَيُهْلِكُهُ.

---

(١) «المقنب... الإسراع» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «المقانب».

(٣) في ر، ف «يتكلفه».

(٤) «يعتقي... الروم» زيادة من ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) في ر، ف «ينهض».

(٧) في ر، ف «يقتحمه».

(٨) ساقطة من ر، ف.

١٢ ـ حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى به[١] الرُّومُ والصُّلْبَانُ والبِيَعُ

ثُمَّ قَالَ: حَتَّى أقَامَ على أَرْبَاضِ خَرْشَنَةَ، وهي من[٢] وسائِطِ تلكَ البلادِ، وقد شَقِيَتْ الرُّومُ بِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلَهُ وسَبَاهُ منها، وشَقِيَتِ الصُّلبانُ والكنَائِسُ بكَثْرَةِ ما أَحْدَثَهُ من التَّغْيِيرِ والهَدْمِ فيها.

١٣ ـ لِلسَّبْيِ ما نَكَحوا، والقَتْلِ ما ولَدوا والنَّهْبِ ما جَمَعُوا، والنَّارِ ما زرَعوا

يَقُولُ[٣]: إنَّ سيفَ الدَّولَةِ أَهْلَكَ تلكَ البلادَ بِسَبْيِ[٤] ما نَكَحَهُ أهلُهَا، وَقَتْلِ مَنْ ربَّوْهُ[٥] مِنْ أَوْلاَدِهم، ونَهْبِ ما جَمَعُوه من أَمْوَالِهم، وإِحْرَاقِ[٦] ما رَجَوْه من زُرُوعِهم، وَمِثْلُ هذا التَّصْنِيْفِ بابٌ من البَدِيعِ يُعْرَف بالتَّقْسِيمِ.

١٤ ـ مُخْلًى لَهُ المَرْجُ مَنْصُوباً بصَارِخَةٍ لَهُ المَنَابِرُ مَشْهُوداً بها الجُمَعُ

المَرْجُ: مَوْضِعٌ متوسِّطٌ في بلادِ الرُّوم، وصَارِخَةُ: مَدِيْنَةٌ من مَدائِنهم طالَ اضطرابُ سيفِ الدَّولَةِ حَوْلَها[٧].

ثُمَّ قالَ: مُخْلًى لَهُ المَرْجُ مَعَ توسُّطِهِ في بِلاَدِ الرُّومِ، ولا[٨] يُمْكِنُهم الظهورُ فيهِ؛ لما يَحْذَرُونَهُ من عَسْكَرِ سَيْفِ الدَّولةِ، مَنْصُوباً له المَنَابِرُ بِصَارخةَ،

---

(١) في رواية التبيان «بها».
(٢) ساقطة من ر، ف.
(٣) في ر، ف «ثم يقول».
(٤) في ر، ف «فسبى».
(٥) في ر، ف «ما».
(٦) في ر، ف «وأحرق».
(٧) «المرج... حولها» زيادة في ل.
(٨) الواو زيادة في ل.

قد اقتَدَرَ المسلمونَ على مِلْكِها، وأطالوا الانتشارَ في أرْضِها، وصَارُوا لذلك[1] في حَالِ السَّاكِنينَ[2] بها، فَأقاموا[3] الجُمَعَ فيها، وخَطَبوا لِسَيْفِ الدَّولةِ في جِهَاتِها.

١٥ ـ يُـطَمِّـعُ الـطَّيْرَ فِيهِمْ طُـولُ أكْلِهِمِ حَتَّى تَكـادُ عَـلَى أحْيـائِهِـمْ تَقَـعُ

يقولُ[4]: إنَّ سَيْفَ الدَّولةِ قد أدَامَ قَتْلَ الرُّومِ، وقَوَّتَ الطَّيرَ بِلحومِهم في وَقَائِعِهِ، حَتَّى تَكَادَ لِما اعتَـادَتْهُ مِنْ ذَلِـك، تَقَعُ عـلى أحيائِهم فَتَـأْكُلُهُمْ، وتَعْتَرِضُهُم في طُرُقِهم فَتَخْطَفُهُم.

١٦ ـ وَلَـوْ رَآهُ حَـوَارِيُّـوهُـمُ[5] لَبَنَـوا عَـلَى مَحَبَّتِـهِ الشَّـرْعَ الـذي شَرَعُوا

ثُمَّ قالَ: ولو رَأى سَيْفَ الدَّولةِ[6] حَوَارِيُّو الرُّومِ، وشَهِدوا مَكَـارِمَهُ وَفَضْلَهُ، وإنْصَافَهُ وَعَدْلَهُ، وإقْدَامَهُ وبَـأْسَهُ[7]، مَـعَ مَوْضِـعِ الحَوَارِيِّـين من الصِّـدْقِ، واحتِمالِهِم عـلى طُرُقِ الحَقِّ، لَبَنَـوْا شَرِيعَـةَ الـرُّومِ عـلى مَحَبَّتِـهِ، وأَلْزَمُوهُمُ الاحتمالَ على طَاعَتِهِ.

١٧ ـ ذَمَّ الـدُّمُسْتُقُ عَيْنَيْـهِ وَقَـدْ طَلَعَتْ سُـدَدُ الغَمَـامِ فَـظَنُّوا أنَّها قَـزَعُ

القَزَعُ: قِطَعُ السَّحابِ، والدُّمُسْتُقُ: قائِدُ جيوشِ الرُّومِ[8].

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «كالساكنين».

(٣) في ل «وأقاموا: . . بها»

(٤) في ر، ف «ثم قال»

(٥) في ر، ف «حورياؤهم، والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام وأنصاره.

(٦) «سيف الدولة» ساقطة من ف.

(٧) «إقدامه وبأسه» زيادة في ر، ف.

(٨) «القزع. . . الروم» زيادة في ل.

فيقولُ[1] إنَّ مَوَاكبَ سَيْفِ الدَّولَةِ طَلَعَتْ مُتَتابِعَةً كَأَنَّها قِطَعُ السَّحَابِ، فَأَشْكَلَتْ[2] على الدُّمُسْتُقِ وأَصْحَابِهِ، ولم تَنْفَصِلْ[3] لَهُمْ من القَزَعِ، فَذَمَّ عَيْنَيْهِ لِذَلِكَ، وَهوَ فِعْلُ الذي يَنْظُرُ فلا يَفْصِلُ له نَظَرُهُ ما يُبْصِرُهُ.

١٨ ـ فيها الكُمَاةُ التي مَفْطُومُها رَجُلٌ عَلَى الجِيَادِ التي حَوْلِيُّها جَذَعُ

ثُمَّ وصَفَ تلكَ الكتَائِبَ، فقالَ: إنَّ فُرْسانَها لِتَمَامِ خَلْقِهِم، وعِظَمِ أَجْسَامِهِم، في حينَ الفِطَامِ على هَيْئاتِ الرِّجَالِ، فما ظَنُّكَ بهم عِنْدَ الكَمَالِ، وبُلُوغِ الأَشُدِّ؟! وكذلِكَ خُيُولُهُم حَوْلِيُّها في هَيْئَةِ الجَذَعِ[4]؛ جَسارَةً[5] وقوَّةً، فكيفَ تَظُنُّها قَارِحةً[6] مُتَكامِلَةً، مُسْتَوْفِيَةً لِسِنِّ القُوَّةِ، مُتَناهِيةً؟!

١٩ ـ يُذْرِي اللُّقانُ غُبَارَاً في مَنَاخِرِهَا وفي حَنَاجِرِهَا من آلِسٍ جُرَعُ

اللُّقَانُ: مَوْضِعٌ معروفٌ في بلادِ الرُّوم، وآلِسُ: نَهْرٌ عظيمٌ من أَنْهارِهِم[7].

فيقولُ[8]: إنَّ هذه الخيلَ لِسُرْعَةِ سَيْرِها، وشِدَّةِ عَدْوِها، وَرَدَتْ اللُّقَانَ، وصَارَ[9] غُبَارُهُ في مَنَاخِرِها، وحَنَاجِرُها[10] لم تَجِفَّ من مَاءِ آلِس،

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) في ر، ف «وأشكلت».

(٣) لم تنفصل: لم تتبيّن، والمقصود اختلطت الأمور عليهم.

(٤) الجذع: في الخيل، إذا استتم سنتين.

(٥) في ل: «جساوة». وهي الصلابة وجَسَرَ الفحل: ترك الضراب، والجَسَارةُ: المضاء والنفاذ.

(٦) القارح من الخيل بمنزلة البازل من الإبل وهو ما كان في تاسع سنيه التي تكتمل فيها أسنانه.

(٧) اللبان... أنهارهم» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم قال».

(٩) في ر، ف «وكان».

(١٠) ساقطة من ف.

وهو النَّهرُ الذي عَبَرَ فيهِ[1] مَن صَارِخةَ، وبَيْنَ المَوْضِعَيْنِ مَسافةٌ طَويلةٌ[2]، فأشَارَ إلى ما كَانَتْ عَلَيْهِ هذه الخَيْلُ من قُوَّةِ رَكْضِها، وإسْراعِهَا في إغارَتِها.

٢٠ ـ كَأَنَّمَا تَتَلَقَاهُمْ لِتَسْلُكَهُمْ فالطَّعْنُ يَفْتَحُ في الأَجْوافِ مَا تَسَعُ[3]

ثمَّ قَالَ، كأَنَّما[4] تَتَلَقَّى هَذِهِ الخَيْلُ الرُّومَ لِتَسْلُكَ أَجْسَادَهُم، وتَتَّخِذَ طُرُقاً في جُسُومِهم، فَطَعْنُ فُرْسَانِها فيهم[5] يَفْتَحُ ما يَسَعُهُم، ويَخْرِقُ ما لا[6] يَضِيقُ بهم، وليسَ هذا في[7] الإفراطِ بأَعْجَبَ من قَوْلِ النَّابِغَةِ يَصِفُ سُيوفَ بَني[8] جَفْنَةَ[9].

تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ[10]

٢١ ـ تَهْدِي نَوَاظِرَهَا والحَرْبُ مُظْلِمَةٌ من الأَسِنَّةِ نَارٌ والقَنَا شَمَعُ

يقولُ[11]: إنَّ خيلَ سَيْفِ الدَّولةِ تَهْدِي نَوَاظِرَهَا في وَقَائِعِهِ[12]،

---

(١) في ر، ف «عبره».

(٢) ساقطة من ف.

(٣) كذا في ر، ف، ت وفي ل «يسع».

(٤) وفي ر، ف «كأنها». وبها روى البيت في مفتتحه.

(٥) كذا في ر، ف، وفي ل «فالطعن فيه» وفي ت «وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم».

(٦) ساقطة من ت.

(٧) ساقطة من ت.

(٨) في ر، ف «إلى».

(٩) ديوان النابغة ص: ٤٦.

(١٠) في ر، ف «الحباب».
والبيت في رواية ابن السكيت ص ٦١ من الديوان:
تَجُذُّ السلوقيَّ المُضَاعَف نسجُهُ ويوقدن بالصُّفَّاح نارَ الحُبَاحِبِ

(١١) في ر «ثم قال».

(١٢) كذا في ر، ف، ت وفي ل «وقائعها».

والحربُ مُظْلِمَةٌ، بما يَثُورُ فيها من العَجَاجِ، ويَسْطَعُ من الغُبَارِ، اتِّقَادُ[1] الأَسِنَّةِ التي تُشْبِهُ المَصَابيحَ، بِضِيَائِها في رؤوسِ القَنَا، التي تُشْبِهُ الشَّمْعَ في إشرَاقِها بها، وهذا مِمَّا شَبَّه فيه شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ في بَيْتٍ واحِدٍ، أَصَحَّ تَشْبيهٍ، وذلك غايةُ الإِبْدَاعِ.

٢٢ ـ دُونَ السِّهامِ ودُونَ الفَرِّ[2] طَافِحَةً[3] عَلَى نفوسِهِمِ المُقَدَّرَةُ المُزُعُ

المُقَوَّرَةُ: الضَّامِرَةُ، والطَّافِحَةُ: المُسْتَعْلِيَةُ، والمُزُعُ: المُسْرِعَةُ[4].

ثُمَّ قَالَ: يُرِيدُ الرُّومَ، دونَ وقوعِ السِّهامِ فيهم، واتِّفاقِ ما حاوَلُوه من الفِرارِ لهم، اقتَحَمَتْ عليهم المُقَوَّرَةُ المُزُعُ من خَيْلِ سَيْفِ الدَّولةِ فَصَرَعَتْهُمْ، وأَعْجَلَتْهُمْ عن الفَرِّ فَقَتَلَتْهُم، وطَفَحَتْ فَوْقَهُمْ تَطَؤُهم حَوَافِرُها، وتَدُوسُهم سَنَابِكُها. وقَصَدَ السِّهامَ من بَيْنِ سَائِرِ السِّلاحِ، مُشِيراً[5] إلى غَلَبَةِ[6] هذه الخيلِ لهم في أَوَّلِ القِتَالِ؛ لِأَنَّ الرَّمْيَ في القِتَالِ أولُ الحَرْبِ، وقد بَيَّنَ ذلك زهيرٌ بِقَوْلِهِ[7]:

---

(١) كذا في ل، ت وفي ر، ف «إيقاد».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «القُرّ» وتفسيره «البرد» ورواية الفَرّ هي رواية ابن جنى، قال المبارك بن أحمد: «إذا كانت الرواية بالفاء فالمُزُع بضم الميم والزاي، وإن كانت بالقاف فالمِزَعُ بكسر الميم وفتح الزاي... والرواية الصحيحة ما رواه أبو الفتح، وهو أشبه بما ذكره من المبالغة في قوله يذري اللقان وفي قوله «كأنما تتلقاهم ونحوه، وما تقدم من أبيات هذه القصيدة وتأخر عنها يدل على وقوع الظفر بأعداء سيف الدولة لا على الوعيد لهم، وما فسره به أبو الطيب يؤيد ذلك ويدفع ما سواه، ويكون البيت أحسن لفظاً ومعنى» (النظام ج ٢ ورقة ١٥٧).

(٣) كذا في ر، ف، والتبيان ورواية الواحدي «طافحةً» بالنصب، حال من الخيل، وفي ل «طافحةٌ» بالرفع.

(٤) «المقوّرة... المسرعة» زيادة في ل.

(٥) في ل «يشير».

(٦) في ف «علية».

(٧) ديوانه: ص ٧٧.

يَـطْعَنُهُم مـا ارتمـوا حَتَّى إذا اطَّعَنـوا ضَارَبَ، حَتَّى إذا ما ضَارَبوا[1] اعتَنَقَا

فَأَخْبَرَ بأن هذه الخيلَ صَرَعَتْهُم في أوَّلِ[2] الحربِ، وَمَنَعَتْهُم ما رَامُوه من الفَرِّ.

٢٣ ـ إذَا دَعَـا العِلْجُ عِلْجاً حَـالَ بَيْنَهُمـا أَظْمَى تُفَـارِقُ مِنْـهُ أُخْتَهـا الضَّلَعُ

الأَظْمَى: الأَسْمَرُ الذَّابلُ، وكَنَى به عن الرُّمحِ[3].

فَيَقولُ[4]: إذا دَعَا العِلجُ عِلْجاً يَسْتَعِيْنُه[5]، ويَنْتَصِرُ به، حَالَ[6] بَيْنَهما أَظْمَى من الرِّمَاحِ، تُفَارِقُ به الضَّلَعُ أُخْتَهـا، مَعَ تَـآلُفِها بـالخِلْقَةِ، فكيفَ بِتَفْرِيقِهِ بَيْنَ العِلْجَيْنِ[7]، وإنَّما تَأْلُفُهما بالصُّحْبة؟!

٢٤ ـ أَجَـلُّ مِنْ وَلَـدِ الفَقَّـاسِ مُنْكَتِفٌ إذْ فَـاتَهُنَّ، وأَمْضَى منـهُ مُـنْصَـرِعُ

وَلَدُ الفَقَّاسِ: الدُّمُسْتُقِ[8].

ثُمَّ قالَ: أَجَلُّ مِنْ وَلَدِ الفَقَّاسِ، وهو الدُّمُسْتُقُ[9]، وهو رَئِيسُ جَيْشِ الرُّومِ[10]، إذ[11] فَاتَ الرِّماحَ بِهَرَبِه، مَأْسُورٌ قد مُلِكَ فَكُتِّفَ، وأَمْضَى مِنْهُ

---

(١) في ر، ف «ضربوا».

(٢) في ف «فأول».

(٣) «الأظمى... الرمح» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال».

(٥) في ر، ف «يستغيثه»

(٦) في ف «طال».

(٧) في ف «العجلين».

(٨) «ولد... الدمستق» زيادة في ل.

(٩) «وهو الدمستق» زيادة في ر، ف.

(١٠) «وهو رئيس جيش الروم» زيادة في ل.

(١١) في ف «إذا».

في انهزامِه، مَقْتُولٌ قد أَهْلِكَ وَصُرِعَ؛ لأَنَّه إِنَّما هَرَبَ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ جَيْشُهُ، وَأُفْنِيَ جَمْعُهُ، وَأَذَلَّتِ الحَرْبُ عِزَّهُ، فهوَ وإِنْ كَانَ حَيًّا أَعْجَزُ مِمَّنْ قُتِلَ، وهو وإِنْ كانَ أَفْلَتَ أَذَلُّ مِمَّنْ أُسِرَ[1].

٢٥ ـ وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ البِيْضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ في أَحْشَائِهِ فَزَعُ

يَقُولُ[2]: وما نَجَا من شِفَارِ السُّيُوفِ مُنْفَلِتٌ، أَنْجَاهُ فِرَارُهُ، وعَصَمَهُ من القَتْلِ هَرَبُهُ، فهو لا يَأْمَنُ لِشِدَّةِ فَزَعِهِ، ولا يَسْكُنُ لاسْتِحْكَامِ تَوَقُّعِهِ، ومَنْ كَانَتْ هذه حَالُهُ، فَحَيَاتُهُ مَوْتٌ، ونَجَاتُهُ هَلاَكٌ[3].

٢٦ ـ يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْرَاً وهو مُخْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الخَمْرَ حَوْلاً وَهو مُمْتَقِعُ

الخَبَلُ: الجُنونُ، والامتِقاعُ: تَغَيُّرُ اللَّونِ[4].

ثُمَّ أَكَّدَ ما قَدَّمَهُ، فقالَ: يُبَاشِرُ الأَمْنَ دَهْرَاً، وهو[5] لِفَزَعِهِ مُخْتَبِلُ العَقْلِ، ويَشْرَبُ الخمرَ حَوْلاً، وهو لِشِدَّةِ مَخَافَتِهِ مُمْتَقِعُ اللَّونِ.

٢٧ ـ كَمْ مِنْ حُشَاشَةِ بِطْرِيقٍ تَضَمَّنَهَا لِلْبَاتِرَاتِ أَمِينٌ مَا لَهُ وَرَعُ

الحُشَاشَةُ: رَمَقُ النَّفْسِ، والباتِراتُ: السُّيُوفُ، والأَمينُ: الذي يَصْدُقُ في ما وَلِيَهُ، وأَرادَ هاهنا به القَيدَ[6].

---

(١) في ر، ف «فهو وإن كان أفلت، أذل ممن قد أسر، وإن كان حيياً فهو أعجز ممن قتل».

(٢) زاد في ر، ف «ثم».

(٣) في ت «هلك».

(٤) «الخبل... اللون» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «أو هو».

(٦) «الحشاشة... القيد» زيادة في ل.

فيقولُ[1]: كم من بِطْرِيقٍ لم يَبْقَ مِنهُ إلا رَمَقُهُ، ضَمِنَ ذلك الرَّمقَ للسيوفِ أَمِينٌ من القَيْدِ لا وَرَعَ لَهُ، وحَافِظٌ لا يُحْذَرُ[2] الخِيَانَةُ[3] عليه.

٢٨ ـ يُقَاتِلُ الخَطْوَ مِنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ

ثُمَّ بيَّنَ القَيْدَ الذي كَنَى عَنْهُ، فَقَالَ: إذا حَاوَلَ ذلكَ البِطْرِيقُ الخَطْوَ، مَنَعَهُ القَيْدُ مِنْهُ، وإذا رامَ المَشْيَ، قَاتَلَهُ بِتَضَايُقِهِ دونَهُ[4]، وكذلكَ لا يُمْكِنُه الاضطِجَاعُ به، فَيَطْرُدُ عَنْهُ نَوْمَهُ، ولا تَتَأَتَّى لَهُ الحَرَكَةُ مَعَهُ، فَيَتَضَاعَفُ عَلَيْه هَمُّهُ.

٢٩ ـ تَغْدو المَنَايَا فَلا تَنْفَكُّ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لها غُودِي فَتَنْدَفِعُ

ثُمَّ قالَ، يريدُ سيفَ الدولة: تَغْدُو المَنَايا فلا تَنْفَكُّ واقِفَةً تَرْتَقِبُ أَمْرَهُ، وَتُبادِرُ فلا تَزَالُ مَاثِلَةً تَسْتَمْطِرُ رَأيَهُ، فإنْ كَفَّها[5] وَلَّتْ مُنْدَفِعَةً، وإن أَرْسَلَ بها سُيوفَهُ سَطَتْ مُسْتَعْجِلَةً، وفي ظَاهِرِ لَفْظِهِ ما يَدُلُّ على هذه العِبَارةِ.

٣٠ ـ قُلْ للدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلِمِيْنَ لَكُمْ خَانُوا الإلَهَ[6] فَجَازَاهُمْ بما صَنَعُوا

قولُهُ: «قُلْ للدُّمُسْتُقِ إنَّ المُسْلِمِيْنَ لكم»، قالَ[7]: كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ قد اجْتَازَ في اللَّيلِ المَوْضِعَ[8] الذي قَتَلَ فيه[9] سَيْفُ الدَّولةِ مَنْ قَتَلَهُ من أَسْرَى

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».
(٢) في ر «لا يجوز» وفي ف «لا يحول».
(٣) في ف «الجناية».
(٤) في ر، ف «بِتَقَايُنِهِ عنه» في ت «بتضييقه».
(٥) في ف «فإن جدها المعاود» وصوب ذلك في هامش ر.
(٦) في ر، ف «الأمير» وكذا في رواية الواحدي والتبيان وابن المستوفي.
(٧) «قوله... قال» زيادة في ر، ف.
(٨) في ل «بالمعركة».
(٩) في ل «فيها».

الرُّومِ، وكانَ هُنَالِكَ[1] فيها[2] من المُسْلمينَ قَوْمٌ؛ منهم من أَضْجَعَه[3] النَّومُ والتَّعَبُ[4]، ومنهُمْ مَنْ كانَ يَتَتَبَّعُ[5] القَتلَى فَيُجْهِزُ[6] على مَنْ كَانَ فيه مِنْهُمْ رَمَقٌ، وقد تَقَدَّمَ سيفُ الدَّولةِ، وأَدْرَكَ العَدُوُّ هذهِ الطَّائِفةَ، فأَوْقَعَ بهم[7]، فَقَتَلَ فيهم وأَسَرَ[8]، فَلِذلكَ قالَ أبو الطَّيِّبِ[9]: قُلْ للدُّمُسْتُقِ: إنَّ الـذينَ أَسْلَمَهُمْ لكُم سيفُ الدَّولةِ خَانوا الإلَهَ بِعِصْيَانهم لأَمِيْرِهِم، وانقِطاعِهم عن جَمَاعَتِهم[10]، فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوه، وأَعْقَلَهُم فَظَفِرْتُمْ بهم، وضيَّعَهُم فَظَهَرْتُم عَلَيْهِم[11].

٣١ ـ وَجَـدْتُمُـوهُمْ نِيَـامـاً في دمـائِكُمُ كَـأَنَّ قَـتْـلاَكُمُ إِيَّـاهُـمُ فَجَـعـوا

ثُمَّ قَالَ: وجدتمُوهُمْ نِيَامَاً بَيْنَ قَتْلاَكُمْ، ومَنْ أَجْهَزُوا عَليه من جَرْحَاكُم، حَتَّى كأَنَّهم لِتَقَلُّبِهِمْ[12] بَيْنَهم مَفْجُوعونَ بهم، مُتَوَجِّعونَ لَهُم.

٣٢ ـ ضَعْفَى تَعِفُّ الأَعَادِي[13] عَنْ مِثالِهِم مِن الأَعادي وإن هَمُّوا بهم[14] نَزَعُوا

---

(١) «هنالك» زيادة في ر، ف.
(٢) «فيها» زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «أثقله».
(٤) «التعب» زيادة في ر، ف.
(٥) في ر، ف «منهم من يتبع».
(٦) في ر، ف «فيجيز».
(٧) «فأوقع بهم» زيادة في ل.
(٨) «فقتل فيهم وأسر» زيادة في ر، ف.
(٩) ساقطة من ر، ف.
(١٠) في ر، ف «عسكره».
(١١) في ل «وأظفركم بهم، وأظهركم عليهم».
(١٢) في ر، ف «لبقائهم».
(١٣) في رواية التبيان «الأيادي».
(١٤) «همّوا بهم» ساقطة من ف.

نَزَعْتُ عن الشيءِ: إذا أَعْرَضتُ عَنْهُ[1].

فيقولُ[2]: للرُّومِ: إنَّ مَنْ أَسَرْتُمُوه[3] مِنَ المُسْلِمين، إنَّما كانوا ضَعْفَى لا يُحْفَلُ بهم[4]، ولا يُعَرَّجُ على مَنْ كَانَ في مِثْلِ[5] حالِهم، بل الأَعادي يَتَرَفَّعونَ[6] عن الانحِطَاطِ إلى نُظَرائِهم مِنْ أعاديهم[7]، وإن هَمُّوا بهم نَزَعوا عن ذلك وتَرَكوهُ، وأَنِفُوا منهُ واجتَنَبُوهُ.

٣٣ ـ لا تَحْسَبُوا مَن أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ فَلَيْسَ تَأْكُلُ[8] إلا الميِّتَ الضَّبُعُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: لا تَحْسِبوا أَنَّ مَنْ أَسَرْتُمُوه رَمَقاً يُطْمِعُكم بهِ، وَبَقِيَّةً تَبْعَثُ لَكُم رَجَاءً فيه، فلو كانَ ذلكَ[9] لضَعُفْتُمْ عن أَسْرِه، وعَجَزْتُم عن قَتْلِهِ، فإنَّما أَنْتُم كالضَّبُعِ التي تَهَابُ الحيَّ وتَحْذَرُهُ، وتَتَسَلَّطُ[10] على الميِّتِ فَتَأْكُلُهُ، وأَنتُم كذلكَ عَجَزْتُم عن مُقَارَعَةِ الأَبطالِ، وتَسَلَّطْتُم على الضُّعَفَاءِ والأَفْسَالِ[11].

٣٤ ـ هَلاَّ على عَقَبِ الوادِي وقد صَعِدَتْ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى ثُمَّ[12] تَجْتَمِعُ

---

(١) «نزعت... عنه» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «ثم يقول».

(٣) في ر، ف «أسرتموهم».

(٤) في ر، ف «بمثلهم».

(٥) «مثل» زيادة في ر، ف.

(٦) في ل «يتوقفون».

(٧) في ر، ف «إلى من كان في حالهم».

(٨) في رواية الواحدي والتبيان «يأكل».

(٩) في ر، ف «كذلك».

(١٠) في ف «وسلط».

(١١) «وأنتم... والأفسال» زيادة في ل، والأفسال: جمع فَسْل وهو الرَّذل الذي لا مروءة له.

(١٢) كذا في ل، وفي ر، ف ورواية الواحدي والتبيان «ليس».

العَقَبُ: جَمْعُ عَقَبَةٍ[1].

فيقولُ، مخاطباً للرُّوم: هَلاَّ كانَ ما أَظْهَرْتُموهُ من الإقدامِ على المتخَلِّفينَ، من ضُعَفاءِ الجيشِ عند تَجَمُّعِكُم على عَقَبِ الوادي، وأَخْذِكُم بِمَضَائِقِه[2]، واعتراضِكُم لجيشِ سيفِ الدَّولةِ فيه، ثُمَّ وَلَّيْتُم ناكِصينَ[3]، وتَرَكْتُم الطَّريقَ صَاغِرِينَ، وقد صَعِدَتْ نَحْوَكُم من ذلك الجَيْشِ أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادى، لا يُمْكِنُها الاجتِمَاعُ لِضِيقِ المَوْضِعِ، ولا يَتَهَيَّأُ لها التَّرَافُدُ[4] لِوُعُورَةِ المَسْلَكِ، فَيَمُرُّون أفراداً ثمَّ يَجْتَمِعونَ، ويَخْطُرونَ آحاداً ثُمَّ يلتَئِمونَ[5].

٣٥ ـ تَشُقُّكُم بِفِتْيَانِها[6] كُلُّ سَلْهَبَةٍ والضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَعُ

السَّلْهَبَةُ من الخيلِ: الطَّويلَةُ[7].

ثُمَّ قالَ: تَشُقُّكُم بِفِتْيَانِها[8]؛ بِفِتْيَانِ جَيْشِهِ، كُلُّ سَلْهَبَةٍ من عِتاقِ خَيْلِهِ، يُريد[9]: أَنَّ الجَيْشَ اخْتَرَقَهُم، وأَقْدَمَتْ فُرْسَانُه عَلَيْهِم والجِراحُ قَدْ أَثْخَنَتْهُم، ومن نَالَهُ الضَّربُ[10] فيهم أَكْثَرُ مِمَّنْ فاتَهُ مِنْهُم.

(١) العقبة: جمع عَقَبَة» زيادة في ل.
والعقبة: المرقى الصعب من الجبال.
(٢) في ر، ف «لمضائقه».
(٣) في ف «كاظمين».
(٤) في ف «الترادف».
(٥) في ر، ف «لا يجتمعون... لا يلتئمون».
ومقصود أبي الطيب توبيخ فعل الروم والإعلان عن جبنهم، إذ كان بإمكانهم، لو ملكوا الشجاعة، أن يتعرضوا لفرسان سيف الدولة الذين عبروا مضائق الطريق فرادى، ثقة بشجاعتهم.
(٦) كذا في رواية ابن جني وابن المستوفي، وفي رواية الواحدي وأبي العلاء المعري والتبيان «بقناها» «قال أبو العلاء: «بقناها: أي القنا الذي على ظهرها» (النظام ج ٢ ورقة ١٥٨).
(٧) «السلهبة... الطويلة» زيادة في ل.
(٨) «تشقكم بفتاها» زيادة في ر، ف.
(٩) في ر، ف «يشير إلى».
(١٠) في ل «الطعن». لأن رواية البيت فيها «والطعن يأخذ».

٣٦ ـ وَإِنَّمَـا عَـرَضَ اللَّهُ الجُنُـودَ بِكُمْ[١] لِكَي يَكُونُوا بِـلا فَشْلٍ[٢] إذا رَجَعـوا

الفَشْلُ: الدَّنِيءُ مِنَ الرِّجَالِ[٣].

ثُمَّ قالَ: وإنما عَرَضَ اللَّهُ الجيوشَ بِكُمْ، يُرِيدُ: أَنَّ اللَّهَ خَلَّصَها من الأَدْنياءِ، وطَهَّرَها من الضُّعَفَاءِ والجُبَنَاءِ، فَقَتَلَهُمْ بكم، وكَفَى جَيْشَ سَيْفِ الدَّولَةِ[٤] مَؤُونَتَهُم[٥] على أَيْدِيكُمْ، ليكُونوا عِنْدَ رُجوعِهِم صَمِيْماً[٦] لا حَشْوَ فيهم، وأَبْطَالاً لا فَشْلَ بينهم.

٣٧ ـ فَكُـلُّ غَـزوٍ إليـكُمْ بَـعْـدَ ذَا فَلَهُ وَكُـلُّ غَـازٍ لِسَيْفِ الـدَّولـةِ التَّبَـعُ[٧]

ثُمَّ[٨] يقولُ للرُّومِ: إنَّ سيفَ الدَّولـةِ قد نَهَجَ للنَّـاسِ[٩] سَبِيْلَ[١٠] غَزْوِكُم، وهَوَّنَ على مَنْ أَرَادَكُم أَمْرَكُم، فَمَنْ غَزَاكُم بَعْدَهُ فإنَّما يَقْفُو أَثَرَهُ، ومن اقْتَحَمَ أَرْضَكُم فإنَّما يَمْتَثِلُ سَيْرَهُ.

٣٨ ـ تَمْشِي[١١] الكِـرَامُ عَلَى آثـارِ غَـيْرِهِمِ وأَنْـتَ تَخْـلُقُ مـا تَـأْتِي وَتَـبْـتَـدِعُ

---

(١) قال الواحدي: «كل الناس رووا بكم، والصحيح لكم باللام لأنه يقال عرّضت فلاناً لكذا فتعرض له، ويجوز أن يكون بكم من صلة معنى التعريض لا من لفظه ومعناه» ص ٤٥٦.

(٢) في ف «فشل».

(٣) «الفسل... الرجال» زيادة في ل.

(٤) في ل «إن الله خلصها من الأدناء والضُّعَفاء... وكفى الجيوش».

(٥) في ر، ف «موقته».

(٦) الصَّميم من الرجال: الخالص المحض.

(٧) في ف «اتبع».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) زيادة في ل.

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) كذا في ل ورواية ابن جني والواحدي وابن المستوفي وفي ر، ف والتبيان «يمشي».

الخَلْقُ: الصِّناعَةُ[1]

ثُمَّ قالَ لِسَيْفِ الدَّولةِ: تَمْشِي الكِرامُ على آثار مَنْ تَقَدَّمَها، مُقْتَدِيَةً بِفِعْلِهِ[2]، وَتَتْلُوهُ مُمْتَثِلَةً لِسَعْيِهِ، وأَنْتَ تَبْتَدِئُ ما تَأْتِيهِ في المَجْدِ وَتَبْتَدِعُهُ، وتَسْبِقُ إلى ذلِكَ وَتَخْتَرِعُهُ.

٣٩ ـ وَهَلْ يَشِيْنُكَ وَقْتٌ كُنْتَ[3] فَارِسَهُ وَكَانَ غَيْرُكَ فيهِ العاجِزُ الضَّرَعُ

الشَّيْنُ: العَيْبُ، والضَّرَعُ مِنَ الرِّجالِ: الضَّعيفُ[4].

فيقولُ[5]، مُشِيراً إلى خِذْلانِ أَصحابِ سَيْفِ الدَّولة لـه[6] في بعضِ تلكَ الغَزَاةِ:[7] وهل يَعِيْبُك وَقْتٌ أَقْدَمْتَ فيهِ وأَحْجَمَ فُرْسَانُك، وكَرَرْتَ وقد عَجَزَ أَصْحَابُك، فَبَانَ فَضْلُكَ وبَانَ نَقْصُهُم، وجَلَّ قَدْرُكَ وضَاقَ عُذْرُهُم.

٤٠ ـ مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ ولا يَضَعُ

ثُمَّ قالَ: ومَنْ حَلَّ في الفَضَائِلِ مَحَلَّكَ، واشْتَهَرَ بالشَّجَاعَةِ اشْتِهَارَكَ، فَتَوَاضَعَتِ[8] الشَّمسُ عن مَوْضِعِه، وقَصَّرَ مَحْتِدُها عن مَحْتِدِهِ[9]، فلم يَبْقَ له في الشَّرَفِ غايةٌ يَبْلُغها[10] فَتَرْفَعَهُ، ولا لِلعَيْبِ إليه سَبِيْلٌ فَيَضَعَهُ.

---

(١) «الخَلْقُ: الصناعة» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «بنعلها».

(٣) في رواية التبيان «أنت»

(٤) «الشين... الضعيف» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) ساقطة من ل.

(٧) في ف «الغزالة».

(٨) كذا في ل، ت وفي ر، ف «وتواضعت».

(٩) المحتد: الأصل والطبع.

(١٠) كذا في ل، ت وفي ر، ف «فليس في شرفه زيادة مترفعة».

٤١ ـ لم يُسْلِمِ الكَرُّ في الأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ إنْ كَانَ أَسْلَمَهَا[١] الأصحابُ والشِّيَعُ

الشِّيَعُ: الأتباعُ[٢].

فيقول[٣] لم يُسْلِمْ مُهْجَةَ[٤] سَيْفِ الدَّولةِ بأسُهُ وإقدامُهُ، وكَرُّهُ في أَعْقَابِ خَيْلِهِ واستِلْجَامُهُ، إن كانَ أَسْلَمَها[٥] أَتْبَاعُهُ وَحَشَمُهُ، وفَارَقَهُ فُرْسَانُهُ وَخَوَلُهُ، بل كانَ من شَجاعَتِهِ في جَيْشٍ يَمْنَعُهُ، ومن إقْدَامِهِ في جَمْعٍ يُتْبِعُهُ.

٤٢ ـ لَيْتَ الملوكَ على الأَقْدارِ مُعْطِيةٌ فَلَمْ يَكُنْ لِذَنِيٍّ عِنْدَها طَمَعُ

ثُمَّ قالَ، لَيْتَ أَنَّ[٦] الملوكَ في عَطَاياها[٧] جاريةٌ[٨] على قَدْرِ مَنْ تُعْطِيه، وحَقِيْقَةِ مَنْ تُؤْثِرُهُ وتُدْنِيه، فلم يَكُنْ للأَدْنِياءِ طَمَعٌ في فَضْلِهم، ولا لأَهْلِ الجُبْنِ والخَوَرِ نصيبٌ في بَذْلِهم، وأَشَارَ بهذا إلى مَنْ فَرَّ عن سَيْفِ الدَّولةِ من فُرْسَانِه، الذينَ كَانَ يُؤْثِرُهم بالإحسانِ، ويَخُصُّهم بالتوسُّعِ والإنعام[٩].

٤٣ ـ رَضِيتَ مِنْهُم بأَنْ زُرْتَ[١٠] الوَغَى فرأوا وإن قَرَعْتَ حَبِيْكَ البِيْضِ فاسْتَمعُوا

الحَبِيْكُ: طَرَائقُ في الماءِ، واستعارَ ذلك في البِيْضِ، والواحِدُ حَبِيْكَةٌ[١١].

---

(١) في ر، ف «أسلمنا».

(٢) الشيع: الأتباع» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) في ر، ف «مهجته».

(٥) في ر، ف «أسلمه».

(٦) ساقطة من ر، ف.

(٧) في ر، ف «إعطائها».

(٨) في ر «جازية» وفي ف «جائزة».

(٩) في ر، ف «يؤثرهم بإحسانه ويخصهم بتوسعه وإنعامه».

(١٠) في رواية التبيان «زرتُ» بالرفع.

(١١) «الحبيك... حبيكة» زيادة في ل.

فيقولُ[1] لسيفِ الدَّولةِ: رَضيتَ من فُرْسَانِكَ بأن صَلِيتَ الحربَ، فرأْوْكَ وشَهِدُوكَ[2]، وقَرَعْتَ حَبِيكَ بِيْضِ الرُّومِ بِجلاَدِكَ، فاسْتَمعوا[3]، يُشِيرُ إلى أَنَّه أَقْدَمَ وأَحْجَمُوا، وكَرَّ في أَعْقَابِهم وانهزَمُوا.

٤٤ ـ لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشّاً في مُعَامَلةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْه بِغَيْرِ الصِّدقِ تَنْتَفِعُ

ثُمَّ قالَ يُخَاطِبُهُ: لقد أَبَاحَكَ الغِشَّ في مُعَامَلَتِهِ مَنْ كَذَبك عن نَفْسِهِ، وَلَبَسَ عليكَ في أَمْرِه، فأَرَاكَ الشَّجَاعَةَ، والجُبْنُ خَلِيْقَتُهُ[4]، وأَظْهَرَ لَكَ الجَلَدَ، والضُّعفُ حَقِيْقَتُهُ، فَمَوَّهَ بما لا يَبْلُغُهُ، وتَعَاطَى عِنْدَكَ ما لا يَفْعَلُهُ.

٤٥ ـ الدَّهرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيفُ مُنْتَظِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ

المُصْطَافُ: مَوْضِعُ الإقامةِ في الصَّيْفِ، والمُرْتَبَعُ: مَوْضِعُ الإقامةِ في الرَّبيعِ[5].

فيقول[6] لِسَيْفِ الدَّولةِ: الدَّهرُ مُعْتَذِرٌ مما سَمَحَ به للرُّومِ في[7] نَيْلِهم من أَطْرَافِ جَيْشِكَ، والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ لإدراكِ الثَّأْرِ فيهم، واسْتِعْجَالِ الانتقامِ منهم، وأَرْضُهُم مُصْطَافٌ لِجُيوشِكَ، ومُرْتَبَعٌ لِخُيولِكَ، لا تُغِبُّهُمْ وَقَائِعُكَ، ولا تَنَامُ عَنْهُم عَزَائِمُكَ.

٤٦ ـ وما الجِبَالُ لِنَصْرانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّر فيها الأَعْصَمُ الصَّدَعُ

---

(١) في ر، ف «ثم قال».
(٢) زيادة في ل.
(٣) في ر، ف «فاستمعوك».
(٤) في ر، ف «طبيعته».
(٥) «المصطاف... الربيع» زيادة في ل.
(٦) في ر «ثم يقول» ويقول» ساقطة من ف.
(٧) في ر، ف «من».

الأَعْصَمُ: الوَعِلُ الذي في بَدَنِهِ بياضٌ، والصَّدَعُ: الوَعِلُ بَيْنَ الوَعِلَيْنِ، لا بالمُسِنِّ ولا بالصَّغِيرِ. والنَّصْرَانُ: واحِدُ النَّصارَى، نَحْوَ نَدْمَان ونَدَامى، قالَ الشاعرُ[1]:

فِكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرانَةٌ لم تَحَنَّفِ[2]

ثُمَّ قالَ: وما تَعْصِمُ الجِبالُ مُتَنَصِّراً مِنْكَ، ولا تَحْجُبُهم[3] بامْتِنَاعِها عنك، ولو أَنَّ الأَعصَمَ الصَّدَعَ يَتَنَصَّرُ فيها لما امتَنَعَ عليك ولأَسْلَمَتْهُ الأقدارُ إليك، وضَرَبَ المثلَ بالوَعِلِ لِقُدْرَتِهِ على الصُّعودِ في الجِبَالِ، والتَّقحُّمِ للأَوْعَارِ، واشتَرَطَ الصَّدَعَ؛ لأَنَّه أَثْبَتُ[4] قُوَّةً، وأَشَدُّ سُرْعَةً، وهذا الاشْتِرَاطُ[5] بَابٌ مِن البديعِ يُعْرَفُ بالتَّتْميمِ.

٤٧ ـ وما حَمِدْتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ والأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ

المِصَاعُ: التَّجالُدُ بالسُّيوفِ[6].

فيقولُ[7]: وما بَلَغْتُ[8] حَقِيقةَ وَصْفِكَ، ومَا يَجِبُ في حَمْدِكَ[9]، مَعَ ما

---

(١) الشاعر هو: أبو الأخزر الحماني «يصف ناقتين طأطأتا رؤوسهما من الأعياء، فشبه رأس الناقة من تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها». (انظر لسان العرب مادة: نصر)

(٢) «الأعصم: الوعل... كما سجدت نصرانة لم تحنف» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «لا تحجبه».

(٤) ي ر، ف «أنبت».

(٥) «الاشتراط» زيادة من ر، ف.

(٦) «المصاع... بالسيوف» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «ثم يقول».

(٨) في ر، ف «تلقته».

(٩) «وما يجب في حمدك» زيادة في ر، ف.

شَهِدْتُهُ من ثَبَاتِكَ[1] في الأهوالِ التي جَمَعَتْني بِكَ، حَتَّى بَلَوْتُكَ والأَبْطَالُ تَتَمَاصَعُ سُيُوفُها، وتَجْتَهِدُ في جِلاَدِها[2]، وَرأَيْتُ غَنَاءَكَ[3] وشِدَّةَ بأسِكَ، ومُقَاوَمَتَكَ للرُّومِ بنفسِكَ، فَهُنَاكَ عَلِمتُ مِقْدَارَ صَبْرِكَ، واسْتَوْفَيْتُ حَقِيقَةَ حَمْدِكَ[4].

٤٨ ـ فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَاناً مَنْ بِهِ زَمَعُ

الخَرَقُ: البَهْتُ والدَّهْشُ، والزَّمَعُ: خِفَّةٌ تَعْتري الشُّجَاعَ عِنْدَ الحَرْبِ نَحْوَ اشتدَادِ الحُمَّى، وكانَ البراءُ بنُ مالِكٍ الأنصاريُّ[5] قد شَهُرَ بها[6].

ثُمَّ قالَ مُؤَكِّداً لِما ذَكَرَ[7]: أَنَّهُ خَفِي عليه من أَمْرِهِ، وأَنَّ المُقَاتِلَ[8] لا يُقْضَى عَلَيهِ دون الاخْتِبَارِ لِظَاهِرِهِ[9]: فَرُبَّ مَنْ يَثْبُتُ في الحربِ، ويَسْكُنُ[10]

---

(١) «من ثباتك» زيادة في ل.

(٢) في ل «جهادها».

(٣) في ر، ف «عناك».

(٤) في ر، ف «واستوفيتك حقيقة مدحك».

(٥) البراء بن مالك بن النضر الأنصاري أخو مالك بن أنس لأبيه وقيل لأمه، كان رضي الله عنه أحد الفضلاء، ومن الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك في قتله، وشهد البراء مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا بدراً، وله يوم اليمامة أخبار تدل على شجاعته وإقدامه، واستشهد يوم حصن، وقيل إن الهرمزان هو الذي قتله، على أن البراء كان حسن الصوت، وكان يرتجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره.
(انظر الإصابة ١/١٤٣ والاستيعاب ١/١٥٣).

(٦) «الخرق... شهر بها» زيادة في ل.

(٧) في ل «ثم قال مؤكداً لما كان خفي عليه من أمره».

(٨) في ف «المقادر».

(٩) في ر، ف «بظاهره».

(١٠) «ويسكن» زيادة في ل.

ولا يَنْصَرِفُ[1]، فَيُظَنُّ[2] به الشَّجَاعةُ، وإنَّما ثَبَتَ عن دَهْشٍ وَخَرَقٍ، ورُبَّ مَنْ يَخِفُّ فيها وَيَضْطَرِبُ فَيُظَنُّ به الجُبْنُ، وإنما اضطَرَبَ عن إقدامٍ وشَرَهٍ.

٤٩ ـ إنَّ السِّلاحَ جَمِيعُ النَّاسِ يَحْمِلُهُ[3] وَلَيْسَ كُلُّ ذَواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ

ثُمَّ ضَرَبَ في ذلكَ مَثَلاً، فقالَ: إنَّ السِّلاحَ يَشْتَرِكُ النَّاسُ في حَمْلِهِ، ويَتَماثلونَ[4] في الاسْتِعمالِ به، وقليلٌ منهم مَنْ يَسْتَعْمِلُهُ في الجِلادِ والطِّعانِ، ويَصْرِفُه[5] في مُنَازَلَةِ الأَقْرانِ يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّولةِ، كما أنَّ السِّباعَ كُلَّها ذواتُ مَخَالِبَ، ولكِنَّ الأَسَدَ يَفْضُلُها بِقُوَّتِهِ[6]، وَيَزِيدُ عَلَيْها بِشِدَّتِهِ وبأْسِهِ[7]، وكذلِكَ[8]، أَصْحَابُ[9] سيْفِ الدَّولةِ يَتَزَيَّوْنَ بِشَكْلِهِ، ويُشَاركونَهُ في لُبْسِ السِّلاحِ وحَمْلِهِ، ولكنَّهم يُقَصِّرونَ عن تَصْرِيفِهِ لَهُ، ويَعْجَزُونَ عَمَّا يَبْلُغُهُ من البَطْشِ بِهِ.

ورَفَعَ كلَّ ذواتِ المِخْلَبِ والسَّبُعَ على الابتداءِ والخبرِ، وأَضْمَرَ اسمَ «ليسَ»، كأَنَّه قالَ: وليسَ الشَّأْنُ أنَّ كُلَّ ذواتِ المِخْلَبِ السَّبُعُ، وصارَ الابتداءُ وخَبَرُهُ[10] في مَوْضِعِ خَبرِ لَيْسَ، والعربُ تَفْعلُ[11] ذلكَ، فتقولُ: «ليس

---

(١) زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، «ويظن» وفي ل «فتظن».

(٣) في رواية التبيان «تحمله» ويروى «يعرفه».

(٤) في ف «ويتمايلون».

(٥) «ويصرفه» زيادة في ر، ف.

(٦) في ل «لقوته».

(٧) في ر، ف «ببأسه وشدته».

(٨) في ر، ف «وأشار إلى أن».

(٩) ساقطة من ت.

(١٠) في ر، ف «وصيتر الابتداء والخبر».

(١١) في ر، ف «تفصل».

خَلَقَ اللهِ مِثْلَهُ»، فَتُضْمِرُ الشَّأنَ والقِصَّةَ، ولولا ذلك، لما وَلِيَ لَيْسَ «خَلَقَ»؛ لأن الأَفْعَالَ لا يَلِي بَعْضُها بَعْضاً، رَوَى هذا سيبَوَيْهِ عن العَرَبِ[1]، وأَفْرَدَ لهذا النَّحوِ باباً في كِتابِهِ[2]، وكثَّرَ عليهِ بالشَّواهِدِ، وشُهْرَةُ ذلك تُغْنِي[3] عن تَطْويلِ القَوْلِ فيهِ[4].

(١) كتاب سيبوية ١/ ٧٠.

(٢) «أفرد... كتابه» زيادة في ر، ف والباب هو: باب الإضمار في ليس وكان كالإضمار في إن» انظر كتاب سيبويه ١/ ٦٩ ـ ٧٢.

(٣) في ر، ف «أودعه من الشواهد ما تغني شهرته....».

(٤) زاد في ل «إن شاء الله».

وَتَوَقَّفَ سيفُ الدَّولةِ في غَزَاةٍ ثانيةٍ على إحراقِ القُرَى بِبُقْعَةِ عَرْبَسُوسَ[١]، ثُمَّ أَصْبَحَ صَافَّاً، يُرِيدُ سَمَنْدُو، وقد اتَّصَلَ به أَنَّ العَدُوَّ بها مُعِدٌّ، جامِعٌ في أَرْبَعينَ أَلْفاً، فَتَهَيَّبَ جَيْشُ سَيْفِ الدَّولةِ الإقدامَ عليها، وأَحبَّ سَيْفُ الدَّولَةِ المسيرَ إليها[٢]، فاعترَضَهُ أبو الطَّيِّبِ، وأَنْشَدَهُ[٣]:

١ - نَزُورُ دِيَاراً مَا نُحِبُّ[٤] لها مَغْنَى وَنَسْأَلُ عنها غَيْرَ سُكَّانِها[٥] الإِذْنَا

المَغنَى: المَوْضِعُ الذي يُحَلُّ فيه ويُسْكَنُ[٦].

فيقولُ: نَزُورُ من بِلادِ الرُّومِ ديارَاً ما نُحِبُّها، ونَقْصِدُ مَوَاضِعَ لا نَأْلَفُها، فَنَزُورُها على سَبِيلِ الإفسَادِ[٧] لها، ولَسْنَا نَزُورُهَا على سَبِيْلِ الأُنْسِ بها، وَنَسْتَأْذِنُ في دُخُولِها أُمَراءَ جُيُوشِنا، والمُدَبِّرينَ لأُمورِنا، فَنَزُورُها غَيْرَ مُوجِبينَ لِحَقِّها، ونَدْخُلُها غَيْرَ مُسْتَأْذِنينَ لأَهْلِهَا. واستَعْمَلَ في هذا الإشارةَ دونَ التَّصريحِ، وذلكَ مِنْ أبوابِ البَديعِ[٨].

---

(١) بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة، وروى أبو عبيدة أن عمير بن سعد أو سعيد كان والياً على طائفة من الشام وقد ذكر هذه المدينة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ودورها في نقل أخبار المسلمين إلى الروم، فأمره عمر بتخريبها بعد تعويض أهلها عن ممتلكاتهم وإجلائهم عنها.
(انظر معجم ما استعجم ٩٢٩/٣).

(٢) في ر، ف «الإقدام عليه... المسير إليه».

(٣) سنة أربعين وثلاثمائة.

(٤) في ر، ف «يحب».

(٥) في ر، ف «ونسأل فيها غير ساكنها».

(٦) المغنى... ويسكن» زيادة في ل.

(٧) في ر، ف «التعبير».

(٨) «واستعمل... البديع» زيادة في ل.

٢ - نَقودُ إلَيْها الآخِذاتِ لنا[١] المَدَى عَلَيْها الكُماةُ المُحْسِنونَ بِها ظَنّا[٢]

المَدَى: الغَايَةُ[٣].

ثُمَّ قالَ: نَقودُ إليها من الخَيْلِ ما نَسْتَصْفِيهِ لِعِتْقِهِ، ويُحْرِزُ[٤] لنا الغَاياتِ بسَبْقِهِ، وعلى تلكَ الخيلِ مِنّا كُماةُ الفُرْسَانِ، الَّذين جَرَّبُوهَا فَصَدَقَتْهُم، واختَبَرُوها فَأَرْضَتْهُم.

٣ - وَنُصْفي الذي يُكْنَى أبا الحَسَنِ الهَوَى ونُرْضِي[٥] الذي يُسْمَى الإلهَ ولا يُكْنَى

الكُمَاةُ: الشُّجْعانُ، واحِدُهُم كَمِيٌّ[٦].

ثُمَّ قالَ: وَنُصْفِي المَدْعُوَّ بِكُنْيَتِهِ، يُشِيرُ إلى سَيْفِ الدَّوْلَةِ، صَادِقَ وُدِّنَا، ونُمْحِضُ لهُ خَالِصَ نُصْحِنا[٧]، ونُرضِي الإلهَ الذي سَمَّى نَفْسَهُ، وارتَفَعَ عن الكُنْيَةِ قَدْرُهُ، بإعزَازِنا[٨] لِدِيْنِهِ، وجِهَادِنا لِعَدُوِّهِ، وجَرَى في جَميعِ ذلكَ على الإشارةِ التي قَدَّمنا[٩]، وهي من أبْوابِ البَدِيعِ[١٠].

٤ - وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا إذا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا عُدْنَا

يقولُ[١١]: وقد عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ بِوَقَائِعِنَا فيهم، وما نُحْدِثُهُ من القَتْلِ عليهم، أَنَّا إذا ما تَرَكْنَا أَرْضَهُم بالخروجِ عَنْهَا، عَاوَدْنَاها باسْتِئْنَافِ الغَزْوِ إليها.

---

(١) في ر، ف «إلى».

(٢) في رواية الواحدي والتبيان «الظنّا» وكلا الروايتين مستقيم الوزن.

(٣) «المدى: الغاية» زيادة في ل.

(٤) في ف «ومحرز».

(٥) كذا في ل وفي ر، ف ورواية الواحدي والتبيان «ونرضي».

(٦) «الكماة... كمّى...» زيادة في ل.

(٧) في ل «نصيحتنا».

(٨) في ف «باعتزازنا».

(٩) في ر، ف «وجرى في جميع هذا على الاستعارة».

(١٠) «وهي من أبواب البديع» زيادة في ر، ف.

(١١) في ر، ف «ثم وقد علم».

٥ ـ وإنَّـا إذَا ما المـوتُ صَرَّحَ في الـوَغَى لَبِسْنَا إلى حَاجَاتِنَا الضَّـرْبَ والطَّعْنَـا

التَّصْريحُ: الكَشْفُ والإعلانُ[١].

ثُمَّ قالَ: وإنَّا إذا مَا الموتُ في الحَرْبِ كَشَفَ عن وَجْهِهِ، وصرَّحَ عن نَفْسِه، لَبِسْنَا إلى ما نَبْتَغِيه الضَّرْبَ والطَّعنَ[٢]، وادَّرَعنَا إليه الاعتزامَ والصَّبرَ.

٦ ـ قَصَـدْنَـا لَـه قَصْـدَ الحَبِيْبِ لِقَـاؤُهُ إلينـا وقُـلْنَـا لِلسُّيـوفِ هَلُمِّنَّـا

ذكرَ سِيبَوَيْهِ[٣] أَنَّ من العَرَبِ[٤] مَنْ يقولُ «هَلُمَّ» وللاثنَيْنِ والجَميعِ بِمَعْنَى الدُّعاءِ والاسْتِقْـرابِ، ومنهم من يَجْعَلُ «هـا» لِلتَّنبيهِ و«لُمَّ» فِعْـلاً يُثَنِّيه ويَجْمَعُهُ، فيقولُ لِلْوَاحِدِ: هَلُمَّ، وللاثنَيْنِ: هَلُمَّا، وَلِلْجَميعِ هَلُمُّوا. فاسْتَعْمَلَ أبو الطَّيِّبِ هذه اللُّغةَ، وأدخلَ النُّونَ الثَّقِيْلَةَ مُؤَكِّداً على هَلُمُّوا، وهو[٥] فِعْلُ الجَـمَاعةِ، فـاجْتَمَـعَ لَـهُ في واوِ الجَمَـاعَـةِ والنُّـونِ الثَّقِيلَةِ من النُّـونِ الأُولى سَاكِنانِ[٦]، فَأَسْقَطَ أَحَدَهُمـا وهوَ الـواو، فَبَقِيَ هَلُمُنَّ، ثُمَّ أَشْبَعَ الفَتْحَـةَ لِلْقَافيةِ، فقال: هَلُمُّنَّا.

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قدَّمَهُ: نَقْصِدُ إليه[٧]، يُريدُ: الموتَ، قَصْدَ مَنْ لِقاؤُه حبيبٌ إلينا، فَنُقْدِمُ عليهِ إقدامَ من لا يَكْرَهُهُ، ونُسْـرِعُ إليهِ إسراعَ من لا يَتَوَقَّعُهُ، ونقولُ للسيوفِ هَلُمُّنَّا. قَوْلَ المُسْتَقْرِبِيْنَ لها، المُسْتَعِيْنِينَ على ما نَبْتَغِيْهِ بِهَا.

٧ ـ وخَيْـلٍ حَشَوْنَـاهَـا الأَسِنَّـةَ بَعْـدَمـا تَكَـدَّسْنَ من هَنَّـا علينـا ومِنْ هَنَّـا

---

(١) «التصريح... والإعلان» زيادة في ل.

(٢) في ل «الطعن والضرب».

(٣) كتاب سيبويه: ٣/٥٢٩.

(٤) هم أهل الحجاز.

(٥) «هلُموا وهو» زيادة من ر، ف.

(٦) في ر، ف «فاجتمعت الواو والنون الأولى من النون الثقيلة وهما ساكنان».

(٧) في ر، ف «له».

تَقولُ العربُ: حَشْوْتُهُ بالسِّنَانِ إذا أَوْدَعْتَهُ حَشَاهُ، وتَكَدُّسُ الخيلِ: أن تَرْكَبَ بَعْضُها بَعْضاً، وهَنَّا: كَلِمَةٌ يُشارُ بها إلى مَوْضِعٍ قَرِيبٍ[1].

فيقولُ: وخَيْلٍ حَشَوْنَاها أَسِنَّتَنَا، وتمكَّنَتْ في فُرسَانِها رمَاحُنَا، فَكَرِهَتْنَا بَعْدَ تَكَدُّسِهَا حَوْلَنَا، وَفَرَّتْ مِنَّا بَعْدَ إسْرَاعِها نَحْوَنَا.

٨ ـ ضُـرِبْنَ إلينـا بـالسِّيـاطِ جَهَـالَـةً فَلَمَّا تَعـارَفْنَـا ضُـرِبْنَ بِهـا عَـنَّـا

ثُمَّ قالَ، مُبَيِّناً لِذلكَ: ضُرِبَتْ تلكَ الخيلُ بـالسِّيَاطِ مُقْـدِمَةً عَلَيْنَـا، واسْتُعْجِلَتْ مُسْرِعَةً[2] إلينا، فَلَمَّا تَعَارَفْنَا نَكَصَ عَنَّا فُرْسَانُها مُوَلِّينَ، وضَرَبُوها بِتِلْكَ السِّياطِ مُنْهَزِمِينَ.

٩ ـ تَـعَدَّ القُرَى والْمُسْ بِـنَـا الجَيْشَ لَمْسَةً نُبـارِ[3] إلى مـا تَشْتَهي يَـدُكَ اليُمْنَـا

اللَّمْسُ: مَعْروفٌ، والْمُبَاراةُ: المسابَقَةُ[4].

فيقولُ[5] لِسَيْفِ الدَّولةِ، مُؤَكِّداً لِبَصِيْرَتِهِ فيما اعتَقَدَهُ من مُنَازَلَةِ جَمْعِ الرُّومِ: تَعَدَّ مُدَنَ الرُّومِ وهَدْمَهَا، ورَعَايَاهُم وسَبْيَهَا، والْـمُسْ بِنَا جَيْشَهُم لَمْسَةً، واطرُقْ بِنَا جَمْعَهُم طَرْقَةً، نُبَارِ[6] إلى ما تُرِيدُه مِنَ الإقدامِ عليهم، وما تَرْغَبُهُ من الإيقاعِ بهم يُمْنَى يَدَيْكَ، طَاعَةً لك، وامتِثَالاً لأمْرِكَ. واشتَرط يُمْنَى اليَدَيْنِ، لأنَّها أَسْرَعُ في الفِعْلِ، وهذا من التَّتْمِيمِ، وقد تَقَدَّمَ.

---

(١) «تقول العرب... قريب» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «مبادرة».

(٣) في ر، ف «نُبَادِرْ».

(٤) «اللمس... المسابقة» زيادة في ل.

(٥) في ر، ف «ثم يقول».

(٦) في ر، ف «تبارى».

١٠ ـ فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ ونحنُ أناسٌ نُتْبِعُ[١] البَارِدَ السُّخْنَا

اللُّقَانُ: مَوْضِعٌ معروفٌ من أَرْضِ الرُّومِ، كانَتْ فيه وَقْعَةُ غَزَاةِ المُصِيْبَةِ[٢].

ثُمَّ قالَ: فقَدْ بَرَدَتْ دِماؤُهُم التي سَفَكْتَهَا فوقَ اللُّقَانِ سُيوفُكَ، وأَجْرَتْهَا بالأَمْسِ فيها[٣] هُنَالِكَ جُيوشُكَ، ونحنُ أُناسٌ نُتْبِعُ[٤] بارِدَ الدَّمِ سُخْنَهُ، وَجَارِيَهُ جَامِدَهُ. يُشيرُ إلى أنَّ وَقَائِعَهُم مُتَرادِفَةٌ، وأَيَّامَهُم على الرُّومِ مُتَوالِيَةٌ.

١١ ـ وإنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّولةِ العَضْبَ فِيْهِمُ فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضِّرَابِ القَنَا اللُّدْنَا

العَضْبُ: القاطِعُ، واللُّدْنُ: اللَّيِّنُ[٥].

ثُمَّ قالَ: وإن كُنْتَ سَيْفَ الدَّولةِ العَضْبَ، إقدامَاً على ما تَقْصِدُهُ، ونَفَاذَاً فيما تَعْتَقِدَهُ، فاسْتَفْتِحْ بِنَا حَرْبَ هذا الجَيْشِ، وَضَعْنَا مِنْ مَوْضِعَ الطَّعْنِ من الضَّرْبِ، والرُّمحِ من السَّيْفِ، نَبْدَأُ الحربَ ونَخْتِمُها، ونَسْتَفْتِحُها ونُتَمِّمُها.

١٢ ـ فَنحنُ الأُلَى لا تَأْتَلِي لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذي لَوْ أَنَّهُ وَحْدَهُ أَغْنَى

الإِئتِلاءُ: التَّقصِيرُ والتأخرُ[٦].

فيقولُ: فنحنُ الَّذينَ لا نُقَصِّرُ في نَصْرِك، ولا نَتَأَخَّرُ دونَ ما يَلْزَمُنا من

---

(١) في ر، ف «نشبع».

(٢) «اللقان... المصيبة» زيادة في ل.

(٣) زيادة في ر، ف.

(٤) في ر، ف «نشبع».

(٥) «العضب... اللين» زيادة في ل.

(٦) «الإئتلاء... والتأخر» زيادة في ل.

امْتِثَالِ أَمْرِكَ، وأنتَ الذي لو انْفَرَدَ دونَ جَيْشِهِ لاسْتَغْنَى عَنْهم، ولو قَصَدَ الرُّومَ[1] وَحْدَهُ لأَغْنَى فيهم.

١٣ ـ يَقِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ العُلا وَمَنْ قَالَ لا أَرْضَى مِنَ العَيْشِ بالأَدْنَى

ثُمَّ قَالَ، دَاعياً لِسَيْفِ الدَّولةِ: يَقِيكَ من الرَّدَى، وما تَحْذَرُهُ مِنْ بَأْسِ الأَعداءِ وما تَتَوَقَّعُهُ[2]، مَنْ أَعلاهُ سُلْطَانُك، وشَمِلَهُ إِحْسَانُك، وَمَنْ يَبْتَغِي رَفِيعَ العَيْشِ بِكَ، ويُدْرِكُ مَعَالِيَ الأُمورِ عِنْدَكَ، فَكُلُّهُم خَليقٌ بِصِيَانَتك، جَديرٌ بالاسْتِهْلاكِ دونَ إِرَادَتِك.

١٤ ـ فَلَوْلاكَ[3] لم تَجْرِ الدِّمَاءُ ولا اللُّهَى[4] ولم يَكُ للدُّنيا ولا أَهْلِهَا مَعْنَى

ثُمَّ[5] يقولُ لسيف الدولة: فَلَوْلاكَ لم تُسْفَكْ دِمَاءُ الأَعداءِ، ولا اكتُسِبَتْ[6] رغَائِبُ الأَمْوَالِ، ولا كَانَ للدُّنيا وأَهْلِهَا مَعْنًى يَرْغَبُ فيه طَالِبُه، ويُنَافِسُ عليهِ مُحَاوِلُهُ.

١٥ ـ وَمَا الخَوفُ إلا ما تَخَوَّفَه الفَتَى وَمَا الأَمْنُ إلاَّ ما رآه الفَتَى أَمْنَا

ثُمَّ قالَ: وما الخَوْفُ والأَمْنُ إلاَّ بِمِقْدَارِ ما يَسْبِقُ من ذلك إلى الإِنْسَانِ فيما يَطْلُبُه، وإنما ذلك[7] بِحَسَبِ ما تَنْعَقِدُ عَليه نِيَّتُهُ فيما يَقْصِدُهُ[8]، فمَنْ[9]

---

(١) في ر، ف «العدو».

(٢) في ر، ف «يقيك من الردى ما تحذره، ومن بأس الأعداء ما تتوقعه».

(٣) في ف «فلولا».

(٤) اللُّهى: أفضل العطايا وأجزلها.

(٥) زيادة في ر، ف.

(٦) في ر، ف «ولم تكسب».

(٧) في ر، ف «وإنما هما».

(٨) «فيما يقصده» زيادة في ر، ف.

(٩) في ل «كمن».

اسْتَسْهَلَ الشَّديدَ فيما يُرِيدُه، اسْتَعْفَّهُ وأمِنَهُ، ومن استَصْعَبَ اليَسيرَ فيما يُحَاوِلُه، اسْتَثْقَلَهُ وحَذِرَهُ، وضَرَبَ هَذَا مَثلاً لسيفِ الدَّولةِ؛ لأَنَّه يُقْدِمُ على الأَهْوَالِ إقدامَ من لا يَحْذَرُها، ويَقْتَحِمُ فيها اقْتِحامَ[1] مَنْ يَأْمَنُها ولا يَتَوَقَّعُهَا.

(١) في ر، ف «ويتقحم فيها تقحم».

وقال يَمْدَحُهُ، ويَذْكُرُ هذهِ الغَزَاةَ، وأَنَّهُ لم يُتِمَّ قَصْدَ[١] خَرْشَنَةَ، بِسَبَبِ الثَّلجِ وهجومِ الشِّتَاءِ:

١ - عَـوَاذِلُ ذاتِ الخَـالِ فِيَّ حَـوَاسِـدُ وإنَّ ضَجِيـعَ الخَـوْدِ مِنِّي لَمَـاجِـدُ

الخَوْدُ: الفَتَاةُ الشَّابَّةُ، والخَالُ معروفٌ[٢].

فيقول: عَوَاذِلُ مَحْبُوبَتِي ذاتِ الخالِ، على ما تُظْهِرُهُ من الإعْجَابِ بِي[٣]، وتَلْتَـزِمُهُ[٤] من المُوَافَقَةِ لي، حَـوَاسِدُ غَـيْرُ نَوَاصِـحَ، وكَوَاذِبُ غَـيْرُ صَوَادِقَ؛ لأَنَّ ضَجِيعَ الخَوْدِ مني مَاجِدٌ سَيِّدٌ، وفَاضِلٌ أَوْحَدُ.

٢ - يَـرُدُّ يَـدَاً عَنْ ثَـوْبِهـا وَهـو قَـادِرٌ وَيَعصِي الهَـوَى في طَيْفِها وَهـوَ رَاقِـدُ

ثُمَّ قالَ، مُؤَكِّداً لما قَدَّمَهُ: يَعِفُّ عن مُلاَمَسةِ ثَوْبِها في يَقْظَتِهِ، مَعَ القُدْرَةِ على ذَلِكَ، صِيَانَةً لها، وَيَمْتَثِلُها في نَوْمِه، فَيَعْصِي هَوَاهُ في طَيْفِها ضَنَانَةً بِهَا.

٣ - مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لاَعِجِ الشَّوْقِ فِي الحَشَى مُحِبٌّ لهـا في قُـرْبِـهِ مُـتَبَـاعِـدُ

لاَعِجُ الشَّوْقِ: حَرُّهُ[٥].

فيقولُ[٦]: متى يَشْتَفِي من الشَّوقِ ولاعِجِهِ، ومِنَ الوَجْدِ وَأَلِمِهِ، مُحِبٌّ يُدْنِيه الوَصْلُ، فَتُبْعِدُهُ العِفَّةُ، ويُقَرِّبُهُ الإسْعَادُ، فَتَمْلِكُهُ المُروءَةُ.

---

(١) في ر، ف «قصده».

(٢) «الخود... معروف» زيادة في ل. والخال: الشَّامة أو النُّكْتَةُ السوداء

(٣) ساقطة من ر، ف.

(٤) في ر، ف «وتحتمل عليه».

(٥) «لاعج... حَرُّه» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم يقول».

٤ ـ إذَا كُنْتَ تَخْشَى العَـارَ فِي كُـلِّ خَلْوةٍ فَلِمْ تَتَصَبَّـاكَ الخِسَـانُ الخَـرائِـدُ[١]

ثُمَّ قالَ، مُعَنِّفاً لِنَفْسِه: إذَا كُنْتَ تَمْلِكُ أَرَبَكَ فِي خَلْوَتِكَ، ولا تَسْمَحُ لِنَفْسِك عِنْدَ قُدْرَتِك، فما لَكَ وَلِلْحِسانِ تَصْبُو بهنَّ؟! وما الذي يَدْعُوك إلى التَّعَرُّض لَهُنَّ؟!

٥ ـ أَلَـحَّ عَـلَيَّ السُّقْـمُ حتَّى أَلِـفْتُـهُ وَمَـلَّ طَبِيْبِي جـانِبِي والعَـوَائِـدُ

ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ، فَقـالَ: أَلِفْتُ السُّقْمَ بِطُولِ إلحَـاحِهِ[٢] ومـلازَمَتِه، وسَكَنْتُ إليه[٣] بِشِدَّةِ تكرُّرِهِ[٤] ومُدَاوَمَتِـهِ، وأَمْلَلْتُ الطَّبِيبَ، فـأَعرَضَ عن مُعَالَجَتِي، وأَيْأَسْتُ العَوَائِدَ[٥] فاحتَمَلْنَ على[٦] مُجَانَبَتِي.

٦ ـ مَـرَرْتُ عـلى دَارِ الحَبِيْبِ فَحَمْحَمَتْ جَوَادِي وهل تَشْجـو الجِيادَ المَعَـاهِدُ

المَعَاهِدُ: المَنَازِلُ، وحَمْحَمَةُ الفَرسِ: تكرُّرُ صَوْتِهِ[٧].

فيقولُ: إنَّهُ[٨] مَرَّ بِدارِ مَحْبُوبَتِه، وهي خَالِيَةٌ من سَاكِنِها، وَمُوْحِشَةٌ من أَهْلِها، فَحَمْحَمَتْ جَوَادُهُ، فِعْلَ عَارِفةٍ بها، وحَنَّتْ إليها حَنِينَ[٩] مُتَذَكِّرَةٍ لَهَا، فَعَجِبَ[١٠] من أن تَشْجُوَ الخَيْلَ دِيَارُ الأَحِبَّةِ، وَتَشُوقَها مَنَازِلُهُم، وتَعْطِفَهَا مَعَاهِدُهُم.

---

(١) الخرائد: جمع خَرِيْدَة، وهي الفتاة البكر الحيية المتسترة.

(٢) في ر، ف «الحاجة» وهي زيادة فيها.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ل «تكرهه».

(٥) في ر، ف «العواذل». ونسوة عوائد وعُوَّد: وهن اللائي يَعُدنَ المريض.

(٦) في ر، ف «عن».

(٧) «المعاهد... صوته» زيادة في ل.

(٨) في ر، ف «ثم يقول».

(٩) ساقطة من ر، ف.

(١٠) في ف «حين».

(١١) في ل «وعجب».

٧ - وما تُنْكِرُ الدَّهماءُ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ سَقَتْها ضَريبَ الشَّوْلِ فيه الولائِدُ

الضَّريبُ: اللَّبَنُ الذي يُخْلَطُ رَقيقُهُ بِثَخِيْنِهِ، وذلك إنَّما يُفعَلُ عِنْدَ قِلَّتِهِ، والشَّوْلُ: جَمْعُ شَائِلَةٍ، وهي التي مضَى بِحَمْلِها سَبْعَةُ أَشْهُرٍ ولَبَنُها يَقِلُّ عند ذلك، والولائِدُ: الخَدَمُ[1].

ثُمَّ قالَ: وما للدَّهماءِ أن تُنْكِرَ منزلاً كانت تعتادُهُ وتألَفُهُ، وَتَزورُهُ وتقصِدُهُ، وكانَ أهلُ ذلكَ المَنْزِلِ لِكرامَتِها عليهم، ونَفَاسَتِها[2] عِندهم، يَأْمُرونَ الوَلائدَ فَيَسْقِيْنَها ضَرِيْبَ الشَّوْلَ مَعَ قِلَّتِه، وَيُؤْثِرْنَها[3] باللَّبَنِ عند انصرامِ مُدَّتِه.

٨ - أُهِمُّ بشيءٍ والليالي كأنَّها تُطَارِدُني عن كَوْنِهِ وأُطَارِدُ

المطَارَدَةُ: المُحاوَلَةُ في الحَرْبِ[4].

فيقولُ: أُهِمُّ بِأَمَلٍ آمُلُهُ، ومُرَادٍ أَرْتَقِبُهُ، والليَّالي تُدَافِعُني عَنْهُ، مُدَافَعَةَ المُقَاتِلِ المُطَارِدِ، وتَعْتَرِضُني دُوْنَه، اعْتِراضَ المَنازِلِ المُجاوِلِ.

٩ - وَحِيْدَاً[5] من الخُلاَّنِ في كُلِّ بَلْدَةٍ إذا عَظُمَ المَطْلوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ

ثُمَّ قالَ: وَحِيْداً من خُلاَّنِ الصَّفاءِ، وأَهْلِ المُشارَكةِ والوَفاءِ[6] حَيْثُ كُنْتُ[7]، وفي كُلِّ بَلَدٍ احتَلَلْتُ[8]، وإذَا عَظُمَ المَطْلوبُ قَلَّ المُساعِدُ عَلَيْهِ، وإذا جَلَّ عُدِمَ المُؤَيِّدُ فيه.

(١) «الضريب... الخدم» زيادة في ل.

(٢) في ر، ف «نفل سنها».

(٣) في ر، ف «ويؤثرونها».

(٤) «المطاردة... الحرب» زيادة في ل.

(٥) في رواية التبيان «وحيدٌ» وهي رواية ابن جني على تقدير أنا وحيد ورواية النصب على تقدير أهم وحيداً، حال.

(٦) في ف «والوفاة».

(٧) في ر، ف «ينبت».

(٨) في ر، ف «وعامي بلد احللت».

١٠ ـ وَتُسْعِدُني في غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لها مِنها عَلَيْها شَواهِدُ

غَمْرَةُ الحَرْبِ: شِدَّتُها، والسَّبُوحُ: الفَرَسُ التي تَمُدُّ يَدَيْها في الجَرْي[١].

فيقولُ: وتُسْعِدُني في غَمَراتِ الحربِ، فَرَسٌ كَرِيْمَةٌ، سَبُوحٌ سَرِيعةٌ، لها[٢] من حُسْنِ خَلْقِها شَواهِدُ، تُخْبِرُ عن كَرَمِها وعِتْقِها.

١١ ـ تَثَنَّى عَلَى قَدْرِ الطِّعَانِ كَأَنَّما مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ

المَرَاوِدُ: مَعْرُوفَةٌ[٣].

ثُمَّ وَصَفَ هذه الفرسَ بِحُسْنِ أَدَبِها، وكَرَمِ طَبْعِها، وأَنَّها تُطِيعُ فارِسَها، وتُساعِدُ راكِبَها، فقال: تَثَنَّى لِلطِّعَانِ وتَنْعَطِفُ، وتَحِيدُ عن الرِّماحِ وتَنْحَرِفُ[٤]، حَتَّى كَأَنَّ مَفَاصِلَهَا مَرَاوِدُ تَتَدَاخَلُ عِنْدَ انقِبَاضِها وتحرُّزِها[٥]، ثم تَعُودُ مُتَّصِلَةً عند انبِسَاطِها[٦] وتَدَفُّعِها[٧].

١٢ ـ وأُوْرِدُ نَفْسِي وأُلْهِنَّدُ في يَدِي مَوَارِدَ لا يُصْدِرْنَ مَنْ لا يُجَالِدُ[٨]

يقولُ: إنهُ يُورِدُ نَفْسَهُ، والسَّيْفُ في يَدِهِ، مَوَارِدَ لا يَصْدُرُ عَنْهَا من لا[٩] يَصْدُقُ في مُجَالَدَتِهِ، ولا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا إلاَّ مَنْ تَقَدَّمَ في صَبْرِهِ وَمُدَافَعَتِهِ.

١٣ ـ وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ القَلْبُ كَفَّهُ عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الكَفَّ سَاعِدُ

---

(١) «غمرة... الجري» زيادة في ل.

(٢) في ف «له».

(٣) «المراود معروفة» زيادة في ل، والمراود جمع مِرْوَدٍ؛ وهو حديدة تدور في اللجام.

(٤) زيادة في ر، ف.

(٥) التحرز: المبالغة في الإمساك والحفظ.

(٦) «عند انبساطها» ساقطة من ل.

(٧) في ر، ف «وترفعها».

(٨) روى صاحب التبيان بيتاً قبل هذا البيت لم يرد في رواية الأفليلي أو الواحدي، وهو:

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي على القَنَا مُحَلَّلَةٌ لَبَّاتُها والقَلائِدُ

(٩) في ر، ف «لم».

ثُمَّ قالَ[1]: ولكنَّ القَلْبَ إذا لم يَحْمِلِ الكَفَّ بِشَجاعَتِه[2] وقُوَّتِهِ، وصَرامَتِه وشِدَّتِهِ[3]، على حالةٍ يَفْعَلُها، وطَرِيقةٍ يَمْتَثِلُها، لم يَحْمِلِ الكَفَّ سَاعِدُها، ولم يَبْطِشْ بها صَاحِبُها.

١٤ ـ خَلِيلَيَّ إِنِي لا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى ومِنِّي القصائِدُ

يَقولُ: خَلِيلَيَّ[4] إنِّي لا أَرى إلاَّ مَنْ يَدَّعي الشِّعْرَ، ويَتَعاطَى قَوْلَهُ، وَيَتَسمَّى به ويُحاوِلُ نَظْمَهُ، فما بَالُهم لا يَحْصُلُونَ[5] مِنْ ذلكَ إلاَّ على دَعَاوَى كَاذِبَةٍ، وأَقْوَالٍ مُتَخَرَّصَةٍ، وأَنفَرِدُ دُونَهم بالقَصَائِدِ فَأُبْدِعُها، وبالنَّوادِرِ فأَختَرِعُهَا.

١٥ ـ فَلاَ تَعْجَبَا إنَّ السُّيوفَ كَثيرَةٌ وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ اليومَ وَاحِدُ

ثُمَّ قالَ لِصَاحِبَيْهِ: فلا تَعْجَبَا لِذلك، فالسُّيوفُ كثيرةٌ في ظَاهِرِها، مَوْجُودَةٌ عند الطَّلَبِ لها، ولكنَّ سيفَ الدَّولةِ المُحَامِي عن حَوْزَتِها، المُدَافِعَ عن بَيْضَتِها[6]، واحِدٌ لا يُشَاكَلُ، ومُفْرَدٌ لا يُمَاثَلُ، فلا تُنْكِرَا أَنْ تَكْثُرَ الأَشْعَارُ في ظَاهِرِها، وأَنْفَرِدُ في الحقيقَةِ بِقَوْلِها، كما أَنَّ السيوفَ كَثيرةٌ في عِدَّتِها[7]، وسيفُ الدَّولةِ مُنْفَرِدٌ بِفِعْلِها. وهذا الخُروجُ بابٌ من البَديعِ يُعْرَفُ بالاسْتِطْرَادِ.

---

(١) في ر، ف «يقول».
(٢) في ر «لشجاعته».
(٣) ساقطة من ر، ف.
(٤) ساقطة من ر، ف.
(٥) في ر، ف «يحطون».
(٦) في ر، ف «حقيقتها».
(٧) في ر، ف «عددها».

١٦ ـ لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبْعِ فِي الحَرْبِ مُنْتَضٍ وَمِنْ عَادَةِ الإِحسَانِ والصَّفْحِ غَامِدُ

يَقولُ: أَنَّ سيفَ الدَّولةِ يُجَرِّدُه في الحَرْبِ كَرَمُ طَبْعِهِ، وَيَسُلُّهُ عَلَى أَعْدَائِهِ[١] اشْتِهَارُ مَجْدِهِ، فإذا عَاذَوا[٢] بِفَضْلِهِ، واعْتَصَموا بِتَجَاوُزِه وَصَفْحِهِ، نَالَهُمْ من ذَلِكَ ما يَكُفُّ سَطْوَتَهُ، وأَحَاطَ بهم مِنْهُ ما يُغْمِدُ[٣] بأْسَهُ وَحِدَّتَهُ، وأَبْدَعَ بالْمُطَابَقَةِ[٤] بَيْنَ مُنْتَضٍ وغَامِدٍ، والْمُطَابَقَةُ أَنْ يَقْتَرِنَ الشَّيءُ بِضِدِّهِ على انتظَامٍ من الكَلامِ.

١٧ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهرَ للنَّاسِ نَاقِدُ

ثُمَّ قالَ[٥]: ولما رَأيتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ[٦] ورُتْبَتِهِ، وشَهِدْتُهُم يَتَأَخَّرُونَ عن مَنْزِلَتِهِ ورِفْعَتِهِ، تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الدَّهرَ انْتَقَدَ أَهْلَهُ وتَخَيَّرَهُم، وامْتَحَنَ جَمِيْعَهُم وَتَدَبَّرَهُم، فَقَدَّم سَيْفَ الدَّولةِ عَلَيْهِم، لِشَرَفِ خِلاَلِهِ، ورَأْسَهُ فيهم، لاشْتِهارِ خِصَالِهِ[٧].

١٨ ـ أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطُّلَى وبالأَمرِ[٨] مَنْ هَانَتْ عَليه الشَّدَائِدُ

يَقُولُ: أَحَقُّهم بأَنْ يَمْلِكَ السَّيْفَ، مَنْ ضَرَبَ به الأَعْنَاقَ في الحربِ،

---

(١) في ر، ف «أعاديه».
(٢) في ف «عادوا».
(٣) في ف «يعمد».
(٤) في ل «وطابق بين».
(٥) في ر، ف «يقول».
(٦) «مَحَلِّه» زيادة في ل.
(٧) في ف «خصامه».
(٨) في رواية التبيان «بالأمن».

وتَقَدَّمَ به[1] في مَوَاقِفِ البأسِ[2]، وأحقهُمُ[3] بتَدْبيرِ الأُمورِ من هَانَتِ الشَّدائِدُ عَلَيه بِجَلَدِهِ، واسْتَسْهَلَ الاقتحامَ فيها بِصَبْرِهِ، وأحسَنَ التَّصريفَ لَهَا بتَدْبيرِهِ. يُشيرُ بذلكَ إلى سَيْفِ الدَّولةِ.

١٩ ـ وَأَشْقَى بِلادِ اللهِ ما الرُّومُ أَهْلُها بِهَذَا وَمَا فيها لِمَجْدِكَ جَاحِدُ

ثُمَّ قالَ: وأَشْقَى بلادِ اللهِ، بِرِئَاسَةِ سَيْفِ الدَّولةِ وإمَارَتِهِ، وما اشْتَهَرَ من فَضْلِهِ وسِيَادَتِهِ، البِلادُ التي أَهلُهَا الرُّومُ، وما فيها مَعَ ذَلكَ، وأَقبلَ على مُخَاطبةِ سيفِ الدَّوْلَةِ، فقال: وَمَا فيها[4] جَاحِدٌ لِفَضْلِكَ، ولا مُنْكِرٌ لِمَجْدِكَ، بل جَميعُهُم يَقُولُ[5] بِفَضْلِكَ، وإنْ لا يَوَدُّكَ، وَيُعَظِّمُكَ وإن كان لا يُحِبُّكَ.

٢٠ ـ شَنَنْتَ بِهَا الغَاراتِ حَتَّى تَرَكْتَها وَجَفْنُ الَّذي خَلْفَ الفَرَنْجَةِ سَاهِدُ

السَّاهِدُ: الذي لا يَنَامُ[6].

فيقُول: شَنَنْتَ الغاراتِ في بلادِ الرُّومِ، حتى تَرَكْتَها وجَفْنُ الذي خَلْفَ الفَرَنْجَة مِنْهُم[7] سَاهِدٌ لِخَوْفِكَ، مُتَوَقِّعٌ لأَمْرِك، فما ظَنُّكَ بِمَنْ دَنَا مِنْكَ وجَاوَزَكَ، واتَّصَلَ بأَعمَالِكَ وقَارَبَك.

٢١ ـ مُخَضَّبَةً[8] والقومُ صَرْعَى كَأَنَّها وإنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ

---

(١) به ساقطة من ل.

(٢) في ر، ف «الناس».

(٣) الواو ساقطة من ر، ف.

(٤) «فقال وما فيها» ساقطة من ر، ف.

(٥) «يقول» ساقطة من ل.

(٦) «الساهد... ينام» زيادة في ل.

(٧) «منهم» زيادة في ر،ف.

(٨) في ر، ورواية الواحدي والتبيان «مُخَضَّبةٌ» بالرفع، على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والنصب على جعله حالاً من الضمير في تركتها.

ثمَّ قالَ: مُخَضَّبَةً تلكَ الأَرضُ بدماءِ أَهْلِها، وهم صَرْعَى في عِراصِها[1]، مُكِبُّونَ على وُجُوهِم بَيْنَ مَنَازِلها، كَأَنَّها مَسَاجِدُ، وإن لم يَكُونُوا فيها سَاجِدين، ومَوَاضِعُ عِبادَةٍ، وإنْ كانوا إلى العِبَادةِ غَيْرَ قَاصِدينَ.

٢٢ ـ تُنَكِّسُهُمْ والسَّابِقاتُ جِبَاهُم وَتَطْعُنُ فيهم والرِّماحُ المكَائِدُ

السَّابِقَاتُ: الخيلُ[2].

ثُمَّ وَصَفَ حالَ أولئكَ، فقالَ: تُنَكِّسُهم والخيولُ جِبَاهُم[4]، يُرِيدُ: أَنَّهم لا يَتَعَاطَوْنَ مُقَاتَلَتَكَ بالخَيْلِ، وإنَّما يَعْتَصمونَ مِنْكَ بالجِبالِ، فهي خَيْلُهم[5]، واسْتِنْزَالُهم[6] منها تَنْكِيسُهُم، ونَقَلَ الكَلامَ على سَبِيلِ الاستعارَةِ، ثُمَّ قَالَ: وتَطْعُنُ فيهم بِغَيْرِ الرِّماحِ؛ لأَنَّهم يَعْجِزُونَ عن مُبَارَزَتِك، فَتَسْتَعْمِلُ فيهم من مَكَائِدك ما تَفْتَحُ مَعَهُ حُصُونَهم، وتُوَجِّه إليهم من تَدْبِيْرِك ما تَصْدَعُ[7] بِهِ قُلُوبَهُمْ، فَتُنْزِلُهم مِمَّا ارتَفَعُوا إليه بِعَزْمِكَ، وَتَطْعُنُ فيهم حَيْثُ تحرَّزُوا منك بِرَأْيِكَ.

٢٣ ـ وتَضْرِبُهُمْ هَبْراً وَقَدْ سَكَنُوا الكُدَى كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ التُّرَابِ الأَسَاوِدُ

الهَبْرُ: القَطْعُ[8].

---

(١) العِرَاصُ: جمع عَرْصَة، وهي كل بقعة أو ساحة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٢) «السابقات: الخيل» زيادة في ل.

(٣) «ثم... أولئك» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «ثم قال تنكسهم وخيولهم حيالهم».

(٥) «فهي خيلهم» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «واستنزالك لهم».

(٧) في ر، ف «تصرع».

(٨) «الهبر: القطع» زيادة في ل.

فيقول[1] لِسَيْفِ الدَّولَةِ: [2] وتَضْرِبُهُمْ ضَرْباً يَفْصِلُ ما وَقَعَ عَلَيْهِ، وقد فَرُّوا مِنْكَ إلى الكُدَى[3]، فَسَكَنُوها مُعْتَصِمينَ بها، وَحَلُّوها[4] مُسْتَتِرِينَ فيها، كما سَكَنَتِ الأَسَاوِدُ[5] بَطْنَ التُّرَابِ، فلَم يَسْكُنُوها اعتِزَازاً وَقُوَّةً[6]، وإنما سَكَنُوها اسْتِتَاراً وذِلَّةً، فَسَبِيْلُهم فيها مَعَ عُلوِّهَا، سَبِيْلَ الأَسَاوِدِ في بَطْنِ[7] الأَرضِ مَعَ تَسَافُلِها.

٢٤ - وتُضْحِي الحُصُونُ، المُشْمَخِرَّاتُ في الذُّرَى وَخَيْلُكَ في أَعْنَاقِهِنَّ قَلاَئِدُ

المُشْمَخِرُّ: الطَّويلُ، وذِرْوَةُ كُلِّ شيءٍ أَعْلاهُ، والجَمْعُ ذُرَى[8].

ثُمَّ قالَ: وتُضْحِي[9] الحُصُونُ المُشْمَخِرَّاتُ[10]، الرفيعةُ المكانِ[11]، المُتْقَنَةُ البُنْيَانِ، المُتَّحِدَةُ في ذُرَى الأَوعارِ، وقُنَنِ الجِبَالِ، وخَيْلُكَ مُتَسَابِقَةٌ إليها، مُتَغَلِّبَةٌ عليها، قد أَحَاطَتْ بها، إحَاطَةَ الأَطْوَاقِ بالأعناق[12]، والقَلاَئِدِ بالأَجْيَادِ.

٢٥ - عَصَفْنَ بِهِمْ يَوْمَ اللِّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهَنْزِيطَ حَتَّى ابْيَضَّ بالسَّبْيِ آمِدُ

---

(١) في ر، ف «ثم يقول».

(٢) الواو ساقطة من ل.

(٣) الكدى: جمع كُدْيَة وهي الأرض الغليظة الشديدة الصلابة.

في ر، ف «وخلوها». بماء معجمه.

(٥) الأساود: جمع الأسود، وهو العظيم من الحيات، وفيه سواد.

(٦) «اعتزازاً وقوةً» ساقطة من ف.

(٧) كذا في ل، وفي ر، ف «بطون».

(٨) «المشمخر... ذرى» زيادة في ل.

(٩) في ف «وتمضى».

(١٠) زيادة في ر، ف.

(١١) ساقطة من ف.

(١٢) في ر، ف «في الأعناق».

اللُّقَانُ وهِنْزِيطُ: مَوْضِعانِ من بلادِ الرُّومِ، وآمِدُ: بلدٌ يكثرُ الثلجُ في جبالِهِ[1].

فَيقولُ[2]: إنَّ هذه الخيلَ عَصَفَتْ بالرُّومِ يومَ اللُّقَّانِ فأهلَكَتْهُم، وأَلَحَّتْ عليهم بِهِنْزِيطَ فَهَزَمَتْهُم، واجْتَلَبَتْ[3] سَبْيَهُم إلى حِيْنِ سُقُوطِ الثَّلْجِ، ومَنْعِ الشِّتَاءِ من الغَزْوِ، وجَعَلَ ما ذَكَرَهُ من ابيضاضِ آمِدَ بالسَّبْيِ المُجْتَلَبِ عليه[4]، إشَارَةً إلى زَمانِ سُقُوطِ الثلجِ.

٢٦ ـ وألحقَنَ بالصَّفْصَافِ شَابُورَ فانهَوَى وذاق الرَّدَى أهلاهُما والجلامِدُ

الصَّفْصَافُ وشَابُورُ: حِصْنَانِ من حُصُونِ الرُّومِ فَتَحَهُما سيفُ الدَّولةِ، والانهواءُ: لحَاقُ الأَعْلَى بالأَسفَلِ، وعَصَفَتِ الرِّيحُ بالشيءِ: إذا اقتَلَعَتْهُ واشْتَدَّ ذَهابُها بهِ، فاسْتَعارَ ذلكَ أبو الطَّيِّبِ لهذه الخيلِ[5]

ثمَّ قالَ: وأَلْحَقَنَ بالصَّفصافِ شابورَ فانهوَى؛ يُرِيدُ: أنَّ سيفَ الدَّولَةِ خرَّبَ شابورَ كتخرِيبِهِ للصَّفْصَافِ، فانهَوَى كِلاَهُما، وذَاقَ الرَّدَى أَهْلُهُمَا، وعَمَّ القَتْلُ والسَّبْيُ[6] سُكَّانَهُما، ونَالَ جَلاميدَ[7] هذينِ الحِصْنَيْنِ من الرَّدى[8] بِتخْرِيبِهِمَا، ونَقْضِ بُنْيَانِهِمَا، كالَّذي نَالَ مَنْ سَكَنَهُمَا، وأصَابَ مَن اعتَصَمَ بهما.

(١) «اللقان... جباله» زيادة في ل.
(٢) في ل «وقال إنها».
(٣) في ر، ف «وتجتلب».
(٤) «المجتلب عليه» زيادة في ر، ف.
(٥) «الصفصاف... الخيل» زيادة في ل.
(٦) في ل «السبي والقتل».
(٧) في ر، ف «جلامد». والجلامد: جمع جَلْمَد وجُلْمُود، وهو الصخر.
(٨) «من الردى» زيادة في ل، ف

٢٧ - وغَلَّسَ[١] في الـوَادي بِهِنَّ مُـشَيَّـعٌ مُبَارَكُ ما تَحْتَ اللِّثَـامَيْنِ عَـابِـدُ

التَّغْلِيسُ: الخروجُ في آخر الليلِ، والمُشَيَّعُ: الشُّجاعُ، واللِّثامانِ: لثامُ المِغْفَرِ ولِثامُ العَمَامَةِ[٢].

فيقـولُ[٣]: وَغَلَّسَ[٤] بهـذه الخيـلِ مِنْ سَيْفِ الـدَّولَـةِ رئيسُ مُشَيَّـعُ القَلْبِ، شَدِيدُ البأسِ، مُبَارَكُ الوَجْهِ، عابِدٌ لِلَّهِ بما يَحْتَمِلُ عَلَيْهِ من الجِهادِ[٥] في إعْزازِ دِيْنِهِ، وإذْلالِ عَدُوِّهِ.

٢٨ - فَتًى يَشْتَهي طُـولَ البِلادِ وَوَقْتِـهِ[٦] تَـضِيـقُ بِـهِ أَوْقَـاتُـهُ والمَقَـاصِـدُ

ثمَّ قَالَ، يُرِيدُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ: فتًى يَشْتَهي طُولَ البِلادِ لِيَبْعُدَ فيها أَثَرُهُ، وطُـولَ الزَّمـانِ لِيَتَمَكَّن فيه تَصَـرُّفُهُ[٧]؛ لِأَنَّ مَقَـاصِدَهُ تَضِيْقُ في الغـزوِ عَمَّا تَبْلُغُه[٨] هِمَّتُهُ[٩] وأَوْقَاتَهُ تَضِيقُ في المَجْدِ عما تَنْعَقِدُ عليه نِيَّتُهُ[١٠].

٢٩ - أَخـو غَـزَوَاتٍ مـا تُغِبُّ سُيُـوفُـهُ رِقَـابَهُـمُ إلا وَسَـيْـحَـانَ جَـامِـدُ

سَيْحَانُ: نَهْرٌ عظيمٌ[١١].

---

(١) في ر، ف «وغَلَّبْنَ».

(٢) «التغليس... العمامة» زيادة في ل.

(٣) في ر، ف «ثم قال».

(٤) في ر، ف «وغلَّبن».

(٥) «من الجهاد» زيادة في ر، ف.

(٦) في رواية التبيان «ووقتُهُ» بالرفع.

(٧) في ف «فيها تطرفه».

(٨) في ر، ف «تضيق عما تبلغه في الغزو».

(٩) في ر، ف «وهمته».

(١٠) في ر، ف «تضيق عما تنعقد عليه في المجد».

(١١) «سيحان: نهر عظيم» زيادة في ل. وسيحان: نهر بالعواصم من أرض المصيصة قريباً من طرسوس.

ثُمَّ قالَ: أَخُو غزواتٍ لا يَمَلُّها، ووَقَائِعَ في الرُّومِ لا يُغِبُّها[1]، حَتَّى يَعْتَرِضَهُ الشِّتَاءُ، وَيَمْنَعَهُ الثَّلْجُ، فَحِيْنَئِذٍ تَرْتَفِعُ عن[2] الرُّومِ سُيُوفُهُ، وتَتَوَقَّفُ عن بِلاَدِهم جُيُوشُهُ. وأَشَارَ بِجمُودِ سَيْحَانَ إلى ما قَصَدَهُ من كَثْرَةِ الثَّلجِ وإِكْبَابِ الشِّتَاءِ.

٣٠ ـ فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ حَمَاهَا من الظُّبا ... لَمَى شَفَتَيْهَا والثَّدِيُّ النَّواهِدُ

اللَّمَى: حُمْرَةُ الشَّفَتَيْنِ يَغْلِبُ عليها السَّوادُ[3].

فيقولُ[4]: فلم تُبْقِ سُيوفُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ من الرُّومِ غَيْرَ النِّسَاءِ اللواتِي حَمَاهُنَّ من ظُبَا[5] السُّيوفِ حُسْنُهُنَّ، وما رَغِبَهُ أهلُ الجَيْشِ من التَّمَتُّعِ بِهِنَّ.

٣١ ـ تُبَكِّي[6] عليهنَّ البَطَارِيقُ في الدُّجى ... وَهُنَّ لَدَيْنَا مُلْقَيَاتٌ كَوَاسِدُ

البَطَارِيقُ: أكابرُ الرُّومِ، والكَواسِدُ: اللواتي لا يُرْغَبُ فيهِنَّ[7].

ثُمَّ قالَ: تُبَكِّي[8] عَلَيْهِنَّ البَطَارِيقُ من أَوْلِيائِهِنَّ، لِتَقْصِيرِهم عن المَنْعِ[9]، وهنَّ بأَيْدِينا كواسِدُ، لا نَرْغَبُ فِيهِنَّ لِكَثْرَتِهِنَّ، ولا يُعْجَبُ بِهِنَّ[10] لِتَمَكُّنِهِنَّ.

---

(١) يُغِبُّها: يؤخرها.
(٢) في ر، ف «على».
(٣) «اللَّمى... السواد» زيادة في ل.
(٤) في ر، ف «ثم يقول».
(٥) الظُّبَا: جمع الظُّبَة، وهي حد السيف وطرفه.
(٦) في ر، ف «يُبَكِّي».
(٧) «البطاريق... فيهن» زيادة في ل.
(٨) في ر، ف «يبكي».
(٩) في ر، ف «التمتع».
(١٠) في ر، ف «منهن».

٣٢ - بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

ثُمَّ قالَ، مُخْبِراً عَمَّا وَصَفَهُ من إعوالِ الرُّومِ على ما يَسْتَبْشِرُ به أهلُ هذا الجَيْشِ: بِذَا حَكَمَتِ الأَيَّامُ بَيْنَ أَهْلِها، وَقَضَتْ عَلَى مَنْ صَحِبَها بِتَصَرُّفها[1]، أَنْ يكونَ سُرُورُ الغَالِبِينَ في أَسَفِ[2] المَغْلُوبِينَ، ومَصَائِبُ المَنْكُوبِينَ فَوَائِدَ عهدَ قَوْمٍ آخرينَ. وهذا مثلٌ سَائِرٌ، والمَثَلُ من أَرفَعِ أبوابِ[3] البَدِيْعِ، قد تَقَدَّمَ تَنْبِيْهُنَا عليه[4].

٣٣ - وَمِنْ شَرَفِ الإِقْدامِ أَنَّكَ فِيهِمُ عَلَى القَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ

المَوْمُوقُ: المحبوبُ، والشَّكْدُ: العَطِيَّةُ، والشَّاكِدُ: المُعْطِي[5].

فيقولُ[6] لِسَيْفِ الدَّولةِ: ومِن شَرَفِ الإقدامِ أَنَّكَ على ما تُحْدِثُهُ من القَتْلِ في الرُّومِ مَحْبُوبٌ مِنْهُم، وعَلَى ما تَغْشَاهُمْ به من المَكْرُوهِ مُفَضَّلٌ فيهم، فَأَنْتَ تَقْتُلُهُم وكَأَنَّكَ تُعْطِيهم، وتَسْبِيهِم وكأَنَّك تَحْبُوهم.

٣٤ - وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَاخِرٌ وأَنَّ فُؤَادًا رُعْتَهُ لَكَ حَامِدُ

ثُمَّ أَكَّدَ ذلكَ، فَقَالَ: وإِنَّ مَنْ قَتَلْتَهُ وأَجْرَيْتَ دَمَهُ، فَقَدْ أَبْقَيْتَ لَهُ فَخْرًا، لِمُقَاتَلَتِهِ[7] لَكَ، ومن أَجْلَيْتَهُ وَرَوَّعْتَهُ، فَقَدْ جَعَلْتَ له عُذْرًا في فِرَارِهِ عَنْكَ؛ لِأَنَّ من قَاتَلَكَ يُسْتَغْرَبُ فِعْلُهُ، ومَنْ فَرَّ عَنْكَ لا يُدْفَعُ عُذْرُهُ، فهذا

---

(١) «بتصرفها» زيادة في ر، ف.

(٢) في ر، ف «حزن».

(٣) «أرفع أبواب» زيادة في ل.

(٤) «قد... عليه» زيادة في ر، ف.

(٥) «الموموق... المعطي» زيادة في ل.

(٦) في ر، ف «ثم يقول».

(٧) في ر، ف «بمقاتلته».

يَتَرَفَّعُ بما أَبْقَيْتَ لَهُ من الفَخْرِ، وهذا يَحْمَدُكَ[1] بِمَا[2] تَضَمَّنْتَ[3] لَهُ من العُذْرِ.

٣٥ ـ وكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعةِ والنَّدَى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ

ثُمَّ قَالَ: وَكُلٌّ يَرَى أَنَّ الشَّجَاعَةَ والكَرَمَ أَشْرَفُ الخِلَالِ، وأَجَلُّ الخِصَالِ، ولكنَّ الطَّبائِعَ غَالِبَةٌ[4]، والعَادَاتِ مُسْتَوْلِيَةٌ، وأَشَارَ إلى أنَّ الرُّومَ يَعْرِفُونَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ فَضْلَ إِقْدَامِهِ، ويَعْجِزُونَ عن مُمَاثَلَتِهِ في جَلِيلِ أَفْعَالِهِ.

٣٦ ـ نَهَبْتَ مِن الأَعْمَارِ ما لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنِّئْتِ الدُّنْيَا بِأَنَّكَ خَالِدُ

يقولُ[5]: نَهَبْتَ مِنْ أعمارِ الرُّومِ[6] بِقَتْلِكَ لهم، وأَفْنَيْتَ[7] مِنْهُم بِوَقَائِعِكَ فيهم، ما لو حَوَيْتَهُ لِنَفْسِكَ، وَوَصَلْتَهُ بِعُمْرِكَ، لَهُنِّئْتِ الدُّنيا بِخُلُودِكَ، وَمُتِّعْتَ آخرَ الأَبدِ بِبَقَائِكَ.

٣٧ ـ فَأَنْتَ حُسَامُ المُلْكِ واللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ واللَّهُ عَاقِدُ

يَقُولُ[8]: فأنتَ حُسَامُ المُلْك واللَّهُ ضَارِبٌ بِكَ، وأنتَ[9] لواءُ الدِّينِ واللَّهُ عَاقِدٌ لَكَ، وما ضَرَبَ اللَّهُ به[10] لا يَنْبُو حَدُّهُ، وما عَقَدَهُ لا يَنْحَلُّ عَقْدُهُ.

---

(١) في ر، ف «يحمد».

(٢) في ف «على من» وفي ر «على ما».

(٣) في ر، ف «بسطت».

(٤) في ر، ف «غالبة».

(٥) في ر، ف «ثم قال».

(٦) في ل «الأعداء».

(٧) في ف «وألفيت».

(٨) زيادة في ر، ف.

(٩) زيادة في ر، ف.

(١٠) في ر، ف «وما ضرب به الله».

٣٨ ـ وَأَنْتَ أَبُو الهيجا بنُ حَمْدَانَ يَابْنَهُ تَشَابَهَ مَوْلُودٌ كَرِيمٌ وَوَالِدُ

أَبُو الهَيْجَاءِ: والدُ سيفِ الدَّولَةِ، والذين ذَكَرَهُمْ بَعْدَهُ[١]، أَجْدَادُهُ على نَسَقٍ، فيقولُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ: أَنْتَ أبو الهَيْجَاءِ أَبُوكَ، في كَرَمِهِ وَبأْسِهِ، وجَلاَلَتِهِ وَفَضْلِهِ، تَشَابَهَ مِنْكُما مَوْلُودٌ وَوَالِدُهُ، وابنٌ ومُنْسِلُهُ.

٣٩ ـ وَحَمْدَانُ حَمْدُونٌ، وَحَمْدونُ حَارِثٌ وحارِثُ لُقْمَانٌ، ولُقْمَانُ راشِدُ[٢]

ثُمَّ قالَ: وكذلكَ حَمْدَانُ جَدُّكَ، حَمْدُونٌ أَبُوهُ، وحارِثُ لُقْمَانُ أَبُوهُ، ولُقْمَانُ راشدٌ أَبُوهُ، كُلُّ آبائِكَ يَتَشَابَهُونَ في مَجْدِهِم، ويَتَمَاثَلُونَ في فَضْلِهِم، ويَتْلُو في الكَرَمِ آخِرُهُم أَوَّلَهُم، ويَحْكي في البَأْسِ والفَضْلِ خَلَفُهُم سَلَفَهُم.

٤٠ ـ أُولئِكَ أَنْيَابُ الخِلاَفَةِ كُلِّهَا وَسَائِرُ أَمْلاَكِ البِلاَدِ الزَّوَائِدُ

نابُ القَوْمِ: سَيِّدُهُمْ، والجمعُ أَنيابٌ[٣].

ثُمَّ قالَ: أُولئكَ كلُّهُم أنيابُ الخِلافةِ، وأركانُ المَمْلَكَةِ، وزُعَماءُ الدَّولةِ، وسَائرُ أَمْلاكِ البِلادِ، الزَّوائدُ[٤] بالإضَافَةِ إليهم، المُتَأَخِّرونَ[٥] إذا قُرِنوا بهم.

٤١ ـ أُحِبُّكَ يا شمسَ الزَّمَانِ وبَدْرَهُ وإن لاَمَني فيكَ السُّهَا والفَرَاقِدُ

السُّهَا: نَجْمٌ صَغِيْرٌ يَقْتَرِنُ بالوُسْطَى من بَنَاتِ نَعْشٍ الكُبَرِ[٦].

---

(١) في ر، ف «بعد».

(٢) ترك صرف ما ينصرف في البيت، وصَرَفَ ما لا ينصرف من الاعلام ضرورة.

(٣) «ناب... أنياب» زيادة في ل.

(٤) في ر، ف «زوائد».

(٥) في ر، ف «ومتأخرون».

(٦) «السُّهى... الكبر» «زيادة في ل.

والفَرْقَدانِ في بَناتِ نَعْشٍ الصُّغَر، وهما النَّجْمانِ النَّيِّرانِ من النَّعْشِ، وَجَمَعَهُما وهما اثنانِ؛ لأن التَّثْنِيةَ ضَربٌ من الجَمْعِ، وقد يُخْبَرُ عنهما كما يُخْبَرُ عن الجميع، قال الله عز وجل: ﴿وهَلْ أَتاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ، إذ دَخَلوا على داودَ فَفَزِعَ منهم، قالوا لا تَخَفْ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا﴾[1] فأَخْبَرَ عن الاثنَيْنِ كما أَخبرَ عن الجميعِ، وذلك كَثِيْرٌ في كلامِ العَرَب[2].

فَيَقُولُ[3] لِسَيْفِ الدَّولةِ: أُحِبُّكَ يا أَيُّها الرَّئيسُ الذي هو في المُلوكِ كالشَّمْسِ والقَمَر بَيْنَ[4] النُّجومِ، يَصْغُرون[5] وتَعْظُمُ، ويَقِلُّونَ وتَكْثُرُ، وإن لأَمَني فيكَ مِمَّن يَتَسَمَّى[6] بالرئاسَةِ، مَنْ يَحْسُدُكَ على مَدْحِي لك، وَيُنَافِسُكَ في اعْتِلاَقي بِكَ، ومَحَلُّ أُولئكَ منك مَحَلُّ الوَشَلِ[7] مِنَ البَحْرِ، وصِغَارِ الكَواكبِ من الشَّمسِ[8] والبَدْرِ. وهذا وإنْ لَمْ يَلْفِظْ بِجَمِيْعِهِ[9]، ففي فَحْوَى خِطَابِه ما يَدُلُّ عَلَيْهِ.

٤٢ ـ وَذَاكَ لأَنَّ الفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لأَنَّ العَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدُ

---

(١) سورة (ص) آية ٢١، ٢٢.

(٢) «والفرقدان... العرب» في ر، ف وردت في نهاية شرح البيت باختلاف على النحو التالي «وجمع الفرقدين وهما اثنان، لأن التثنية ضرب من الجمع، وقد يخبر عنها كما يخبر عن الجمع، قال الله عز وجل: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذا تسوروا المحراب﴾ إلى قوله ﴿لا تخف خصمان﴾ فأخبر عن الاثنين كإخباره عن الجمع».
وسقط من ف «عنها كما يخبر عن الجمع».

(٣) في ر، ف «ثم يقول».

(٤) في ر، ف «في».

(٥) في ل «فيصغرون».

(٦) في ر، ف «تسمى».

(٧) الوَشَل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يَتَّصِلُ قَطْرُه.

(٨) «الشمس» زيادة في ل.

(٩) في ل. «به».

ثُمَّ قالَ[1] ولَيْسَ حُبِّي لَكَ لِدَعَةِ العَيْشِ عِنْدَكَ، وَرَفَاهِيَتِهِ فيما قِبَلَكَ، ولكنَّهُ لِبَيَانِ فَضْلِكَ، وكَرَمِ نَفْسِكَ، وارتِفَاعِ مَجْدِكَ[2]، وإنصَافِكَ لمن اعتَلَقَ[3] بِحَبْلِكَ.

٤٣ ـ فَإِنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بالعَقْلِ صَالِحٌ وإنَّ كَثِيرَ الحُبِّ بالجهلِ فَاسِدُ

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلاً، أَكَّدَ به ما قَدَّمَهُ، فقالَ: فإنَّ قليلَ المَوَدَّةِ صَالِحٌ إذا بَعَثَ عليه العَقْلُ، وكثيرُهَا فَاسِدٌ إذا دَعَا إليه الجَهْلُ. يُشيرُ إلى أنَّ القليلَ من حُسْنِ رَأْيِ سَيْفِ الدَّولَةِ مَعَ تَمَامِهِ وَفَضْلِهِ، أَغْبَطُ من كثيرِ مَا يَبْذُلُه غَيْرُهُ، مِمَّن لا تُؤْمَنُ بَوَادِرُ[4] جَهْلِهِ.

(١) «ثم قال» ساقطة من ف.

(٢) «وارتفاع مجدك» زيادة في ر، ف.

(٣) ساقطة من ف.

(٤) في ر، ف «بوارد».